

قصتي مع الشيوعية

لواء متقاعد

حسن المصليحي

رئيس قسم مكافحة الشيوعية سابقاً



وَصِيَّتِي مَعَ السُّيُوعِيَِّّةِ

لواء متقاعد

حسين الصليبي

تُبين قسم مكافحة الشيوعية سابقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَّامُ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الإهداء

لولا هذا العهد ما استطعت أن أخرج
سطراً ما كتبت

فإلى صاحب الفضل الأول فيه
والرجل الذي باعدني في تحقيقه
والى كل من عاونني من الزملاء
والى هذا الجيل من الشباب العرب

وهري فخرًا ولكتاب

حسين الرضائي

مُقَدِّمَةٌ

تهادت الباخرة قادمة من البوغاز حتى وصيف الميناء ، حيث كنت اعمل
ضابطاً في شرطة ميناء بورسعيد عام ١٩٣٩ •

ولفت نظري آن ذاك ، تعيين أحد المسافر حرساً على الباخرة ، لوجود
أحد البحارة الروس الحمر على سطحها •

كل ما كنت أعلمه عن الحمر ، أنهم أهل تلك الدولة الكبيرة التي قامت فيها
ثورة حمراء عام ١٩١٧ ، ولم أكن أدري سبباً لتعيين هذا الحارس حتى تبينت
أن التعليمات ، تقضى بمنع هذا الروسي الاحمر من النزول الى الشاطئ لاي
سبب كان •

ومنذ ذلك الوقت بدأت ، من حب الاستطلاع ، أسأل عن ماهية هذه الثورة.
ولم يكن هناك من وسائل المعرفة ، الا ما يتردد شفاها بين بعض الاصدقاء من
كلمات متفرقة لا تغنى ولا تفيد •

وظلت هذه بغيتى ، حتى وجدت نفسى بعد سنوات اعمل فى قسم مكافحة
الشيوعية بالقلم السياسى بمحافظة القاهرة • وفى هذا القسم وجدت فرصتى
فى الحصول على مصادر متعددة من الكتب والمجلات والصحف والسجلات ، فضلا
عن كثير من الكتيبات المتناثرة فى المكتبات ، ثم بعض النشرات والدراسات
السرية والعلنية ، وتجمعت لدى بعض المعلومات التى انتهت فيها الى ان الامر
جد خطير ، ويحتاج الى المزيد من الدراسة الجادة •

ومع مرور الزمن وقيام ثورة الجيش واستمرارى لسنوات طويلة ، أعمل فى هذا الميدان حصلت فى النهاية ، على قدر لا بأس به من المعرفة والتجارب العملية ، مما دفعنى أخيرا الى تسجيل كل هذا فى كتاب للناس .

وفى واقع الامر ، ترددت كثيرا فى الكتابة لأنها ليست صناعتى ، فلم أكن كاتباً أو أدبياً يوماً ما ، فأتعرض لمثل هذه التجربة ، ولكن بقى التصميم يعمل فى نفسى تكملة للرسالة التى قمت بها لوجه الله والوطن .

وأرجو منه تعالى ، أن يساعدنى فلا أميل مع الهوى ، حتى أعبر عن الحقائق كما عاصرتها ، وتستبين التجارب كما عهدتها .

واقف وقفة قصيرة أمام هؤلاء اللذين لن يتفق حديثى مع أهوائهم . فهذه هى اول مرة يجابهون فيها بما يعلمون عن أنفسهم قبل غيرهم . فليصرخوا ما شاؤوا وليهللوا ما أرادوا وليرجمونى بالفاظ السباب التى تعودوا عليها ، ولكنهم لن يجرؤا أبداً على انكار الوقائع الثابتة ، ولو أمام انفسهم ، وهذا هو جل ما قصت اليه .

هدى الله منهم من لم يهتد ، وأما من اهتدى فله الأجر والثواب .

الباب الأول

الفصل الأول:

كهنات العالم عند الفراعنة
الماركسية

الفصل الثاني:

التسلل الشيوعي في مصر

الفصل الثالث:

التسلل الشيوعي بوسائل أخرى
جمعية أنصار السلام
جمعية الريان في السعودية

الفصل الأول

كهانة العالم حذر الفرائس

لا ينكر أحد أن الفراغة وصلوا إلى مراحل متقدمة من العلوم والفنون ، ولم يصلنا من علمهم شيء سوى القشور من الرسوم والآثار التي خلدهم ، ومعظم هذا القليل وصلنا من التحليل والتخمين .

ولعل القارئ يسأل ، وأين العلاقة بين علم الفراغة وموضوعنا هذا ؟ من أول الحقائق التي توصلت إليها ، من خلال تجربتي الطويلة ، أن النشاط الشيوعي السري بين الشباب بصفة عامة ، يستهويهم ويقع في نفوسهم موقع السحر لا يجنون منه فكاكا أو منطقاً مضادا أو حماية من الحوار السليم .

وكيف ومن أين تأتيهم هذه الحماية ، مادامت كلمة الشيوعية دائما تلصقا غامضا لا يعلم عنه أفراد الشعب قليلا أو كثيرا . وظلت المعرفة بها محصورة في طبقة معينة من المثقفين والخاصة . وحتى الكتب الجامعية المتخصصة في الفلسفة والاقتصاد ، نجدها خلوا إلا من عجالة موجزة عن النظرية الماركسية ، يكتبها الأساتذة ضمن ما يكتبون عن النظريات الأخرى ، وأما الكتب التي ترد باللغات الأجنبية ، أو مترجمة إلى العربية ومطبوعة في الدول الشيوعية وغيرها ، فكانت غالبا ما تصادر ولا تخرج للناس ، إلا ما يصل منها لأيدى الشيوعيين .

ولما كان للنشاط الشيوعي وجهان ، أحدهما نشاط علني ، والثاني نشاط سري ، فالنوع الأول كان دائما متجاوبا مع آماني الوطنيين وآمالهم ، ولم يجرؤ

أحد من الشيوعيين يوما ، أن يقصص عن نفسه صراحة أمام الشعب ، ولم يكن أحد يدري أن هذه الدعاية تصدر من الشيوعيين ، أو يفرق بينهم وبين غيرهم من الوطنيين - ولو كان الشيوعيون قد أقصصوا عن عقيدتهم خلال نشاطهم العلني لا سلم أحد منهم من فتك الشعب به •

وقد اعترف الشيوعيون بذلك ، فطالما عملت بعض المنظمات السرية الى الاسراف في نشاطها العلني ، وحاولت تقوية نفسها عن طريق خلق جبهة وطنية مع أحد الأحزاب السياسية أو مبالاة الحكومة وتأييدها ، الا أنها نفتت نفسها في آخر الأمر نادمة ، واتهمتها المنظمات الأخرى « بالذيلية » ، والكلمة مفهومة المعنى وكانت دائما سببا في ضعف المنظمة التي اتخذتها أسلوبا للدعاية ووسيلة لاغراء الشباب وضمهم اليها •

وفيما يختص بالنشاط السري ، الذي كانت المنظمات الشيوعية تلجأ اليه فيمكن تلخيص أسبابه والدافع اليه فيما يلي :

● يلجأ الشيوعيون للسرية مخافة القانون •

● يستفيد الشيوعيون من السرية لاختفاء مصادر تمويلهم ، وعلاقاتهم بالأحزاب الشيوعية الأجنبية ، وارتباطهم بالاممية الشيوعية « وسنأتي الى شرح ذلك تفصيلا » •

● مع الأسباب المتقدمة ، يقتضى الأمر « منطقيا » أن يتم تجنيد الأعضاء وضمهم للمنظمة ، في سرية تامة ، خاصة أنهم دأبوا على اغراء الشباب فردا فردا ، ولم يلجأوا الى التجنيد الجماعي أبدا •

● اذا وجد الشخص الصالح للتجنيد ، فانهم يبدأون في سبر غوره ودراسة نفسيته ثم استدراجه ، بأن يلغوا على مسامحه في سرية وغموض موضوعا يعتبر من المداخل أو من الدرجات الأولى لفهم النظرية الماركسية ، مثل التطور ونشأة الكون والحياة ، وتاريخ المجتمعات - ويرتقون بمعلوماته درجة درجة -

ودائما في سرية تامة - يكون من نتيجتها أن يدخل في روعه ، أن ما قيل له سر خطير ، اختص به وحده ، فيشعر أن له أهمية خاصة ، ويعطى نفسه قدرا أكثر مما يستحق ، فضلا عن نظرية التقديس الى معلمه بل الكاهن الذي يعلم وحده كل شيء . . . وينزل في ويتورط في انزلاقه حتى يصل الى طريق اللاعودة .

ويتضافر مع هذا كله ، الإجراءات التي تتبع في ضبط الشيوعيين والتحقيق معهم التي تتم وتنتهي في سرية تامة ، الى أن تبدأ المحاكمة ، فتعلن الجلسات سرية ، ولا يحضرها سوى المتهمين والدفاع ، وتصدر الاحكام وتنتشر في الصحف. فلا يدري أحد تفاصيل الجريمة ، وينتف بذلك غرض من أهم الأغراض التي من أجلها شرع القانون ، وهو تخدير الناس من ارتكاب الجرم .

وهكذا ظلت الشيوعية سرا في سر ، وغموضا في غموض ، فلا يعلم الناس عنها شيئا ، ان خيرا وان شرا ، الا ما يقوله الحاكم مهاجما الشيوعيين في مناسبة سياسية معينة ، وكأنه يوجه النقد الى حزب سياسي معارض . أو ما يكتبه أحيانا بعض الادباء في الصحف ، محللين لسياسة الشيوعيين دون تعرض لتبيان ما هي الشيوعية ومن هم الشيوعيين ؟

ويبقى ميدان الحفاء مفتوحا على مصراعيه يمرح فيه الشيوعيون وينفتون في عقول الناس كلاما معسولا ، براق المظهر ، يقع في بعض الاذهان موقع الاستحسان .

هذا ما قصدت اليه من كهانة العلم عند الفراعنة ، العلم الذي يستأثر به طائفة من الشعب دون غيرها - الكهنة في عصر الفراعنة والشيوعيون في عصرنا الحال . وفي كلتا الحالتين أدت السرية الى التآليه والجهل بالحقيقة .

ولا اقول ان هذا هو السبب الوحيد ، ولكنني أردت أن أبدأ به لأنه من صميم تجاربي العملية في مكافحة الشيوعية .

فكم من مرة سئلت عما هي الشيوعية ، من شباب تختلف ثقافتهم أو من رجال ، كنت أظنهم يعلمون !!

الماركسيّة

معنى كلمة « شيوعية » :

كلمتا شيوعية واشتراكية ، كلمتان متشابهتان من الناحية التاريخية •
فالأولى مستمدة من الكلمة اللاتينية (Commun.) ، ومعناها متساوى ، والثانية
من الكلمة اللاتينية (Socius) ومعناها شريك وزفيق •

وقصد بهما أصلا ، مجتمع يشترك فيه جميع أفراد الشعب في الثروة
ويتساوون كذلك في المركز السياسي •

ولم يدر بخلدي ، أن آتية بالقارىء في بيدا من الفلسفة والنظريات ، إنما
رأيت أن أوجز بغير إخلال ، فاصل إلى الحقائق بدون تصسف ، عن طريق مبسط
كتب فيه العلماء المتخصصين آلاف الصفحات •

لم تكن الثورات الاشتراكية ، وليدة القرن العشرين ، بل عرفت من قديم
الزمان ، إذ قامت عدة ثورات اجتماعية ، خلال الألفى عام السابقة ، ودفعت كثيرا من
الفلاسفة إلى وضع النظريات الاشتراكية للوصول إلى العدل الاجتماعي •

وظهر منهم « كارل ماركس » - وهو من عائلة يهودية تنصرت وهو في
السادسة من عمره - وقدم نظريته في منتصف القرن التاسع عشر • وفي عام
١٨٤٨ أذاع بيانا سمي « بالمانفستو الشيوعي » ، دعى فيه البروليتاريا إلى الطبقة
العاملة في العالم وهي التي لا تملك شيئا ، للاتحاد والثورة على باقي الطبقات ،
فلا يخافون شيئا ، لأنهم لا يملكون شيئا سوى الإصفاة التي تقلل أيديهم ، وحتى
ينشئوا عالما لهم يسودونه •

الشيوعية :

الماركسية والشيوعية ليستا شيئا واحدا ، حقيقة اهتم لينين وستالين بماركس وكذلك زميله أنجلز اهتماما بالغا ، ذلك لانهما وجدا في نظريات ماركس ذخيرة أمكنهما استخدامها في تبرير أعمالهما .

اهتم ماركس وزميله أنجلز بالظروف التي يمكن أن تؤدي الى ثورة البروليتاريا أو الطبقة العاملة ، وكتبوا آلاف الصفحات عن ذلك ، الا أنهما لم يخصصا سوى جزء ضئيل جدا للمشاركة العملية التي تأتي بعد ثورة ناجحة ، وانتهاز لينين وبعد ستالين الفرصة وأمكنهما تفسير نظريات ماركس بما يتفق مع رغباتهما في النظام الذي يفرضانه بعد الثورة .

وبهذا أتمت النظرية بعد التطبيق بدلا من أن تسبقه .

ووضعت المبادئ الشيوعية لسد حاجات الدولة الدكتاتورية ولم تطبق حتى يومنا هذا . ومنذ متى كانت الدكتاتورية لصلحة الشعب ؟

ومن المفيد أن نلخصها فيما يلي :

الطبقة العاملة :

قسم ماركس كل المجتمعات الحديثة الى طبقتين لاثالث لهما ، طبقة العمال ، وطبقة أصحاب وسائل الانتاج التي تستخدمهم . ولم يعترف ماركس بوجود طبقة وسط أو أي طبقة أخرى . وانتهى ماركس الى أن كل أعضاء الطبقة العاملة سيتحولون في الرأى في مسائل القانون والدين والاخلاق والقومية .

وحلل ماركس التاريخ الى عاملين فقط ، هما العامل الاقتصادى والصراع بين طبقة العمال وطبقة المستغلين لهم .

وأوضح ماركس نظرياته الطبقيّة قائلا : « ان التاريخ يسير نحو هدف لا محيد عنه ، هو حكم الطبقة الكادحة » . وعلى هذا الافتراض قامت النظريات

الأخرى التي ابتكرتها الشيوعية • وللأسف لم يكن للطبقة الكادحة نصيب في الحكم في أى نظام شيوعى حتى الآن •

الصراع بين الطبقات :

قال ماركس « أن البروليتاريا تفوق الرأسماليين عددا ، ولذا فإن انتصار الأولى مؤكد • ودعى كل العمال فى العالم الى الاتحاد والكفاح للوصول الى المجتمع المثالى ووعده بأن يؤدي انتصار العمال الى مجتمع اشتراكى بلا طبقات ، أى أن يجعل البشر كالمشط متساوى الأسنان • وأما الوسيلة الى التخلص من الحكم الرأسمالى ، فلن تتم الا بثورة عارمة من صفوف الطبقة العاملة ، تستولى بعدها على السلطة ، وتغلب بزوال الدولة وقيام حكومة تسيرها الطبقة العاملة كمجموع •

الملكية العامة لوسائل الانتاج :

قدم ماركس نظريته الاقتصادية بفكرة رئيسية مجملها أن كل ما يستخدم فى انتاج السلع ، يجب أن يكون ملكا للمجموع وليس ملكا للأفراد ، وأن الملكية العامة للمزارع والمصانع والآلات والناجم ، معناها وضع حد لاستغلال العمال ، وأن هذه الملكية العامة ستؤدى الى اختفاء كل الطبقات عدا طبقة العمال ، وعندئذ يمكن تحقيق التوزيع العادل للثروة فى المجتمع الخالى من الطبقات ، فينتهى بذلك الصراع بينها ويكون تنفيذ قاعدة « من كل بحسب مقدراته ، ولكل بحسب حاجته » •

ولملك أخى القارىء لاتجد صعوبة فى تفسير ما سبق اذ ان الاطاحة بالطبقة الرأسمالية أدت الى رأسمال واحد هو الحكومة الدكتاتورية •

ثورة وسيلتها العنف :

تقول النظرية الماركسية ، ان الاشتراكية مستحقة باستيلاء الطبقة الكادحة على السلطة السياسية ، الا أن لينين شرح هذه النقطة ومن رايه

أن الطبقة العاملة لن تستطيع الاستيلاء على السلطة السياسية ، إلا إذا مثلها فريق متماسك مدرب من الثوريين المحترفين القاديين على اقالة الجماهير ودفعها الى العنف • وقال أيضا أن من الضرورة القصوى لكل حزب شيوعي ، أن يقرن بطريقة منظمة ، الأعمال القانونية بالأعمال الغير قانونية ، التنظيم الشيوعي والتنظيم الغير شيوعي •

أما ستالين فلم يكن أقل ثقة بالعمال من زعيمه لينين ، إذ قال ، ان مصالح الطبقة الكادحة فى جميع أنحاء العالم هى نفس مصالحها فى الاتحاد السوفيتى ، وفى كلمة أخرى قال : ان مصالح حكام الاتحاد السوفيتى أهم من أية مصالح للعمال أو أى حزب شيوعي محلى ، وإن كل عمل مقبول إذا كان يخدم مصالح السوفييت ، وعلى الحركة الشيوعية العالمية أن تدعى للزعامة السوفيتية بالطاعة العمياء •

لا تنسى أخى القارىء حديث ستالين السابق وستعلم الى أى مدى نفذه الشيوعيون فى بلدك •

دكتاتورية البروليتاريا :

أيد لينين دكتاتورية البروليتاريا التى ابتدعها ماركس ، إلا أنه كان مقتنعا بأن الطبقة العاملة لو تركت لحالها لا أمكنها أن تقوم بثورة وأن تحقق الشيوعية • ويجب أن تأتى الشيوعية للطبقة العاملة من أعلى ، عن طريق فريق مدرب من المحترفين • وقال : « هينوا لنا منظمة من الثوريين ، نقلب لكم روسيا رأسا على عقب » •

واختار لينين الحزب الشيوعي كطليعة للطبقة العاملة وناطقا بلسانها • وقال : « ان الحزب لا يمثل مصالح الطبقة العاملة فحسب بل ان وعيه للمصراع الطبقي أكبر من وعي هذه الطبقة نفسها ، وان الحزب الشيوعي سيواصل السيطرة على الجماهير ، حتى الوقت الذى تصبح فيه على استعداد لقبول المجتمع الحالى من الطبقات » •

وفي حين يرى ماركس أن فترة دكتاتورية البروليتاريا ستكون فترة انتقال مؤقتة ، تؤدي سريرا الى تلاشي السيطرة الحكومية ، يرى لينين أن الدولة ستبدا في التلاشي بعد سيطرة البروليتاريا على الحكم ، غير أنها لن تختفي تماما الا بعد أن تستقر الشيوعية . ويجب استمرار ديكتاتورية العمال معها الدولة الى أن يجيء ذلك الوقت .

وأما ستالين فقد خرج بنظرية « الحصار الرأسمالي عام ١٩٣٦ » ، وقال : « أنه ما دام الاتحاد السوفيتي محاطا بدول غير شيوعية فمن الضروري استمرار الدولة وأجل بذلك تلاشيها المحتوم الى أجل غير رسمي .

والمعروف أن قادة الاتحاد السوفيتي يزعمون دائما أن البروليتاريا هي السلطة العليا في تلك الدولة ، مع أن الحزب الشيوعي هو القائد الفعلي للحكومة القائمة ، سواء كانت تحت السيطرة الفردية وقت لينين وستالين ، أو تحت سيطرة سكرتير عام الحزب والمكتب السياسي .

التوسع الشيوعي :

وطبقا للنظريات السابقة ، فإن الطبقات الحاكمة في الدول غير الشيوعية ستحاول دائما أن تقلب الحكومات الشيوعية ، ولذلك فلن تسلم الشيوعية في أي مكان حتى يتم اقرارها في العالم كله ، وأن انتصار الثورة في روسيا ليس الا بداية الثورة العالمية واساسها .

الاتحاد السوفيتي مركز للشيوعية الدولية :

كان لينين يعتقد أن الثورة الشيوعية ستمتد الى بلاد العالم في فترة وجيزة ، ولما لم يحدث ذلك في عصره كما كان يتوقع اضطر أن يقرر أن الاتحاد السوفيتي يكون مركزا لقيادة الثورة العالمية ، وتم بذلك تكوين الكومنترن (Commintern) الى الهيئة الشيوعية الدولية عام ١٩١٩ .

وسنأتي الى ذكر الدور الذي قامت به هذه الهيئة في نشر الشيوعية عالميا، وفي الشرق الأوسط أيضا .

الشيوعية والدولة :

يزعم الشيوعيون أن الطبقة المسيطرة على وسائل الانتاج تنشيء الدولة لرعاية مصالحها والمحافظة على ملكيتها وقمع كل محاولة تنكر حقها عليها ، وقد رفض ماركس ضرورة ابقاء وظائف الدولة في مجتمع غير طبقي ، وكتب انجلز عام ١٨٧٣ مقالا يوضح فيه « أن مفهوم الشيوعيين لزوال الدولة ، هو أن تقعد الوظائف العمومية طابعها السياسي وتنقلب الى وظائف ادارية بسيطة تسهر على مصالح اجتماعية حقيقية » وجاء في كتاب له هذه العبارة « يحل محل حكومة الشعب ادارة تسير أمور الدولة » .

وفي نقد نظام الدولة الرأسمالية ، ركز ماركس وانجلز على الهجوم عليها كآلة بين أيدي خصوم العمال ، وأن الحاجة اليها ستزول تدريجيا مع تقلص ظل الرأسمالية .

وتمثل الدولة في المفهوم الشيوعي المقومات الاجتماعية العليا التي كونتها القوى الانتاجية والتي تنطوي في تصميمها على متناقضات ستؤدي بها ، وأن أول مهمة للثورة هي سيطرة البورليتياريا على الدولة وهدمها نهائيا لانها فاسدة الجهاز وليمة البرجوازية .

ومن أقوال لينين « أن المرحلة الأولى للشيوعية تؤدي الى العدل والمساواة – وأن لم يتحقق منهما شيء ، فستبقى فوارق في الثورة – وفي هذه المرحلة يزول الاستغلال فلا يعود انسان يملك وسائل الانتاج من مصانع وآلات وحقوق كانها ملك خاص له » .

الاشتراكية والشيوعية :

قامت الثورة لتحقيق المجتمع الشيوعي الذي تطبق عليها قاعدة « من كل بحسب قدرته ولكل بحسب حاجته » هذا هو الهدف من النظريات والفلسفات وكل ما كتب من آلاف الصفحات ، بل هذا ما يحفظه جميع الشيوعيين في العالم ويرددونه .

ونلاحظ أن كلمة الدولة الشيوعية قد شطبت من قاموس السياسة ليحل محلها تعبير آخر هو الدولة الاشتراكية .

وهنا فليتفضل السادة الذين يرددون لفظ الدولة الاشتراكية وفي نفس الوقت يدعون الى الشيوعية ويحفظون مبادئها عن ظهر قلب ، ويفسرون لنا كيف حادت الثورة الشيوعية عن هدفها وأصبحت وما زالت اشتراكية ؟

ستمعنا السعادة اذا قيل لنا أن الحياه هو الدافع لاختفاء كلمة الشيوعية واستبدالها بمسحا بكلمة الاشتراكية .

والواقع يدل على ذلك ، اذ نعتقد أن المسيطرين على مصير الشعوب في الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول التي تسير في فلكه ، وجدوا أن كلمة الشيوعية كبيرة ضخمة ، لا تمثل الثورة التي قاموا بها فعلا ولا تمثل مجتمعاتهم بعد قيام الثورة ، فاستبدلوها بالاشتراكية . ونرى ايضا أن هذا العصر قد تميز بظهور اشتراكيات أخرى تختلف تماما عن الاشتراكية الشيوعية ، ولذا اراد الحكام السوفييت استخدام كلمة الاشتراكية ، لأن كلمة الشيوعية أصبحت بعد ستين عاما كلمة مفترى عليها ، ولتمض الاشتراكية الشيوعية مع غيرها من الاشتراكيات ، حتى تتخبط الشعوب ولا تعلم الفارق بينهما .

قلنا أن هذا العصر تميز باشتراكيات مختلفة ، الا أنها لاتتعدى ذلك من حيث أنها تختلف في تطبيقها من دولة الى أخرى . ولم يحدث أن اعتبرت هذه الاشتراكيات رابطة تسير على غط واحد ، او تصبح نظاما واحدا تخضع له كل الشعوب ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى أن الاشتراكية محصورة في كونها نظاما اقتصاديا ، ولا يتحتم قيام نظام واحد لكل البشر له من قواعد الصارمة ما يوق التطور ويمنع الخروج عنه .

اما النظرية التي يجب ان يطلق عليها الآن « الماركسية اللينينة الستالينية » فتختلف عن ذلك ، لأنها تقوم على المادية الجدلية وترفض الاتجاهات المثالية وتضع القواعد الجامدة للاقتصاد وأسلوب الإنتاج وتفسر التاريخ وتحدد مساره ونهايته

وتضع المنهج لنعلم وتدخل في نتائجه • كما أن لها موقفا محددا من الدين ،
وتعتبر نفسها الحتام النهائي للفكر البشرى مع أنها قائمة على مبدأ التطور ، واذ
تؤمن بأنها الفلسفة الوحيدة التى تفسر كل نشاط البشر ، وأن ما عداها من
النظريات والافكار وهم وخيال ، وأن الماركسية هى الوريث الشرعى للفكر
الاشتراكى بأسره •

المادية فى الفلسفة الماركسية :

الفلسفة المادية عند ماركس هى اساس نظريته التى أقام عليه بناء ضخما
شاهقا من النظريات والتفسيرات ، واذا تناولنا كل هذا البناء ، لدخلنا فى
متاهات نحن فى غنى عنها ، انما يمكن أن نقصر الحديث على النقاط الآتية :

● كان « هيجل » الفيلسوف الالمانى ، مثاليا يحدد أسلوب تفكيره
ونظريته فى أن الفكر موضوع مستقل ، وهو خالق كل شئ حقيقى ويعنى بلفتنا
البسيطة ، أن هناك قوة خالقة سبقت كل شئ •

● أما ماركس ، فان الفكرة بالنسبة له « ليس الا العالم المادى منقولا الى
البشرى ومصورا فيه » واستطاع ماركس أن يقلب فلسفة هيجل ويستقل طريقته
المجدلية ، وبذلك تمكن من تكييف الاوضاع الاجتماعية والفكرية والتاريخية
لمختلف الامم والشعوب ، وتنبا بما سوف يحدث فى المستقبل • ولم تصدق
نبوءة واحدة من تنبؤاته •

ومن تفسيرات انجلز فى المادية « أن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا
والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وأن ادراكنا وتفكيرنا مهما لاح عليهما
من السمو على الحواس ، هما نتاج لعضو من أعضاء جسمنا - وهو المخ - فليس
الفكر هو الذى أنتج المادة بل أن العقل نفسه ما هو الا اسمى انتاج للمادة » •

● وجاء ستالين مفسرا فقال : « ان المادة على عكس المثالية لا تؤمن بالفكر
المطلق أو الروح الكونية أو غير ذلك من المعانى الموضوعية ، لأنها ترى العالم

بطبيعته الاصلية ماديا • وأن الفكر نتاج للمادة وأن كافة الظواهر ما هي الا صور مختلفة للمادة فى حالة الحركة ، وأن العالم يتطور وفقا لقوانين حركة المادة •

ومما تقدم نرى أن المادة هي أساس البنيان فى النظرية الماركسية التى اتخذت عمادا للشيوعية ومظاهرها جميعا • ويظهر أن أصحاب هذه النظرية ، كانوا يوم وضعوها يحسبون أن المادة شيئا ملموسا مفهوما لا يحتاج الى تفسير، وكانوا يظنون أن العلم قادر على حل كل معضلة وكاشف لكل سر ، وواصل الى كل حقيقة •

ما هي المادة ؟

هل هي حجم ؟

هل هي كتلة ؟

هل هي جوهر ؟

هل هي لون ؟

هل هي امتداد ؟

وما هو جوهر المادة ؟

كان العلم قد وصل الى أن جوهر المادة هو الجزيء • وقد ثبت منذ عام ١٩٢١ أن الجزيء ليس هو أصغر مكونات المادة • لأنه مكون من ذرات • وقد أثبت العالم « اينشتين » أن الفرة يمكن تحطيمها •

وقد حطمها الأمريكان وحطمها الروس وغيرهم •

وانتهت المادة الى طاقة •

وليسست للطاقة خاصية واحدة من خواص المادة •

انتهت المادة الى معادلة رياضية أى الى فكرة ، انغمض من الروح بل هي أقرب الى الملول الروحى !!

ان لكل حركة محرك ، ولكل معلول علة ، وبقليل من التأمل يصل الانسان
 العاقل النزيه الى علة الكون « سبحانه وتعالى » •

ومع ذلك ، لما عاد جاجرين السوفيتي من رحلة الفضاء الاولى ، صرح بأنه
 لم يشاهد الله في طريقه !! « سبحانه يا رب وأستغفرك » •

كان أولى بجاجرين أن يفسر لنا ، وقد وصل الى مقربة من القمر ، كيف
 سيصل الى أن يأخذ من كل بحسب قدرته ، ويعطي كلا بحسب حاجته • وكيف
 يطبق هذا بين البشر • الا اذا كان في مخيلته أن يصعد مرة أخرى ويحضر بشرا
 آخرين من السماء ، ليحتلوا الأرض ويطبق عليهم هذا النظام • ومن يدري فربما
 قصد الشيوعيون أن يتحقق هذا الحلم الجميل بعد قيام الساعة • • • وسبحان من
 له الدوام •

الدين والشيوعية

يقول لينين في كتابه الاشتراكية والدين المجلد رقم ٢ ص ٦٦ « أن حزبنا هو رابطة بين مناضلين متقدمين وواعين طبقيا لتحرير الطبقة العاملة ، ومثل هذه الرابطة يجب أن تكون مختلفة عن الجهل والغموض الذي يتمثل في العقائد الدينية ، أن من أسس انضمامنا للحزب ، أن نشن حربا ضد الحماقات الدينية بين العمال » .

وجاء في مجلة الشباب البلشفي العدد ٥ ، ٦ عام ١٩٤٦ ص ٥٦ « إذا ما كان الشيوعي يعتقد في الله ويذهب إلى الكنيسة ، فانه يفشل في القيام بمهامه وهذا يعني أنه لم يتخلص بعد من الحرفات الدينية ولم يصبح شخصا واعيا » .

وجاء في نفس العدد صفحة ٥٨ « أن فلسفة الماركسية اللينينية وهي الأساس النظري للحزب الشيوعي لا تتفق مع الدين ، فالنظرة العامة للحزب تقوم على أساس علمي مما يتنافى مع الدين ، لذا كان لزاما على الحزب أن يقوم الحزب بمعارضة الدين » .

واعتقد أنه لا داعي للبرهنة بمثل هذه الكلمات المطلنة ، ويوجد الآلاف منها ، ويكفي أن أساس النظرية هو المادية التي لا تعترف بالخالق سبحانه وتعالى .

وهنا أود أن أسأل المصريين الذين يسمون أنفسهم بالماركسة ، كيف يتفق أن يكونوا ماركسيين ويدعي بعضهم التمسك بالدين؟!

ومن طريف ما أذكره ، أنه في يوم من عام ١٩٧٥ ، كنت متوجها في طريق خلف مسجد عمر مكرم بميدان التحرير ، وإذا بي أواجه بزعيم الحزب الشيوعي

المصرى ، خارجا من الجامع وكان يربط حزامه ويبسمل ويحوقل ، ولا شك أنه كان بداخل الجامع يؤدى صلاة العشاء . وبحسن نية انفجعت اليه أحبيته ، ورد هو التحية بأحسن منها ، وتركته مذهولا وأنا أعتقد أن شيئا فى الدنيا قد غير موضعه . وقلت إن الله يهدى من يشاء .

ومرت أيام قليلة ، وإذا بى أعلم أن الشيوعيين يدعون الاسلام ومنهم من بدأ يصلى فى المساجد ، لافتا اليه الانظار ، ومنهم من سافر للحج . وجاءنى منهم من يعلم ببواطن الامور وأثق به ، وشرح لى أن هذه خطة للشيوعيين بدؤها عندما هاجمهم كبار العلماء باسم الدين ، ولما بدأت حملة الانتخابات لمجلس الشعب ، ووجد الشيوعيون أنه لا مفر من مواجهة رجال الدين ومواجهة النخبين من أفراد الشعب ، قرروا هذه الخطة .

والدين هو علاقة بين الانسان وخالقه ويأتى بعد ذلك ، السلام الاجتماعى وهو علاقة أفراد الشعب ببعضهم .

ويرفض الشيوعيون مبدأ السلام الاجتماعى ، لأن ماركس قد علمهم أن الثورة التى يهدفون اليها لا تتحقق الا بصراع دموى ، واذكاه نيران الحقد بين طبقات الشعب بطريقة تمجّل بالانفجار والحرب الأهلية .

فماذا يقول الماركسيون فى ذلك ، وهذا هو أهم أسس الماركسية ، انهم لن يكونوا ماركسيين ، اذا تمسكوا بالدين واعترفوا بالسلام الاجتماعى . أما هذا أو ذاك .

ولا يفوتنى هنا أن أنوه بما نشرته أخيرا صحيفة كومسولكايا برفندا ، أى صحيفة الشباب ، تنص فيه انتشار ممارسة تحضير الارواح بين الشباب وطلاب الجامعات . وقد علق أحد علماء التربية السوفييت بأن الامر أخطر مما يبدو ، ووصف هذا الأسلوب فى تخمين المستقبل ، بأنه ظاهرة سلبية تدل على لجوء الشباب الى السر والغموض وقال : « أن هذا السلوك يثبت أن المادية العلمية

قد فشلت فى أن تصبح وسيلة للتفكير ، وأن هذا الشر المستطير بسبب شكلية التعليم التى ولدت فى الشباب عدم اليقين •

وإذا كان لابد من تعليق على هذا الحير ، فانى أود أن أقول ، أن تعليم الشباب بل والأطفال السوفييت كان دائما أقرب الى التنويم المغناطيسى اكراها وإجبارا ، ولذلك كانت هذه النتيجة •

ان الانسان أينما كان فى أى زمان يولد وعيناه متجهة الى السماء ، يبحث عن مصدر وجوده ويتلمس ملاذه ، ويبحث عن خالقه •

الفصل الثاني

السُّلُوكُ الشُّبُوحِي فِي مِصْرَ

ولا أقول نشأة الشيوعية في مصر ، فلا ينشأ شيء الا من العلم • وماركس لم يكن مصرياً ، ثم لينين الذي لحق بالثورة الماركسية في روسيا وكان وقتئذ منفياً ، لم يكن مصرياً • ولكن الماركسية أو ماسمى بالشيوعية وردت الى بلاد الشرق الأوسط ومنها مصر على أيدي غرباء من الاجانب والصهيونيين • فهي لم تنشأ في بلادنا ولكنها تسَلَّت اليها من الخارج •

ان أول من وضع البذرة في مصر ، يهودى متمصر عاش بالاسكندرية يدعى « جوزيف روزنتال » ، حيث أنشأ بها أول نقابة من عمال شركة السجائر وكلهم من الجانب عام ١٩٠٨ واعتنق معظمهم على يديه الاشتراكية المتطرفة • ثم انشئت نقابات أخرى كان أعضاؤها خليط من الاجانب والمصريين ، تخضع لتوجيهات روزنتال وغيره من الاجانب اليونانيين والايطاليين والارمن ، واستمر هؤلاء في نشاطهم حتى عام ١٩١٩ اذ ضبِطت مجموعة من الارمن بلغ عددها تسع عشر فردا يكونون جمعية تدعى هـ و ج H.O.G. وكانت تدعو للمبادئ الشيوعية • وأبعدوا جميعاً عن البلاد ، فكانت أول قضية شيوعية في مصر •

ولم تكن الفلسفة الشيوعية بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، قد اخذت طابعها التوسعى الذى وصلت اليه في الوقت الحاضر ، بل ان بلادا كثيرة وخاصة

فى الشرق ، لم تكن قد سمعت بهذه الفلسفة من قبل ، حتى رأى قادة الثورة البلشفية أن ينشروا مبادئ الشيوعية فى ربوع البلاد لاحداث الثورات المماثلة حتى يعم النظام الشيوعى تحت زعامة الاتحاد السوفيتى ، فعمدوا الى تسليح المبادئ الماركسية للبلاد الأخرى على يد طائفة من المخربين والعلماء والانتهازيين، ولم يجدوا خيرا من اليهود الصهيونيين لحمل هذه الرسالة بأمانة واخلاص ، منتهزين فرصة النزعة الصهيونية التى بدأت تتبلور فى هذا الوقت ، كما استغلوا الاقليات فى الشعوب المستعمرة •

ومن جهة أخرى ، أدركت الصهيونية منذ وقت مبكر ، خطر الشعور القومى العربى على القومية الصهيونية العنصرية ، فتعاونت مع الاستعمار البريطانى فى إبقاء الوضع الانفصالى بين البلاد العربية ، وبادرت بدس العناصر اليهودية فى المنظمات الشيوعية ، بل أن اليهود هم الذين أسسوا الأحزاب الشيوعية فى العراق والجزائر وتونس والشمس وفلسطين وجميع المنظمات الشيوعية السرية فى مصر بلا استثناء •

وقد وقفت جميع هذه الأحزاب من الحركة الوطنية العربية ، موقفا مخزيا مخربا ، ولم تجد اسرائيل من يهاجم الجامعة العربية أكثر مما هاجمها الشيوعيون العرب • ولم تجد الصهيونية من يهاجم الوحدة العربية أكثر من هؤلاء الذين يقودهم ويوجههم أشد العناصر اليهودية رجعية وتمصبيا • بل انه بلغت القحمة بزعيم الحزب الشيوعى المصرى ، أن يهاجم حكومة الثورة فى عام ١٩٥٤ لانها حكومة حرب تعمل على تقوية جيشها لزجه فى الحروب الاستعمارية ، وكان قد طالب قبل ذلك بالصلح مع اسرائيل والغاء الجامعة العربية •

مهلا أيها القارىء ، مالنا نستعجل الاحداث ، فسنتأى الى كل ذلك وأكثر من ذلك بالأدلة والبرهان •

فى عام ١٩١٨ حضر الى مصر أحد علماء البلاشفة ويدعى « أفيجدور » ، وبقي بها حتى أواخر عام ١٩١٩ ثم غادرها الى فلسطين وعاد مرة ثانية فى ١٩٢٢

وكان لهذا الرجل شأن كبير في تأسيس الحزب الشيوعي المصري وتهيئة بعض الشباب للسفر الى موسكو حيث تعلموا وتدريبوا على يد الخبراء السوفييت . وقد عاد مرة ثالثة الى البلاد في عام ١٩٢٤ لتدعيم وتنظيم الحزب الشيوعي .

ولنرجع الى تأسيس الحزب الاشتراكي المصري . اذ صدر بيان في ١٩ اغسطس ١٩٢١ يتضمن برنامج هذا الحزب وأعلن فيه صراع المبادئ الاشتراكية العادلة مع النظم الرأسمالية ، أى بالصراع الحزبي والدعوة السلمية . وبدأ الحزب وأعضاؤه من الاجانب وبعض المثقفين المصريين ، في تكوين النقابات العمالية المختلفة ، وتمكنوا من تكوين اتحادا عاما للنقابات ، بمعرفه « أنطون مارون » وكان من الشيوعيين الذين تدربوا في موسكو . ثم انقسم الحزب الاشتراكي على نفسه وتمكنت الاغلبية الماركسية من طرد باقى الاعضاء من المثقفين المصريين الذين ابتعدوا عن نشاط الحزب عندما تبينوا أنه نشاط أممي وشيوعي متطرف .

وتمكن باقى الاعضاء من اقامة الحزب في فرع الاسكندرية وأطلقوا عليه لأول مرة اسم الحزب الشيوعي المصري وأنشأوا له فروعاً في القاهرة وطنطا وشبين الكوم ، وأعلنوا صراحة أن الحزب فرع من الدولية الثالثة .

وكان هذا الاعلان أول خطوة من خطوات الحياة ، فان تعبير الدولية الثالثة يعنى « المؤتمر الأول للحزب الشيوعي السوفيتى الذى عقد في موسكو في ٧ مارس ١٩١٨ وسمى بالكومنترن « الشيوعية الدولية » .

ونصت قرارات المؤتمر على واحد وعشرين شرطا تكون أساسا لانضمام أى حزب شيوعي في العالم الى صف الكومنترن ، ولا يعتبر حزبا شيوعيا الا بموافقة على هذه الشروط وتكتفى بذكر أهم تلك الشروط :

● على الاحزاب المنضمة للكومنترن أن تقف في وجه الدعاية الإصلاحية المعتدلة وأن تحاربها .

● على الثوريين أن يؤكدوا أن الإصلاحات لا يمكن أن تكون سوى إجراءات مسكنة ، وأن العنف الثوري هو وحده الذى يكفل تحقيق مصالح العمال .

● على الشيوعيين ايجاد تكتلات داخل النقابات العمالية حتى تتسنى لهم السيطرة عليها من الداخل .

● على الشيوعيين أن يعملوا على انشاء الخلايا السرية داخل صفوف القوات المسلحة .

● على الاحزاب الشيوعية السرية أن تعمل بمهارة للاستفادة من كافة التنظيمات العلنية .

● عدم التخلي عن التشكيلات السرية في الاحزاب التي تباشر نشاطها بطريقة علنية .

● على جميع الاحزاب الشيوعية أن تؤيد دون تحفظ الاتحاد السوفيتي ، وأن تصدر الاوامر الى اعضائها بعدم نقل الاسلحة او العتاد الحربي الى اعداء الاتحاد السوفيتي .

● جميع قرارات الكومنترن تكون ملزمة لجميع الاحزاب المشتركة فيه .

ولا تحتاج هذه الشروط الى شرح او تفسير ، ويكفى ما ورد بالشرطين السابع والثامن فانهما يتوجان باقى الشروط فى جسم الحياة ، ويمثلان مع غيرها أحيث وسائل الاستعمار والرغبة فى التوسع ، بمعاونة طابور خامس من بعض المواطنين بعد حشو رؤوسهم بفلسفات خيالية .

رأى جوزيف روزنتال عند تكوين الحزب الاشتراكي أن وجود الحركة فى يد الأجانب لن يكون لها مستقبل فى مصر ، فدعى عددا من الشباب المصرى وضمهم الى الحزب ومنهم محمود حسنى الرايى الذى كانت له ميول واطلاعات اشتراكية متطرفة فى هذه الفترة .

وأعلن الحزب الشيوعى المصرى عن مؤتمر فى ٦ يناير ١٩٢٣ لاعلان اسم الحزب وانضمامه صراحة للكومنترن وموافقة على الواحد وعشرين شرطا السابقة

الذكر ، وأرسل لأعضائه دعوات مطبوعة لحضور المؤتمر . وتجد صورة من الدعوة في الصفحة التالية . الا أن البوليس منع عقد الاجتماع فما كان من بعض الاعضاء الا الاجتماع بأقلية وأصدروا بيانا باعلان تكوين الحزب الشيوعي المصري وبموافقته على الانضمام للشيوعية الدولية وعلى الواحد والعشرين شرطا .

وهنا لا بد أن نذكر أن أفيجندور قد أمر بتكوين الخلايا السرية على أساس الشكل الهرمي ، وذلك لأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية في الشرق الأوسط والذي اتبعته المنظمات الشيوعية في مصر حتى اللحظة التي انفضت بها التشكيلات الشيوعية . وكان من تعليمات أفيجندور أن يعمل الحزب على تقوية علاقته مع حزب الوفد ، والعمل على تكوين جبهة معه وتنظيم النقابات والاتحاد العام بأسلوب جماهيري يكون فيه للمقابلة شأن كبير . وتحديد مهام الحزب وجعلها أساسا للدعاية الجماهيرية ، مثل تحديد الملكية وتأميم الشركات الاحتكارية والبنوك وطرد الاستعمار والتنسيق بين الاحزاب العربية المختلفة .

ومن العجيب أن تظل هذه المهام ، هي الشغل الشاغل للحزب الشيوعي المصري الأول حتى خمد نشاطه . وتستمر موضع الدعاية العلنية للمنظمات الشيوعية التي نشأت في الأربعينيات بعد ذلك . ويبقى شعار المطرقة والمجل على كل المطبوعات الشيوعية حتى الآن ، وهو شعار الثورة البلشفية .

ومنذ أول عام ١٩٢٢ ازداد نشاط الحزب ، اذ أضرب عمال بعض النقابات في الاسكندرية وغيرها وقرر اتحاد العمل القيام بمظاهرة لتأييد باقي النقابات وأن تكون المظاهرة عامة في باقي القطر ، حتى يوحى الى العمال أن قضيتهم واحدة لا تتجزأ تحقيقا لنداء « ماركس : يا عمال العالم اتحدوا » .

وفي ١٨ مارس ١٩٢٣ ، قبض على للمهيجين الشيوعيين للعمال ، من عملاء الشيوعية الدولية ، وعلى رأسهم محمود حسنى العرابي ، وأنطون مارون ، وأمين يحيى ، وحسن حسنى وأغلق نادى اتحاد النقابات حيث كانوا يجتمعون ، الا أنه تم الافراج عنهم في مايو من نفس العام بغير محاكمة ، ويعتبر هذا أول اجراء اعتقال ضد الشيوعيين .



المؤتمر الشيوعي المصري

حفرة الرقيق محمد بن محمد

بعد سماع تقرير مندوب الحزب الاشتراكي المصري الرقيق محمد حسن الراباني العسكري العام عن المؤتمر الرابع للدول الشيوعية بموسكو

وبعد فحص قرارات المؤتمرين للمصري التي اكتبها للمؤتمر الرابع لبحث تقرير المندوب

قررت لجنة الحزب الادارية ان يجلسها للشفقة في يوم الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧٧ عند مؤتمر من جميع اعضاء الحزب الاشتراكي المصري بدلا الحزب بشاوع نوبل باشا رقم ١٨ بالاسكندرية في يومي ٧ و ٦ يناير سنة ١٩٧٣ لتقرر في جدول الاعمال الآتي :

- (١) تقرير عن حالة الحزب
- (٢) تقارير من سكرتاريات الشعب
- (٣) تقرير عن المؤتمر الرابع للدول الشيوعية
- (٤) خطط الحزب في عام ١٩٧٣ وبرنامج الفلاحين
- (٥) المصادقة مرة اخرى على شروط الدولية الثالثة (للولحد والعشرين شرطا)
- (٦) ابدال اسم الحزب باسم الحزب الشيوعي المصري
- (٧) مراجعة القانون
- (٨) استقفاط مجلس الادارة وانتخاب غيره اذا رأت اللجنة السومية ذلك
- (٩) اعمال مختلفة

وسيتبع المؤتمر جلسته الاولى في منتصف الساعة الثامنة بعد ظهر ٦ يناير سنة ١٩٧٣ ويوزع على الاعضاء قبل افتتاح الجلسة التلميحات التي وضعتها اللجنة للتنحية لاعدل الترتيبات وتحدد زمن محفل خطيب وقرارات هذا المؤتمر صحيحة نافذة معا كان عدد الحضور — ولا يقبل التوكيل عن الاعضاء ولا الشعب الا اذا وصل الحزب من الموكلين كتب قبل انعقاد المؤتمر يومين على الاقل تكون منه صورة بيد الوكيل وفي هذه الحالة يحل الوكيل موتا عن نفسه مساواتا بعد موكله ؟ « العسكري »

الرجاء عند الحصول تقديم تذكرة المصروفات نمرة ١٠٧٤

وكان الاتحاد يضم الكثير من العمال اليهود والأجانب اليونانيين والروس الشيوعيين . واستمر حال الحزب بين جنب وشد مع الحكومة حتى أوائل عام ١٩٢٤ ، اذ قبض على كثيرين من قادة الحزب كما قبض على بعض اليهود الروس من أعضائه ومنهم جولدنبرج سكرتير الحزب في القاهرة واتحاد النقابات العام . وقبض على محمود حسنى العرابي وصدر قرار بنفى جوزيف روزنتال ، الا أنه تمكن من البقاء لجنسيته المصرية ، وتوفى أنطون مارون في السجن عام ١٩٢٥ ، وحكم على بعض المقبوض عليهم بالسجن مدد تتراوح بين ستة أشهر وثلاث سنوات .

وضعت الحركة الشيوعية بهذه المطاردة ، ثم تألفت لجنة مركزية جديدة للحزب في نفس يوم الحكم في القضية المذكورة ، بفضل السوفييتي افيجدور بصفته مندوبا عن الكومنترن ، وكان قد عاد لمصر باسم مستعار في عام ١٩٢٤ وحضر معه مندوب من الحزب الشيوعي الانجليزى ويدعى طومسون للاشتراك في إعادة تنظيم الحزب الشيوعي المصرى . وتكونت اللجنة المركزية من عدد قليل من المصريين والباقي من اليهود واليونانيين الا أنه قبض عليهم جميعا في ٣٠ مايو ١٩٢٥ .

والشيء بالشيء يذكر ، فقد حضرت لمصر شارلوت روزنتال ابنة جوزيف روزنتال عائدة من موسكو عام ١٩٢٥ واشتركت في تكوين لجنة الحزب الجديد وكان لها شأن بعد ذلك في الحركة الشيوعية الدولية في أوروبا وانتهى بها المطاف في ملجأ للعجزة بموسكو بعد أن خدمت الشيوعية عالميا . وفي نهاية الخمسينات عطف عليها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء زيارته لموسكو وصرح لها بنادى على طلبها ، بالمحضور الى الاسكندرية لرؤية والدها . وحاولت الماطلة والاستمرار في اقامتها ، الا أن السلطات لم تسمح لها فعاتت من حيث أتت .

وقد ثبت أن شارلوت روزنتال كانت تنفق على المتهمين وعائلاتهم في قضية الشيوعية يوليو ١٩٢٥ التي ضببطت فيها مع آخرين من اليهود والمصريين والتي أبعد على أثرها اثنين وعشرين يهوديا روسيا عرفوا بنشاطهم الشيوعى عن البلاد .

وظهرت من الوثائق الصهيونية في القضية السابقة أن مركز الحركة الشيوعية انتقل من مصر إلى فلسطين ، وأن الأخيرة أصبحت حلقة اتصال بين الأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط وموسكو ، وكان يأتي بتعليمات الكركز إلى مصر مندوب متكرر يسمى باسم ملك ولم تعرف شخصيته الحقيقية .

السنيت معي يا أخى القارىء ، فى إن الصهيونية - وكانت قد تبلورت حين ذاك - قد تلاقت مع الحركة الشيوعية وصارت معها منذ البداية فى طريق واحد امتد طويلا طويلا .

وكما قلنا لم تنشأ الشيوعية فى مصر من عدم ، وإنما تسلمت إليها بتوجيه من موسكو وعن طريق عملائها من الروس واليهود بالذات . بل أن قيام الحزب الاشتراكي المصري الأول مهد لهذا التسلل من قبل الثورة الشيوعية الروسية نفسها ، عندما كان الشيوعيون الروس يبدون ثورتهم ، فارتسكوا المندوبين والعملاء لتحويل هذا النشاط إلى حركة شيوعية . كما ثبت من التحقيق والأوراق المصبوغة لدى المتهمين فى القضية سالفة الذكر أن الأموال كانت ترد من الخارج للاتفاق على المتهمين وعائلاتهم .

ومن الطريف أن يذكر ، أنه فى تلك الفترة وفدت بعثة بلشفية إلى جدة بالملكة العربية السعودية ، وكتبت بعض الصحف عن خطورة هذه البعثة لقربها من السودان وشعوب أفريقيا والجزيرة العربية ، وكانت شعوب على انقطة ، وفشلت البعثة ولم تبقى طويلا إذ أجبرتها السلطات السعودية على الرحيل . وما نحن نرى عام ١٩٧٧ بعد أكثر من خمسين عاما أن التاريخ الشيوعي يكرر نفسه وكأنه يتكرر هذه السنين الطوال بالمنطقة ، وينتهز الفرص كيفما تجب ، فهو لا يئأس أبدا .

كان مسكرتير الحزب الشيوعي الفلسطيني يدعى « إريام » وهو روسى صوفيتى ، وكان من زائدة الطبقة العاملة العربية غير قادرة على تولي القيادة وبالتالي يجب أن تكون القيادة فى يدا الأجنبيات وما يذكر أنه أصدر كتابا فى ذلك الجنب عن المشكلة اليهودية فى فلسطين من وجهة النظر الصهيونية واجتثت أنه أشد ولاء للصهيونية من ولائه للشيوعية .

وكان كساب أبريام مسيبا في أن يعلن الكومنترون ضرورة تعريب الحركة الشيوعية في بلاد الشرق الأوسط ، وتم طرد بعض اليهود من الحزب الشيوعي لفلسطين والتحق به بعض العرب .

فهل تم تعريب الحركة الشيوعية فعلا ؟ أبدا ، فقد استمر اليهود متربطين بالحركة الشيوعية في البلاد العربية حتى ميطنوا عليها . وتولوا توجيهها وإدارتها كما سنرى فيما بعد .

وفي عام ١٩٣١ وصلت الحركة الشيوعية إلى أدنى درجات النشاط وأبلغ بعض الشيوعيين الكومنترون ، أن عددا من أعضاء الحزب متصلين بالبوليس فقرر الكومنترون وقف العمل مع الشيوعيين المصريين القدامى جميعا ، وحاول بعضهم السفر إلى موسكو ولكن السلطات الروسية لم تسمح لهم بالدخول . وفي هذا الوقت كان في موسكو أحد أعضاء الحزب ويدعى علي حسين السروجي ، وقيم بها حتى عام ١٩٣٢ وقرر الكومنترون إرساله إلى مصر ومعه بعض السنويين ليبدء النشاط من جديد ، إلا أن مستألفي هذا أنه فقد الأمل مؤقتا في نتيجة التكتيك الشيوعي في البلاد المستعمرة كالصين ومصر والشام وفلسطين ، كما أنه انشغل في دحر المقاومة التي قامت ضد النظام في روسيا فاندفع إلى مقاومتها بشدة وإلى التركيز في التصنيع الحربي وزيادة القوة العسكرية للاتحاد السوفيتي أكثر من التركيز على قيام الثورات الذي بدأه لينين في البلاد الأخرى .

وأصبح القاري عذرا في الاختصار الشديد للملاحظات ، التي لجأت إليه مكتفيا بذكر أهم الوقائع التي تحدد كيفية التسلسل الشيوعي وتبين بوضوح أنه حدث بخطئة متكاملة نفدت بالتدرج ، وإنه المنفذ لها كانوا مندوبين موفدين من موسكو لتنفيذها ، إلا أنها فشلت في النهاية لأسباب متعددة تفصيلها كما يلي :

● تبعية الشيوعيين لدولة أجنبية — علانية — مهما قيل عن وصف العقيدة بالإمبية ، خاصة وأن الشروط التي وضعتها الشيوعية الدولية وقبيلها الحزب الشيوعي المصري ، تتضمن صراحة الولاء لإتام لدولة أجنبية والتضحية بمصالح الوطن في سبيلها .

● الدور الذى قام به الأجانب ، - عملاء الشيوعية الدولية واليهود الروس ، نفر الشباب المصريين المتعطشين للثقافة الأجنبية من هذا النشاط .

● ما ثبت من التحقيقات أن أموالا أجنبية تنفق على الحركة الشيوعية فى مصر .

● اعتمد كثير من المثقفين الذين رأوا أول الأمر أن الحركة الشيوعية عون لهم فى مناهضة الاستعمار ، وكان هدفا عزيزا لديهم يتعاونون فيه مع الشيطان طالين أن هذا الشيطان الأحمر سيوصل بهم فى النهاية الى طرد الاستعمار من البلاد ، ولكنهم تبينوا أنه استعمار من نوع جديد أو بوسيلة جديدة .

● اعتمدت الحركة الشيوعية على العمال اعتقادا بأنها هى الطبقة الوحيدة صاحبة المصلحة من الثورة الماركسية ، إلا أنه كان اعتقادا مشوبا بعدم الثقة .

● شعبية حزب الوفد برئاسة سعد زغلول فى جميع الأوساط خاصة بين العمال والفلاحين ، قد سحبت الأرض تحت أقدام الشيوعيين .

● قوة الدين الإسلامى وتدين المسيحيين ، فلم تجرؤ الحركة الشيوعية على الامتداد فى الريف المصرى وتوقفت عند حدهما فى المدن الكبرى .

● الضربات المتوالية التى تلقاها الشيوعيون من السلطات وفقد الثقة فى بعض الاعضاء لتعاونهم مع البوليس .

الفصل الثالث

التسلسل الشيوعي بوسائل أخرى

أن نظرية الحركة الثورية في المستعمرات أو شبه المستعمرات التي اعدّها أتوكوزين (Ottokusin) أحد فلاسفة السوفييت للمؤتمر السادس للكونغرس عام ١٩٢٨ ، كانت متفقة مع المبادئ اللينينية الستالينية . ومع ذلك ففي عام ١٩٣٥ طبقت نظرية لينين في التفرقة بين الحركات الوطنية الإصلاحية ، وذلك بسياسة جد مأكرة ، تخلص الى تكوين جبهة متحدة ضد الفاشية - وسيأتي فيما بعد ذكر الجبهة المتحدة في مناسبات متعددة - وقد جاء توضيح هذه السياسة في المؤتمر السابع للكونغرس المنعقد عام ١٩٣٥ حيث أوصى بالتعاون مع الحركات الثورية والحركات الإصلاحية في المستعمرات .

وفي خلال هذه الفترة كانت السياسة السوفيتية والدعاية في البلاد المستعمرة مستترة تماما، ولم تبدأ في السفور الا في نهاية الحرب العالمية الثانية، ويبدو ذلك من التقرير الذي قدمه « زدانوف Zdanov » في اجتماع الكومنفورم في سبتمبر عام ١٩٤٧ والذي قال فيه « أن المكافحين الوطنيين ضد الاستعمار ، والأحزاب الشيوعية والقوى الديمقراطية التقدمية في جميع البلاد ، لن يكونوا الطبقات الحاكمة فيها من أن تحكم هذه المستعمرات طبقا للنظم القديمة » .

وقد لوحظ دائما ، أن الوسائل المنسجرة حتى الآن لمساعدة الشيوعيين والهيشات المائلة لهم ، كانت تنحصر في ثلاث كلمات « الدعاية - التسلسل - والتخريب » ويعنى هذا كما كان يحدث دائما استغلال الهياج الوطنى أينما حدث وكيفما كانت الأسباب لصالح الشيوعية ، والابتعاد عن الدعاية السافرة بين الجماهير لكسب عطف وتعاون البسطاء . وكل هذا سيأتي تفصيلا وتفصيلا في الأحداث القادمة .

جمعية أنصار السلام

لنبدأ هنا بسام ١٩٣٠ عندما خطب وزير الخارجية السوفيتي ماليتكوف في الشبيبة الشيوعية بموسكو قائلا ما معناه ، أن حركة ضخمة للسلام ستقوم في العالم تجعل أعداء الثورة الشيوعية يغفلون نائمين فإذا استيقظوا فجأة ، كانوا أول من يتلقى الضربة القاضية بأيديهم فلا تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

وبدأ تنفيذ هذه السياسة فعلا في عام ١٩٣٦ ، والاستعمار الإيطالي يفزو الحبشة ، وعصبة الأمم تلفظ أنفاسها الأخيرة ، والمذاهب النازية والفاشية تستفعل وشبح الحرب يقترب - فقام بعض الأجانب واليهود بتأليف جماعة عرفت بنادى السلام واتضم اليهم بعض المثقفين المصريين غير عالمين بتوايهم مثل الدكتور عبد الرازق السنهوري والدكتور زهير جرانة وكثير من أقرانهم الشباب ، وكان الغرض من هؤلاء المثقفين المصريين ، تغطية حقيقة تكوين هذه الجماعة .

أما هؤلاء المثقفين فقد كان هدفهم العمل من أجل السلام دون معرفة بما يجري خلف ظهورهم ، ولذلك كانوا أول المنفصلين عنها .

ثم ترى الشيوعية والصهيونية . والمخابرات البريطانية - كل بمخططة وأهدافه - أن الفرصة سانحة فتتكون جمعية أنصار السلام وينضم إليها عدد من الأجانب وعدد من الشباب اليهود ، ويلعب الشيوعيون دورا غامضا في الدعاية ، ويقيد الشباب اليهود من الظروف طيقا للتوجيه الصهيوني ، وأما القلة من المصريين الذين انشعبوا للجمعية ، فكان جلهم من المختلطين مع الأجانب والذين تعلموا في مدارس أجنبية ، وانضم إليها من الشباب اليهود وأول كورييل وحقيقه الأضمر هنري كورييل وهما مؤسسا أول حلقة شيوعية من اليهود في مصر ، ومارسيل

اسرائيل وريمون دويك وهليل شوارتز وسلامون سدنى وغيرهم كثير ، وسيأتى ذكرهم كمؤسسين للمنظمات الشيوعية ، والسيلطة سيزا نبراوى وكانت من المصريين المتفرنسين ، ويقف خلف هؤلاء صهيونى آخر ولو أنه ليس يهوديا وهو جاكو دى كومب .

وتبدأ الحرب العالمية الثانية ويدخلها الاتحاد السوفييتى الى جانب الحلفاء ، ويامر البريطانيون بعدم مهاجمة الاتحاد السوفييتى ، ويجد الشيوعيون أمامهم الفرصة الذهبية للدعاية الشيوعية .

وبدأت الدعاية ضد المانيا النازية وإيطاليا الفاشية لأنهما تحاربان اليهود ، وضد بريطانيا لأنها أعطت وعدا للوطن القومى لليهود ولم تنفذه بعد ، ومع الحلفاء ومنهم الاتحاد السوفييتى .

وتصدر تعليمات بريطانيا الى راؤول كوريليل بالسفر الى الكونغو كمضو فى المخابرات البريطانية ، على أن يسلم إدارة الحلقة التى أسسها من الشبان اليهود الى شقيقه هنرى كوريليل .

ثم انقسمت الحلقة السابقة الى حلقتين : الأولى بزعامه هنرى كوريليل والثانية بزعامه الصهيونى جاكو دى كومب .

واذا دققنا النظر فى كيفية محاولة جذب المثقفين المصريين للانضمام الى الحركة الشيوعية منذ عام ١٩٢١ ، نجد أن الحلقة التى اتبعت بعد قيام الحرب العالمية الثانية لا تختلف عن سابقتها منذ نحو عشرين سنة مهما تعددت المستويات واختلعت الظروف .

والمثقفون همنا ، كما فى أية مرحلة ، يتطلعون الى معرفة الجديد من دروب الثقافة وينهلون من المطبوعات التى غزت الأسواق فى تلك الفترة ، مطبوعة باللغة العربية فى بيروت وموسكو وكلها ماركسية الاتجاه والمحتوى . وفى نفس الوقت ينظر الشباب الى الاتحاد السوفييتى نظرة جديدة متعاطفة .

لم يتوان الشيوعيون من اليهود والصهاينة والمصريين الذين يتقادرون اليهم في اغتنام الفرصة ، وتمكنوا من تكوين جماعات علنية تعمل وسط الجماهير وتصدر المجلات وتنشر المقالات بالصحف ، وكان لديها المجال واسعا للتحرك ، نظرا لظروف مصر آنذاك من الاستعمار والاقطاع وفساد الحكم والأحزاب .

كانت الأرض خصبة لاغراء بعض العناصر المصرية بالانضمام الى الشيوعيين، وبذلك بدأت نشأة المنظمات الشيوعية السرية في مصر على يد الصهاينة .

أخى القارىء ، لم استمد ما سبق وما سياتى من المجلات والصحف أو من الكتب التى حررها بعض الشيوعيين أو بعض الأفاضل بناء على أقوال زعماء الشيوعيين ، إنما سألنا الى وقائع من القضايا التى قدمت للمحاكم وصدرت فيها أحكام بالسجن والأشغال الشاقة ، وإلى ما كتبه الشيوعيون أنفسهم بخط يدهم لتدارسها فيما بينهم أو مما ضبط فى نشراتهم السرية .

تسليمية الرأسمالية والشيوعية

ويرجع الفضل لى هذه التسمية للأخ الأديب لمى الطيمى ، فعندما بدأ التسلسل الشيوعى الى مصر ، اتحد ثلاثة على طريقة « حسن ومرقص وكوهين » ، وهم جوزيف روزنتال وأنطون مارون ومحمود حسنى العرابى كان الأخير آلة يسيرها الاول والثانى ويدفعانها الى موضع الصدارة ، ويصبح البطل الساذج عميلا للكومنترون ، والثانى محام متفرغ ويعمل فى المحاماة ويخلق على نفسه صفة سكرتير الحزب ويشرف على أعماله التخريبية فى الحركة الوطنية والعمالية ، وعلى الرغم من أنه كان عربيا لبنانيا ، إلا أن تكوينه المتأثر بمختلف الافكار الاجنبية الدخيلة على العربية وأصلاتها سهل عليه العمالة ، أما ثالثهم فكان اليهودى الباكي على مصالح الطبقة العاملة فى مصر والذي كان أول من وضع البنور فى الارض الممتدة أمامه متديان دولة أجنبية .

وقد انتهى المطاف بمحمود حسنى العرابى بمد يأسه الى ألمانيا النازية حيث عمل مدرسا للغة العربية ، وهذا قبل أن يسود الى مصر ويصل مترجما فى جريدة المساء .

وأما اليهودى روزنتال ، الشيوعى الدولى ، فقد احتفى بدار الحماية البريطانية التى أصبحت دارا للمجنوب السامى البريطانى ، ثم غادر الاسكندرية الى لندن وواصلت ابنته شارلوت النشاط الشيوعى فى الاسكندرية والقاهرة حتى غادرت البلاد .

هل يمكن لأفراد هذه صفاتهم ، أن يقوموا بهذا النشاط نتيجة اقتناع وإيمان بفلسفة معينة تدعو الى الخير وانصاف الفقراء من ظلم الأغنياء ، وانقاذ الشعوب الضعيفة من براثن الطبقات الرأسمالية ؟

هكذا بدأت المنظمات الشيوعية تتخذ طريقها الى التنظيم الدقيق بالنسبة للدعاية العلنية أو ما يطلق عليه اصطلاحا « التكتلات الديمقراطية » وتهدف الى السيطرة على جميع أوجه النشاط البشرى سواء كان اقتصاديا أو سياسيا .

وتتخذ هذه التكتلات فى البلاد غير الشيوعية ستارا لتفطية نشاط الحزب السرى ، فيختفى وراءها وينضم كثير من الناس الى هذه الجبهات العلنية ، ومنهم عدد كبير ينفرون من الشيوعية ، ولكنهم ينضمون عرقا بطريقه خاطئ الى الهيئات لتفادى فى سبيل السلام أو الحصول على شروط أفضل للعمل أو الحصول على حقوق للمرأة .. الى آخره .

والطريق الى تكوين هذه الجبهات يتم بأحد الأسلوبين الآتيين :

● تتكون الجبهة من الشيوعيين غير المعروفين عند تأسيسها ثم تضم اليها أعضاء آخرين .

● يتسلل الشيوعيون الى هيئة غير شيوعية يستغلونها ، أو جماعة تخضع لسيطرة الشيوعيين وتتضمن جماعات أخرى غير شيوعية فى اتحاد أو جبهة متحدة .

وقد حدث ذلك على نطاق عالمى فى اتحادات مختلفة ، على سبيل المثال الاتحاد العام لتقابات العمال العالمى بعد عام ١٩٤٥ .

ولمصر مصر استغل الشيوعيون هذه الأشكال الجماهيرية فى تجنيد الأعضاء للحزب الشيوعى السرى ، وقد بلغ عدد هذه التكتلات الديمقراطية أو الجماهيرية فى الفترة من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٧ حوالى ثلاثين شكلا . وكان أولها جمعية الحيز والحرية عام ١٩٣٩ ، التى تكونت من بعض اليهود وبعض المصريين . واتحاد الشباب الديمقراطى من اليهود خاصة ١٩٤٣ ، ثم جماعة الفجر الجديد التى استغلت مجلة بهذا الاسم وكتب فيها شباب من اليهود والمصريين . ونضيف الى هذه الأشكال :

دار الأبحاث العلمية .

جمعية الدراسات الاجتماعية .

• دار النشر للقرن العشرين •

• لجان مكافحة الكوليرا •

• لجان مدو الأمية •

• لجان السلام •

• لجنة نشر الثقافة الحديثة •

• جمعية الفورم (Forum) •

وأسس اليهود هذه الجماعات ، واختاروا بعض المثقفين المصريين من الشباب ليكونوا واجهة لهذه التنظيمات •

وتنفرد الجمعية الأخيرة Forum بأنها كانت يهودية صهيونية صرفة ، أعضاؤها من اليهود الشباب ، ويرأسها صهيوني يدعى البير هاوريل ، تمكن من تجنيد الكثيرين من أبناء وبنات العائلات اليهودية لضمهم الى الصف الصهيوني وتدريبهم على الشيوعية في نفس الوقت • وقد ضبطوا عام ١٩٤٦ وأبعد البير هاوريل عن البلاد وأُخِلَ منبيل باقي أعضاء المنظمة •

ونتناول المهم من هذه الأشكال الجماهيرية ، ذات الأثر الواضح في الحركة الشيوعية ، ولا أدري ما السبب في أن يخلج بعض من أرخ للحركة الشيوعية - خاصة من الشيوعيين والأدباء الذين استمدوا معلوماتهم من الشيوعيين - يخلجون من ذكر تفاصيل هذه الفترة ، بل أنهم يسمون اليهود بلفظ الأجانب ولملمهم لا يودون أن تسطع اليد اليهودية التي لعبت الدور الرئيسي في تأسيس الحركة الشيوعية •

ومصر التي كانت خاضعة للاحتلال البريطاني في ذلك الوقت ، قد أجبرت في أوائل الأربعينيات على انشاء علاقة دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي بدرجة مفوضية ثم أصبحت سفارة بعد ذلك •

ولنسال الشيوعيين من المصريين الذين عاصروا تلك الفترة ، هل يفكرون
سلطانوف الوزير بالمفوضية السوفيتية ، الذى كان يجند بنفسه للحركة
الشيوعية فى مصر عشرات من اليهود الشبان والشابات ، بل وبعض الشباب
المصرى والسودانى ، وقد اتبع سلطانوف وسيلتين أو احدهما فى تجنيد الشباب
اليهودى ، أصبحتا قاعدة بعد ذلك ، وهما :

● المال ، وهو أقوى الوسائل لقلية الضعف البشرى *

● الاقتناع ، بأن هذه الحركة سيفيد منها اليهود لتحقيق حلمهم الدائم
فى انشاء الدولة الاسرائيلية . وقد اضاف اليهود المجندين بمعرفة سلطانوف ،
الاغراء بالجنس وكم قرأنا اتهامات المنظمات لغيرها بالانحلال الجنسى وقد ظهر
ذلك فى منشوراتهم *

ومارس تكتل الفجر الجديد بداية النشاط ومن أعضائه يوسف موسى درويش
وريمون ابراهيم دويك وايزاك سعد وهم من اليهود ، ومحمود العسكرى ،
وأبو سيف وغيرهم من المصريين . واستغلوا مجلة الفجر الجديد باسم أحد الشبان
المصريين *

وكان يتزعم هذا التكتل جاكو دى كومب ، الا أنه فى سبتمبر ١٩٤٦ عقب
ضبط كثيرين من الشيوعيين أثناء حكومة اسماعيل صدقى أمس المذكورون
منظمة شيوعية سرية تدعى « منظمة طليعة العمال » كتنظيم له برنامج ولائحة
ومستويات هرمية الشكل *

والتفت حكومة اسماعيل صدقى ، اثر هذه الحملة ، كل التكتلات السابقة ،
ومكتباتها ودورها وضبطت تلال من المطبوعات الماركسية الشيوعية . وما يصيب
الانسان بالحب ما سعى وقتئذ بلجان الكوليرا التى تكونت فى عام ١٩٤٧ أثناء
وباء الكوليرا فى احياء بولاق وشبرا وبولاق الدكرور لتوعية الناس صحيا
والاعتكاف بالجاهير وإطلاق الدعاية ضد الحكومة القائمة وقتئذ وتجنيد الأعضاء
للمنظمة من خلال ذلك *

الباب الثاني

الفصل الأول:

التنظيمات الشيوعية السريّة

الحركة الديمقراطية للثورة الوطنيّة

هدتو وأوجه نشاطها

الحركة الديمقراطية وثورة يوليو ١٩٥٢

الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ونظمته هدتو

نشاط منظّمته هدتو بعد الثورة

الحركة الديمقراطية وأزمة مارس والتوجيه من الخارج

القضية رقم ١٤ عسكريّة عليا عام ١٩٥٥ عابدين

الفصل الثاني:

وهدة المنظمات عامي ١٩٥٥ / ١٩٥٦

الحزب الشيوعي المصري الموحد

أسلوب الرعاية للحزب الشيوعي الموحد

الحزب الشيوعي المصري المتحد

الرعاية الشيوعيّة خلال عامي ١٩٥٧ / ١٩٥٨

الفصل الثالث:

الديمقراطية والحزب الشيوعي المصري

المنظمّة وثورة يوليو عام ١٩٥٢ م

القضية رقم ١٥٠ جنبايات عسكريّة عليا عام ١٩٥٦ م

السبب الوهمي لوزة السياسة

إعداد وهدة شيوعيين وقائم الحزب الشيوعي المصري

الفصل الأول

الأنشطة الشيوعية السريّة

كان من آثار التكتلات الجماهيرية السابقة تمكن الشيوعيين من تجنيد العناصر الصالحة للتنظيمات الشيوعية ، ونشر الثقافة الماركسية ووجهة نظرها في مختلف شئون الحياة العامة والحياة السياسية .

ولا ننسى أن الحالة العامة في مصر ، كانت مجالا رحبا للشيوعيين والمتركسين من اليهود والمصريين ، ليحولوا فيه كيفما شاءوا مستغلين المد الثوري للشعب المكافح للاستعمار ، المطحون اقتصاديا ، وما تبعه من فساد الحكم ورغبة الشباب المثقف في التغيير ، وسهولة تعلقه بأية ثقافة جديدة يظن أنها قد تكون له عونا في تحقيق آماله وأمانه .

وفي معترك الحياة السياسية حينئذ ، والشباب في ثورة مستمرة يطالب بالاستقلال والحرية ، بدأت أصابع الصهيونية والشيوعية الدولية تنلمس موضعها في المياه العكرة كشأنها دائما .

وقد تكلمنا سابقا عن أهم حلقتين ماركسيتين ظهرت في بداية الأربعينيات ، وهما الحلقة التي يتزعمها هنري كوريل وسماها عام ١٩٤٢ « الحركة المصرية للتحرر الوطني ، ويرمز إليها « حمتو » .

وأما الحلقة الثانية ، فقد أسسها اليهودى هليل شقارتز فى نفس الفترة
وسماها « اسكرا » وهو لفظ روسى معناه الشراة .

وكان أعضاء الحركتين فى بدء تكوينهما من عدد قليل من اليهود والأجانب
وأقل منهم عددا من المصريين . وأعلن هنرى كورييل رأيه بوجوب تمصير التنظيم
وضم بعض العمال المصريين اليه . وبالنسبة سجد له المصريون الشيوعيون شكرا
على كرمه وأريحيته ، مع أنه لم يتم تمصير التنظيم الا بعد عشر سنوات عندما
استنفذ اليهود أغراضهم ، وأجبروا على الرحيل من مصر وبقيت علاقتهم بل
وادارتهم للمنظمات أثناء وجودهم بالخارج كما سيأتى .

وكان للتقسيم المشار اليه معناه ، فحلقة هنرى كورييل تسمى الى ضم
العمال اليها ، وأما حلقة هليل شقارتز فكانت تسمى الى ضم المثقفين من الطلبة
والموظفين والأدباء والكتاب وغيرهم . وأما الهدف فواحد . والمؤسسين من عنصر
واحد والمسرحية مؤلفها واحد . ولكن الممثلين مختلفين ، يقومون بالأدوار المرسومة
لهم مغمضى العين لا حول لهم فى التفكير ، ولا قدرة لهم على التدبير .

ومن المنظمات الأخرى التى تكونت فى عام ١٩٤٣ ، اتحاد الشباب الديمقراطى
ولم يبق طويلا اذ انضم أفرادهم ومعظمهم من اليهود الى المنظمات السرية التى
تكونت بعد ذلك .

وخلال هذه الفترة أيضا ، حاول بعض اليهود ومعهم قلة من المصريين تكوين
منظمات صغيرة لم يكن لها شأن مثل : منظمة تحرير الشعب ، وعصبة الشيوعيين
المصريين التى تكونت فى أواخر عام ١٩٤٥ وكانت ذات عقلية يسارية صخرية ،
أوضححتها إحدى نشراتها فى مقال عن ضرورة دخول الجيش الأحمر الى مصر لتحرير
البلاد من الاستعمار ولم تعيش هذه المنظمة طويلا . ولكن المنظمات - حتى عام
١٩٤٧ - تبلورت كلها فى الأشكال الآتية :

● جبهة التحرير التقدمية .

● جبهة الأحرار الديمقراطية .

- طليعة العمال •
- المنظمة الشيوعية المصرية •
- نواة الحزب الشيوعي المصري •
- النجم الأحمر •
- نحو حزب شيوعي مصري •
- اسكرا •
- الحركة المصرية للتحرر الوطني •

وكانت مهمة هذه التنظيمات جميعها ، تجنيد أكبر عدد من العناصر المصرية لتؤمن بالافكار الشيوعية وتنشرها بين الناس ، مع العناصر اليهودية الصهيونية التي تمثل دورها متخفية وراء النظريات الشيوعية •

والمعروف أن العناصر اليهودية ، بحكم أوضاعها الخاصة في المجتمع ونظرتها الى المستقبل القريب في تكوين اسرائيل ، يستحيل عليها أن تؤدي هذه المهام سافرة الوجه •

ويسبقين من تاريخ هذه المنظمات أنه كان لدى اليهود غرض آخر خفى على الشباب المصري الذين وقعوا في جائلهم ، وهو تفتيت جهود المصريين التي يمكن أن تجتمع لحمة الوطن • واضاعة هذه الجهود في معارك مفتعلة ، والانحراف عن الطريق السبوي للنضال الوطني ، وذلك بافتعال معارك وهمية وخلافات نظرية تدار بمهارة •

وفوق ذلك فقد أرادت الصهيونية خلسة الشيوعية الدولية ، حتى تقف بجوارها في المحافل الدولية تساعد على تحقيق أحلامها •

وفي التحقيقات التي أجرتها النيابة وضبطت فيها نشرات متعددة صدرت عن منظمات اسكرا والحركة المصرية والفجر الجديد تبين أنها تمتلئ باتهامات متبادلة بين هذه التنظيمات عن العمل لحساب الصهيونية والانحلال الجنسى والانحراف عن الماركسية • وكانت هذه الاتهامات تتكرر دائما حتى نهاية الخمسينيات ، كلما ارتفعت الصيحات مطالبة بوحدة المنظمات الشيوعية • ومع ذلك فقد اتحدت رغم سؤاتها •

دور الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني

اتحد الصهيوني هنري كورييل ، صاحب منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطني مع زميله هليل شقارتز صاحب اسكرا ، وأسسوا منظمة واحدة سميها « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » واختصارها « حدتو » .

ونظرا لأهمية هذه المنظمة بسبب ازدياد نشاطها في فترات مختلفة وكثرة أفرادها من اليهود والمصريين والسودانيين ، وتسلسلها الى النشاطات الوطنية المتعددة بين الطلبة والعمال والمتقنين الذين كانوا يحفرون الأرض بأظافرهم لطرد الاستعمار وإجبار الحكومة القائمة والسراى على تحقيق آمال الشعب .

وتأسيسا على ما وعدت به ، من أن تكون مصادري محققة ثابتة ، فقد رأيت أن أوضح نشاط هذه المنظمة السرى بالدرجة الأولى وكيف كان الشبان الوطنيين يقعون في حبالها .

ولم أجد لذلك خيرا من زفرة حارة ، بل وهى صرخة مدوية أطلقها السيد / سعد محمد حسن مهدي اذ كتب يقول :

« لم انضم الى هذه المبادئ ومنظمتها الا بفرض وطنى برىء ليس من الأغراض الشخصية الانانية ، أو الأهداف الوصلية التى تميز بها غالبية العناصر المنتمية الى المنظمات الشيوعية » .

كنت أعتقد عن حسن نية ، أن هذا فى سبيل تحرير وطنى من الاستعمار ووضع حد لبؤس الشعب وفقره ، وأساس هذا تربيتى الدينية التى كان لها عظيم الأثر فى نشأتى الاجتماعية وعطفتى على الفقراء والبانسين .

ولعلم وجود القيادة السياسية الصالحة المخلصة لقضية الوطن والشعب ،
انعرفت عن طريق الصواب لوقت ليس بالقصير .

لقد شاهدت نماذج من العناصر التي لا تعمل بوحى من ضميرها الوطنى ،
بل بوحى من مصالح مادية لقوميتنا ومصالح شعبنا ، عناصر صهيونية واستعمارية
تتخذ من التنظيمات الشيوعية وسيلة لتخريب اهدافنا القومية واستغفلت حماس
واندفاع الشباب الوطنى المخلص ، وكانت تلقى اليأس وفقدان الثقة فى مستقبل
نضال الشعب . لولا أن أراد الله أن يهدينا الى طريق الحق والحب ، وأن يجمع
من نفس البغضاء والكراهية ، وأن يجنبني الانحراف .

ومنذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٦ كنت أرى فى حزب الوفد الحزب المناضل
من أجل الاستقلال والدستور ، وكانت قد وردت أفكار جديدة جذابة مع نهاية
الحرب العالمية الثانية ظهرت فى المجلات اللبنانية والعراقية مثل مجلات الطريق
والمجلة ، وكذلك فى بعض المجلات المصرية مثل مجلة اتحاد الجامعة والفجر الجديد ،
وأم درمان^(١) . وظهرت أيضا كتيبات صادرة من دار الثقافة الحديثة ودار الأبحاث
العلمية .

ومن هنا نشأت معرفتي بهذه الدور وسمعت فيها محاضرات ضد الاستعمار
والأحلاف ومحاضرات عن سياسة الاتحاد السوفييتى ازاء القضايا الوطنية وغيرها
عن الفلسفة الاشتراكية .

وعرفت أشخاصا من الحاضرين مثل شهنش عطيه الشافعى ، وآخرين .
وتعرفت على عدد من المستمعين والمعلقين مثل سيد سليمان الرفاعى وهنرى
كورييل .

وقد أدت معرفتي بالآخرين ، الى التعرف على المنظمات الشيوعية السرية .
كانت أول منظمة تعرفت عليها هى الحركة المصرية للتححر الوطنى ونظمت عضوا
فيها فترة من الزمن . وكنتيبة لثقافتى وامتناعى بسرعة للأفكار الماركسية
صعدت الى عضو لجنة مسئولين ثم الى عضو لجنة قسم ، وتعرفت على عدد من
الأشخاص منهم عبد ذهب^(٢) وآخرين .

(١) مجلة خصمة للشباب السوطانى .

(٢) عبد اللطيف ذهب ، من كبار الشيوعيين السوطانيين .

وعرفت أن هنرى كوريل اسمه التنظيمى « أبو حجاج » وقد غير اسمه بعد ذلك الى « يونس » وتعرفت على محمد شطا « حميدو » وعلى كمال عامل نسيج وشخص يهودى اسمه جو متالون واسمه التنظيمى « مولوتوف » وآخرين لا أذكر حاليا أسمائهم .

كما تعرفت على أشخاص من خارج التنظيم مثل محمود فتحى وفوزى جرجس.

كان معظم عملى فى هذه الفترة هو تدريس ما أدرسه من النظرية الماركسية، كما درست على العمل فى جهاز طبع الروثيو ، الذى كانت تطبع فيه المطبوعات والمنشورات ، وعرفت أنه توجد منظمات أخرى غير منظمنا مثل « اسكرا » وحركة تحرير الشعب ، وقيل لى فى ذلك الوقت أنها منظمات منحرفة وملثية بالعناصر الخائنة ، أو فى أحسن الأحوال عناصر غير مكافحة .

وفجأة فى أوائل عام ١٩٤٧ ظهرت فكرة الوحدة مع هذه المنظمات من أجل تشكيل تنظيم شيوعى موحد . وكانت هذه مفاجأة غريبة لى . ما معنى الدعوة الى الاتحاد مع هذه المنظمات الخائنة المنحلة ؟ ما كنت أدري أو أشك لحظة فى أن الانحراف والخيانة كانا رابضين أيضا فى المنظمة التى أنتمسب اليها . بل كنت متحمسا لها مدافعا عنها مصاديا لفكرة الوحدة .

ولكنى وأمثالى ، ووجهنا بخطاب باللغة الفرنسية ، ترجم الى العربية وقيل لنا أنه مرسل من الحزب الشيوعى الفرنسى يؤيد الوحدة . وفهمت بعد ذلك أن الخطاب مرسل من مجموعة من اليهود المقيمين بفرنسا وهم من اصدقاء الحركة المصرية للتحرير الوطنى ومنظمة اسكرا ، وعلى علاقة بالحزب الشيوعى الفرنسى ، تابعين لقسم المستعمرات فى الحزب . عارضت فى الوحدة ، ولكن معارضتى كانت من الضعف بحيث لم تجد الا تأييدا ضعيفا أمام دعوى ، أن الاخلاص للاممية يقتضى تنفيذ الوحدة .

وتأسست بهذه الوحدة ، الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى ، ومنذ اللحظة الأولى عملت بحذر لمعارضتى للوحدة وعزلت فى أحد الأقسام الحاملة النشاط ،

ووصل بهم الأمر أن دبّروا لي مؤامرة لحلق ارتباك عائلي ، أساسه الجانب المادي ، فقد كنت موظفا مستقرا ماليا ، لست في حاجة الى أية معونة بل أدفع التبرعات الى جانب اشتراكي الشهري للمنظمة .

هنا قرروا احترافي ، وكنت لشدة حماسي في ذلك الوقت ، افضل التفرغ لأواجه الأعمال التخريبية في التنظيم . وبالفعل قدمت استقالتني من وظيفتي ، ورغم أن مرتبي كان ١٦ جنيها فقد قرروا أن أتقاضى ثمانية جنيهات .

وبعد خمسة أسابيع أبلغوني أنه قد تم إعادة النظر في ميزانية المحترفين ومن الضروري تخفيضها ، وأنه لا يمكن صرف أى مبلغ لي . وعرفت الغرض من قرار احترافي وأنه لاذلالى واخضاعى لارادتهم . ثم وفقت لعمل آخر وقطعت على المتأمرين خط الرجعة .

كانت الوحدة قائمة على أساس الصراع على مراكز القيادة في التنظيم الموحد . وسرعان ما فضلت .

كان الخلاف حول تقرير سياسى قمنه هنرى كوربيل ، فتفجرت الخلافات عن انقسامات متعددة منها « التيار الثورى » بقيادة شهيدى عطيه الشافعى « سليمان » و « المنظمة العمالية » بقيادة أحد الذين أصبحوا من العلماء فيما بعد « عادل » و « نحو حزب شيوعى » بقيادة خليل شقارتز « شندى » و « المنظمة الشيوعية المصرية » بقيادة سلامون سدنى وزوجته وعدد آخر من المنظمات .

ولما وجد هنرى كوربيل وشلتة في القيادة أمثال : سيد سليمان الرفاعي ، ومبارك عبده فضل ، ومن يتسمى باسم تنظيمى « خليل » ، أنه في حاجة الى العناصر التي كانت تربطهم بها علاقات قديمة في المنظمة السابقة « الحركة المصرية » بدأوا في الاتصال بى وتبرير ما وصلت اليه « حدتو » من تدهور وانقسام وتملصوا من مسئوليتهم . وقال هنرى كوربيل بأنه يعتبر مستقبل الحركة امانة في عنق عناصر الحركة المصرية . وكون منى ومن مصطفى طيبة « شكرى » وآخرين مجموعة بهدف توثيق علاقته من جديد بعناصر القاعدة .

وكننت أظن الاخلاص فى هنرى كوربيل لما كان عليه من براعة فى تغطية جرائمه وتبرير أخطائه .

وما أن قبض على كوربيل ، حتى تحررت من تأثيره الفكرى وبدأت أشك فى اخلاصه ثم انتهيت بالحكم عليه بسوء النية ، بل وبالخيانة نتيجة علاقته بعناصر صهيونية ، مثل شخص قدمه لنا باسم « صلاح » وهو يهودى من عائلة « حزان » . وهى عائلة علمت أن لها أصول فى فرنسا وفروع فى اسرائيل وقد قال لى صلاح هذا أثناء مرده لتاريخ حياته ، أنه كان صهيونيا ثم اعتنق الماركسية وأن المنظمات الصهيونية تدرس الماركسية لأعضائها أيضا حتى تستطيع استخدامهم كأدوات داخل الحزب الشيوعى .

وعلمت منه أيضا أن جو متالون الذى كان يسمى نفسه مولوتوف كان قديما يعمل لصالح المخابرات البريطانية ولكنه تركها واعتنق الماركسية .

هاتان الحادثنان تفجرتا فى ذهنى وأصبحت على هديهما أقيس أعمال هنرى كوربيل من جديد ، فاقتنعت بخيائنه وطرات فى ذهنى فكرة البعد عن كافة التنظيمات القائمة فى ذلك الوقت والتى كانت تتميز بوقوعها تحت سيطرة عناصر يهودية مشكوك فى اخلاصها لتفضية الوطن .

نشأت نفس الفكرة عند عدد من العناصر منها مصطفى طييه « شكرى » وصبرى جبر وموريس يوسف وعدد آخر لا أذكره . وبدأنا نفكر فى العمل بعيدا عن كافة المنظمات واتفقنا على عدم تكوين أى تنظيم جديد . ولكن علينا أن نعمل على نشر المراجع الماركسية حتى يستطيع المخلصون فى كافة التنظيمات أن يتبينوا طريقهم السليم فى مواجهة مؤامراتهم وتضليل القادة الصهاينة .

وكانت مع أحدنا مطبعة سرية ، فقد بدأنا فى طبع كتيبات مثل الجزء الاول والثانى من تاريخ الحزب الشيوعى البلشفي ، وكنا تصدرها ببطء لقله المال .

فوجدت بانضمام المجموعة التى أنشأها اليها ، وكانت تدعى «كتل المطبعة» الى منظمتى « نحو حزب شيوعى » « والعمالية الثورية » ، وكونوا منظمة واحدة

باسم « نحو حزب شيوعي مصرى » واختصارها « نحشم » فعارضت هذا التصرف ، واعتبرته خروجاً على الأساس المبدأى الذى اتفقنا عليه كأفراد ، وهو عدم الوثوق بالناصر اليهودية ومنظماتها واعتبرت أن هذه الوحدة سوف تدمر الخطوة التى بدأت لـأخراج الشيوعيين المصريين من التخبيل والجهل وسيطرة العناصر الأجنبية ، وكان هذا هو ما تم فعلاً ، فانفصلت عن هذه العلاقة فترة من الزمن بعيداً عن كل المنظمات •

ما زلت أسجل ما حرره السيد / سعد محمد حسن مهدى ، ويستطرد قائلاً :

« بعد فترة التقيت بإبراهيم عرفة « خضر » وكنت أعرفه سابقاً فى «حدثو» وفوزى جرجس وكنت أعلم أنه فى منظمة العصبة الماركسية ، واتفق الرأى بيننا فيما يختص بالعناصر الأجنبية فى الحركة الماركسية • وبدأت أعمل فى هذه المنظمة حتى تحولت الى منظمة « نواة الحزب الشيوعى المصرى » •

وتعرفت على أشخاص مثل : عبد الله كامل ، وفخرى ليلى ، وعامل فى الترام وعامل نسيج فى أمبابة ولويس بقطر وآخرين لا أذكرهم •• وحدث انقسام وخرج من المنظمة فخرى ليلى وعبد الله كامل وانضموا الى منظمة وطليلة الشيوعيين •

وقامت الثورة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، فطردت الملك ، وأصدرت قانون الإصلاح الزراعى ، وللحقيقة أصدرنا بيان نؤيد كل الخطوات التى تمت ونطالب ببعض المطالب السياسية والاقتصادية مثل إلغاء النظام الملكى ومصادرة أملاك الأسرة المالكة • وقد أخذت علينا المنظمات الأخرى هذا التأييد • وفسرنا موقفنا على أساس أن الأعمال التى تمت هى أعمال تقدمية لصالح الشعب ويجب تأييدها ، وعلينا أن نثريث حتى تظهر كل أهداف الثورة •

وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ قبض على وعلى فوزى جرجس غطاس ونصر خليل وحسن عبد السلام وإبراهيم عرفة وأحمد الصباغ وعبد الفتاح درباله وآخرين •

وفى أثناء السجن ظهرت فكرة الوحدة من جديد بين المنظمات الموجودة عندئذ مثل « حدثو » « وحدتو التيار الثورى » « والنجم الأحمر الذى كان به

على جرجس واحمد خضر ومحمد عباس وآخرون ومنظمة الطليعة الشيوعية ومنظمة الديمقراطية الشعبية وقد تغيرت الى طليعة العمال وأخيرا منظمة الحزب الشيوعى المصرى •

ومرة أخرى تتكرر تمثيلية الوحدة ثم اعلان الحزب الشيوعى الموحد عام ١٩٥٦ بعد مساومة على توزيع مناصب القيادة •

عارضت هذه المسرحية بشدة ، لأنها لم تتم على أسس سياسية واضحة ومكنت من جديد لنفوذ العناصر اليهودية • وقد كنا نعلم أن هنرى كورييل كان يرسل رسائل من روما بتوجيهات الى حدتو وكان العناصر التى تدعى القيادة ، ما هى الا أدوات فى يد عناصر اجنبية •

كان ضمن القضايا التى جاءت الى السجن ، قضية الصهيونية المشهورة من الاسكندرية وبها « البير أزولاي » وآخرين من اليهود • وكذلك قضية شيوعية من القاهرة بها البير آرييه ومحمد شطا وآخرين •

كان اسمى الحركى « سمعان » وتسميت باسمين آخرين ، هما منير ورشاد، وعرضت على عضوية اللجنة المركزية للحزب الموحد ، فرفضت لايمانى بخيانة القائمين على هذا العمل •

بدأت فترة طابعها الاساسى الشك فى العناصر المكونة للتنظيمات الشيوعية والشك فى صلاحية الماركسية ذاتها لظروفنا الخاصة ببلادنا ، وصممت على عدم التقيد بالمنظمات القائمة رغم علاقته الطيبة ببعض عناصر الحزب الشيوعى المصرى وحزب العمال والفلاحين الذى كان قبل ذلك يسمى طليعة العمال •

وبعد خروجى من السجن اتصل بى أشخاص من المنظمة الاخيرة لاقتناعى بعدم التوقف عن العمل ، خاصة وأن الحزب كان يؤيد سياسة الرئيس جمال عبد الناصر ، فاقنعت أنه من الممكن أن أشارك فى كشف أساليب منظمات الحزب الموحد • وكان يحضر الى منزلى بعض الاشخاص الذين كانوا معى فى السجن مثل

سيد عبد الله ونسيم يوسف وغريال ولعى يوسف دانيال ، وشوقي مجاهد
حجازي وشخص اسمه فوزى من المطبعة الاميرية ، وسيد طه ، وفريد وهو طالب
بالطب وبعض الزيارات من محمد حلمي يس ، وآخرين . وكانوا يجيشون في
غير انتظام .

ولم أمانع في بادئ الأمر ، الا انه حدث ما جعلني أقرر المزمع مع هؤلاء
الأشخاص ، وهو اعلان الوحدة بين الأحزاب الثلاثة ، وجاء ذلك مؤكدا الحيانة
التي بدأت من أواخر عام ١٩٥٥ ، ولذلك استمرت علاقتي بزملائي في السجن
مجرد علاقات عائلية مع بعض المناقشات في مسألة الوحدة مع سوريا . وكنت
أؤيدها وتناقشنا في الاتحاد القومي كتنظيم . وكانوا يرون ضرورة المحافظة
على وجود تشكيل سياسي للشيوعيين ، مع تأييد فكرة الاتحاد القومي لكل الشعب
واجراء انتخابات لتنظيمات الاتحاد القومي .

وحدثت محاولة أخرى لربط الحزب الشيوعي المصري بعد ظهور انقسام
حدثت الأخيرة . الا أن خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ديسمبر عام ١٩٥٨
كان الحد الفاصل بيني وبين التفكير الماركسي وكثرت بالتنظيمات الشيوعية
وانتهت علاقتي بكل هذا التاريخ الأليم .

الى هنا تنتهي رسالة السيد / سعد محمد حسن مهدي ، والله يهدي من
يشاء . واذا كنت لا أجد تعليقا على هذه الرسالة فإن لي بعض الملاحظات :

● ان ما جاء بالرسالة ، ينطبق تماما على ما لدى من معلومات محققة وثابتة
في عدة قضايا منها القضايا التي أشار اليها في حديثه .

● رغم أن الرسالة تتضمن قصة طويلة حدثت لصاحبها ، فإن الوقائع
التي ذكرها تخصه شخصيا . فهو يكتب من زاوية واحدة ، هي زاويته التي
رآها . ونستفيد منها كيفية اغراء الشباب وتجنيبهم وربطهم بالحركة الشيوعية
ربطاً محكما كما اشرنا سابقا . وقرأنا بعضا من تاريخ المنظمات الشيوعية .

● لما كانت المنظمات الشيوعية تعيش فى الظلام وحولها حالة من الاسرار والغموض ، فان فردا واحدا لا يمكنه ان يلم بكل اسرارها .

والسؤال الآن ، ماذا يمكن ان يكون فى جعبة الآخرين ؟ ! هؤلاء الذين وقعوا تحت سيطرة اليهود الصهيونيين منذ بدا الحركة الشيوعية فى مصر واستمروا فى تنفيذ توجيهاتهم .

وما دعنا فى صدد الحديث عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، فسنرجع قليلا الى الورا لتبيان مسار الحركة الشيوعية .

فمنذ تكوين هذه المنظمة فى عام ١٩٤٧ ، من زعيمين يهوديين هما كوريل وشفارتز ، ازداد النشاط العلنى والسرى وانتهاز الشيوعيون فرصة الثورة التى كانت فى نفوس الشباب من نير الاستعمار وصراع الاحزاب على السلطة ، وتهاون حزب الوفد فى تقدير خطر الدعاية الشيوعية ، وتركه الشيوعيين يتسللون الى مستوياته المختلفة ، خاصة مستويات الشباب وذلك بغرض استغلال امكانيات الدعاية الشيوعية لضرب الاحزاب الأخرى ، برغم كثرة العناصر اليمينية فى الوفد . وانتهاز الشيوعيون الفرصة فكونوا الهيئات العديدة للعمل بين الجماهير ، مثل اللجان الوطنية للطلبة والجهة الوطنية الشعبية وما كونه حدتو مثل رابطة الطلبة المصريين ومندوبى العمال فى مؤتمر النقابات العالمى ، احدى الهيئات العالمية التى تخضع للشيوعية الدولية وهى كثيرة . وقد دعت حدتو وباقي الشيوعيين الى عقد مؤتمر بنادى الحقوقين ، حضره - بحسن نية - بعض الاساتذة والادباء والشباب ، لوضع ميثاق وطنى لالزام الزعماء وجميع المستقلين بالسياسة بالكفاح الشعبى وهاجم بعضهم الحكومة القائمة ودعا للكفاح المسلح ضد الاستعمار الانجليزى وسياسة الاحلاف . وقد كانت هذه مطالب وطنية لا يمكن لاي وطنى ان يتخلف عن المطالبة بها . واما الشيوعيون فيحشرون بينها مطالب تهمهم بالدرجة الأولى ، مثل المطالبة بالفاء البوليس السياسى ، الجهاز المكلف بمطاردتهم والمطالبة بالفاء الاحكام الصادرة فى القضايا السياسية ، ولا يهمهم منها سوى الاحكام الصادرة ضدهم . وكذلك المطالبة بحق تكوين الجمعيات والهيئات والاحزاب وهم يقصدون بالطبع تكوين حزبهم الشيوعى .

مردود وجهه فسطاطها

إذا سرنا على ضرب التفسير والتفصيل لأوجه نشاط هذه المنظمة ، فإن يكفيننا مجلد ضخ ، وقد رأيت - رحمة بالقارىء - أن الحصر له في نقاط مستمدة من القضايا التي حكم فيها وثبتت الوقائع التي تناولها وكذلك بعض الاحداث التي لصقت بذاكرتي ، ولكن رجائي من أخى القارىء أن يمعن النظر لتفهم الاصبح الصهيونية التي لعبت الدور الفعال في كل هذه الاحداث ، واني لأعترز لما قد تسببه قراءتك من أسف ورتاء وامتناع من أبناء جنسيتك ، وقال الله ورعاك .

فابت هذه المنظمة على تجنيد كثير من الشباب المصريين والسودانيين . وكمن من الاسماء قرأنا في الصحف ، منذ شكلت الوزارة السودانية قبل ثورة التمردى البطل ومن بينها اربعة من الشيوعيين الذين درسوا في مصر ، ووقعوا في شباك الشيوعيين . وعند قيام الانقلاب الشيوعي في السودان ، كم من الاسماء قرأنا في الصحف من هؤلاء الذين درسوا في مصر وكانت لهم اليد الطولى في الانقلاب الشيوعي ، ولكن الله سلم وجنب القطر الشقيق العزيز هذا الشر المستطير .

ورحم الله زميل القدير اللواء عبد الرحمن عشوب الذى تخصص في نشاط الشيوعيين السودانيين ، وكان يحفظهم جميعا عن ظهر قلب على كثرتهم ، وكان له رأى رده لنا كثيرا وهو انه رحمه الله كان يشفق على أمن السودان العزيز بعد ان يستكمل هؤلاء الطلبة دراستهم ويعودوا الى وطنهم .

وأذكر واقعة قديمة لها دلالتها ، إذ أحضر رحمه الله الى المكتب طابعا سودانيا كان يدرس في كلية الهندسة بجامعة القاهرة ويدعى حسين إبراهيم ، وكان له نشاط شيوعي فائق الحد . وقد حاولت أنا تبصيره بمواطن الخطر في هذا النشاط وذكرته بأنه يتقابل مع فتيات صهيونيات ، فهل يرضى عن هذه الزمالة ؟ وكان خفيف الظل ، حلو الحديث ، وكانت إجابته أن كشف عن ساقه وقال متسانلا : وما رأيك إذا التصقت هذه الساق بلحم أبيض ، هل تقاوم ؟

رغم وجود العناصر اليهودية الصهيونية في مراكز القيادة بالمنظمة ، فقد تمكنت مع الأسف ، وبوسائل مأكرة ، من تجنيد الكثير من الشباب خاصة في أوساط الطلبة والعمال بعد تدريس الماركسية لهم ثم دفعهم الى الإيمان بما تتضمنه من مبادئ الأممية التي يتساوى فيها الجميع أينما كانوا .

وقد قامت المفوضية السوفيتية والسفارة بعد ذلك ، منذ افتتحت في أوائل الأربعينيات بتجنيد عدد كبير من الفتيات اليهوديات للعمل في أوساط الشباب واغرائهن بشتى الوسائل .

وأعود الى تجنيد السودانين ، فقد بلغ عددهم في اللجنة المركزية خلال فترة من الفترات أربعة أشخاص وثلاث من رؤساء المناطق وعشرات من أعضاء الأقسام والحلايا .

وفي نوفمبر عام ١٩٦٠ سافرت الى السودان وشاهدت بعض مظاهرات الشيوعيين في منطقة السوق وفي الجامعة ولاحظت عدم تجاوب الشعب معهم ، بل كان أفراد الشعب يهاجمونهم ويستنكرون أفعالهم . كما لاحظت أن بعض سفارات الدول الشيوعية تضم عددا كبيرا نسبيا من موظفيها ، خاصة الصينية ، يتكلمون اللغة العربية ، ويقيم عدد منهم في مساكن بالأحياء الشعبية والعمالية ، كالحي الذي يسكن فيه عمال السكة الحديد ويشاركون مع جيرانهم في لعب الكرة الشراب ، وفي الأفراح الشعبية ، ويوزعون المطبوعات والكتب والمجلات على كل من يتصلون به .

٣ - برز نشاط الحركة الديمقراطية حتى أوائل الخمسينيات لضعف المنظمات الأخرى التي لم يكن لها هذا الأسلوب بين الجماهير ، وأمكنا التسلسل الى فئات كثيرة كالطلبة والموظفين بل وضباط الجيش ، اذ جندت عددا من الآخرين كان لهم شأن في سنوات الثورة الأولى وفي أحداث مارس عام ١٩٥٤ وغيرها .

واذا رجعنا الى أوائل عام ١٩٤٨ فإننا نجد انقساماً حدث بداخل الحركة الديمقراطية بعد ضربات بوليسية وجهت الى أعضائها . وأسفر الانقسام عن عدد آخر من المنظمات ، ورغم أن السيد / سعد مهدي قد أشار إليها في اعترافه ، إلا أننا رأينا أن نذكرها فيما يلي :

الحركة المصرية للتحرد الوطني بزعامة هنرى كورييل ، كما كانت قبل الوحدة ، ولكنها أبت اسم الحركة الديمقراطية للتحرد الوطني .

منظمة أسكرا بزعامة هليل شيفاتز .

المنظمة العمالية الثورية .

منظمة صوت المعارضة وأصبحت بعد ذلك المنظمة الشيوعية المصرية .
وأما المنظمة العمالية الثورية فقد خرجت منها مجموعات من الأشخاص كونوا التنظيمات الآتية .

النجم الأحمر .

نحو حزب شيوعي مصري ، وقد انضمت بعد ذلك للمنظمة الأولى .

نواة الحزب الشيوعي المصري .

اعذرني أخى القارىء ، فانت ترى في هذا التيه عجبا ، ولكن ما ذنبى فقد تظن أن هذه الانقسامات المتعددة لا معنى لها ، أو أنها حدثت بسبب خلاف في الرأي أو تمسك البعض بسياسات خاصة بكل منهم . ولكنى أوضح رأيى بأنها كانت مسرحيات ، قصد بها تعدد هذه المنظمات ، كل يعمل في بيئة خاصة ووسط

معين وبسياسة مختلفة حتى يمكنها تجنيد أكبر عدد من مختلف الفئات ، ويصل الأمر بينهما كما قدمنا الى السبب والاثام أقصى الألفاظ ٠٠٠ واتخذ بعضهم شعار الإصلاح الاجتماعي مع اغفال الهدف الوطني والدعاية الشيوعية بين العمال ، واتخذ بعضهم شعارا ، أن يكون التنظيم للمحترفين والعمال فقط ، والبعض الآخر قرر أن يعتمد على المثقفين وأن تهتم المنظمات الأخرى بالمسألة الاجتماعية والثورة الاشتراكية .

ومع ذلك فقد كان هذا التخطيط بالإضافة الى العوامل السابق ذكرها ، سببا في ضعف النشاط الشيوعي بعد عام ١٩٥٠ . وهناك سبب آخر أهم من هذا كله ، وهو ضبط عدد كبير من قادة المنظمات الشيوعية اليهود ، وابعاد الكثير منهم خارج البلاد ، ورحيل عدد آخر الى اسرائيل وبلاد أوروبا . وقد أحدث ذلك خلافا في كيان المنظمات الشيوعية ، وفقدت العقل الذي كان يفكر لها ، ولا أجد شكاً في أنها فقدت المعين المادي التي كانت تعتمد عليه .

ففي عام ١٩٥١ ، اشتركت مع الرجل التقى الصالح اللواء محمد أحمد النياوي المحافظ السابق، في مراقبات تخفينا فيها حتى تمكننا من ضبط وكر للطباعة في جهة من حدائق شبرا على جسر النيل خاص بالحركة الديمقراطية للتححر الوطني . وقد هالنا ما وجدناه من عدد وآلات ، منها مقص للورق ضخ الحجم يستعمل في قص آلاف من ورق الطباعة دفعة واحدة ، ومطبعة هائلة وأدوات لها ، وأوراق مطبوعة وغير مطبوعة . وقد عجزت سيارة نقل واحدة كبيرة عن نقل محتويات هذا الوكر فاستعملنا سيارة أخرى .

ولا يصدق أحد أن منظمة سرية مهما بلغت اشتراكات أعضائها يمكنها الاتفاق على المحترفين وشراء مطبعة كهذه والصرف على متطلباتها . والقول الفصل هنا ، أنه لم يمكن لهذه المنظمة أن تنشئ مطبعة بهذا الحجم بعد رحيل اليهود الا في عام ١٩٥٨ ، بعد أن وجد الشيوعيون مصدرا هاما آخر سنانى على ذكره فيما بعد .

وبقى فى البلاد بعض اليهود الذين قرروا حمل الراية خاصة وانهم يحملون الجنسية المصرية .

وفى عام ١٩٥١ اختفى هنرى كورييل حتى ضبطه الزميل الفاضل محمد احمد المتناوى بشارع عبد الحالى ثروت لابعاده خارج البلاد ، ولما احضره للمكتب تحدثت معه فوجدته ليقا جدا فى حديثه ، حتى أنه بدأ فى اقناع بعض رجال المكتب بحسن نواياه مع شرح المبادئ التى قبض عليه من أجلها !!

ومما يذكر أن بعض الناس كان يعتقد ، أن كورييل من اصحاب الملايين . وحقيقة الامر أنه يروج هذه الشائنة ليخفى مصادر المال الذى ينفقه على الحركة الشيوعية . وما كان يملك سوى مكتبة صغيرة فى ميدان مصطفى كامل تسمى مكتبة الميدان .

ذهب هنرى كورييل الى روما وكون وآخرين ما اسماء بمجموعة روما ، وقد ثبت من تحقيقات بعض القضايا أن هذه المجموعة يرأسها هنرى كورييل وأنها استمرت فى ادارة منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى ما بعد قيام ثورة يوليو بسنوات طويلة ، وبناء على توجيهاتها طالبت المنظمة فى نشراتها المضبوطة بالصلح مع اسرائيل فى الوقت الذى كانت المنظمة تؤيد قيام الوطن القومى لليهود مطالبة بأن يعيش العرب واليهود فى جو من التفاهم حتى يفوتوا على الاستعمار أغراضه .

وقد سلم هنرى كورييل راية الزعامة قبل ابعاده ليدع اليمنى سيد سليمان الرفاعى « بدر » وكان يعمل ميكانيكى فى السلاح الجوى وضبط فى عام ١٩٤٦ مع آخرين لنشاطه الشيوعى وظل زعيما للمنظمة يتلقى الأوامر من مجموعة روما ، وكان يرأس فى المنظمة بعض المثقفين الشيوعيين من ذوى المراكز الادبية المرموقة ومنهم بعض ضباط الجيش .

وأما هنرى كورييل ، فقد انتهى به الامر الى ضبطه بمعرفة السلطات الفرنسية التى اتهمته بالتجسس ونشرت الصحف هذا الخبر هناك ، وقد ورد

أخيرا عن وكالات الأنباء أنه ضبط بمعرفة البوليس الفرنسى واتهم بأنه يرأس شبكة من الارهابيين أمثال كارلوس ويغذيههم بالمال ، ثم قتل فى العام الماضى فى باريس ولم يعرف قاتله .

وحاولت المنظمة السيطرة على عدد من النقابات ، وفى نفس عام ١٩٥١ انتهزت فرصة الحالة السياسية المتوترة ، واعتمدت بتكوين الجبهة الوطنية مع حزب الوفد ، وأصدرت شعارات كان يرددها الشباب من الطلبة والعمال فى مظاهراتهم الكثيرة ، وقد شاهدت بنفسى مظاهرة كانت تسير فى شارع ٢٦ يوليو يردد للظاهرون بعض الهتافات الوطنية . وفجأة اعتلى أحد الشيوعيين - عادل فهمى - أكتاف المتظاهرين وردد نفس الشعارات الوطنية ، ثم تدرج فيها من شعار الى شعار ثم الى بعض الشعارات الماركسية المخزية كالحبز والحرية ، ثم الهتاف تحيا روسيا تحيا روسيا ، ومن عجب ، أن المتظاهرين كانوا يرددون وراءه ما يهتف به ، وهم فى حماسة لاهون عن التفكير السليم .

كان للمنظمة فى هذه الفترة صحيفتان علنيتان أحدهما الملائين والأخرى الواجب ، تنشران خطوطها السياسية العلنية ، وتطالب فيها بعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى بين ما تطالب به من تحقيق أمانى الشعب .

وأما نشراتها السرية ، فكانت تتضمن برنامجا شيوعيا تقول فيه ، انها تناضل من أجل الطبقة العاملة وتدافع عن كل طبقات الشعب وتمترشد بنظريات ماركس ولينين وستالين ، وهدفها بناء الاشتراكية ثم الشيوعية فى مصر .

وحركة الديمقراطية وثورة يوليو ١٩٥٢

فوجئت المنظمة بقيام ثورة يوليو ، رغم الصلة التي كانت تربط قادة المنظمة وبعض قيادات الثورة - كما سيأتى - وبدأت المنظمة تؤيد قيام الثورة وتهاذن النظام الجديد . وقد أفرجت الثورة بعد قيامها بأيام عن المعتقلين الشيوعيين ، ومنهم محمد كمال أحد قادة حدتو الذى ضبط قبل الثورة مجتمعا مع بعض الفلاحين فى إحدى قرى مركز دكرنس ، وكان معه أحد الشيوعيين الفرنسيين ، الذى قدم للبلاد مع مجموعة من السائحين وتبين أنه عضو بالحزب الشيوعى الفرنسى .

بدأت المنظمة تشيع أن حركة الضباط ما هى الا نتاج لنضال الشيوعيين ، وبمعنى أوضح ، حاولوا ركوب الثورة ومساعدتهم على ذلك بعض الضباط الشيوعيين من أعضائها الذين أطلقوا الشائعات ومنها ، أنه بعد اسقالة على ماهر سيحدث تعديل وزارى قريبا وأن ثلاثة من أعضاء حدتو سيشترون فى الوزارة .

ثم بدأت المنظمة بعد الثورة مباشرة ، تصدر المنشورات السرية تطالب فيها الضباط الاحرار باعادة الحياة النيابية ودعوة البرلمان الوفدى السابق للانعقاد .

وكررت النشوات السرية فاستدعى الرئيس جمال عبد الناصر أحد الاشخاص المقربين وكان عضوا قياديا بالمنظمة باسم حركى « عبد الفتاح » مسئول الاحذية - أى مسئول عن الاتصال برجال الجيش الذين يلبسون أحذية ضخمة مميزة - وطالبه الرئيس الراحل بايقاف هذه النشرات وحمله مسئوليتها لأنها

تتعارض تعارضا أساسيا مع الخطة المرسومة للمضى بالثورة • وقد أوقفت
النشرات فعلا لفترة قليلة •

وأصدرت منظمة حدتو مجلة شهرية ثقافية باسم « الفد » وأخرى باسم
« التحرير » وكتبت هاتان الصحيفتان والملايين أيضا تعبر عن الثورة وأهدافها ،
بأسلوب ، وكان التعبير عن الثورة انعقد لها دون منازع •

وبدأت تدعى لنفسها فضل قيادة الحركة الوطنية ، وتضع العراقيل أمام
مجلس قيادة الثورة ، بعد أن تأكدت أن قادة الثورة قد اثبتوا أنهم أشداء
عصيين على مؤامرات الشيوعيين وأنهم يرفضون وصاية أى تنظيم سياسي •

وقد حاول بعض قادة المنظمة فى جريدة الملايين كتابة مقالة يعبرون فيها
عن سياستهم ، الا أن السيد الرئيس السادات - وكان مختصا برقابة هذه
الجريدة من موقعه بجريدة المصرى - شطب على المقالة • الا أن الجريدة صدرت
بالمقال بعد ذلك . ويبدو أن بعض الحيل بذلت فى هذا الصدد ولا نعرف مصدرها .

ثم أسفرت المنظمة عن وجهها الحقيقى ، فبدأت فى مهاجمة الثورة كما
سيأتى •

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ونظم عمره

كان من وعى الرئيس الراحل قبل قيام الثورة ، أن اتصل ببعض التشكيلات السياسية التي كانت قائمة في هذا الوقت ، وأظنه اتصل بها ليعلم من أسرارها وخباياها ما يؤهله الى اجتناب شرها .

وكنا نراقب الشيوعيين ونتعرف على تحركاتهم ، فشاهدنا خلال ذلك شخصا طويل القامة معقوف الأنف يلبس البنطلون والقميص ، ويتصل ببعض الشيوعيين ومنهم سيد سليمان الرفاعي ، وآخرين حينذاك وغيرهم ، وعلمنا أن الاسم التنظيمي لهذا الشخص هو « موريس » .

ولم أفاجأ في حياتي مثلما فوجئت عند رؤيتي للرئيس الراحل شخصيا في يوم ٢ مارس ١٩٥٣ ، وذلك عندما توجهت الى التكتلات العسكرية بميدان التحرير لأعرض إحدى القضايا الخاصة بالحزب الشيوعي المصري التي ضبقت في ٢٨ فبراير ١٩٥٣ . فقد وجدت أن الرئيس الراحل هو موريس بشخصه .

هدأ روعي عندما قبولت مقابلة طيبة ، فبدأت أعرض القضية وتطرقنا الى بعض النقاط ومنها قصة موريس دون الإشارة لصاحب الاسم . وهنا سألتني أحد أعضاء مجلس الثورة ... هل قمت بضبطه ؟ !! ونفيت ذلك وحمدت الله .

واضيف بذلك انى قرأت بنفسى رقم التليفون الخاص بالرئيس الراحل في ورقة مع سيد سليمان الرفاعي زعيم المنظمة وكان يحتفظ بها في جيبه .

فساد منظمة محمد فؤاد الثورة

تجد في ملفات القضية رقم ٣٩ جنایات عسكرية عليا عام ١٩٥٤ معلومات مفصلة عن نشاط اثنين وسبعين متهما في الفترة من يناير ١٩٥١ حتى تاريخ ضبطهم في ١٠ أغسطس ١٩٥٣ . وتقدم لنا هذه القضية مؤشرا جيدا لنشاط هذه المنظمة في فترة هامة من تاريخ البلاد .

اتهمت النيابة المتهمين وعلى رأسهم سيد سليمان الرفاعي بأنهم أداروا ونظموا جمعية سرية ترمي الى قلب نظام الدولة الأساسية ، سياسية واجتماعية واقتصادية . والقضاء على طبقة الملاك وأرسماليين وسيادة الطبقة العاملة وحكمها المطلق ، والغاء الملكية الخاصة بالأسلوب الثوري الذي اتبعه لينين وستالين في الثورة الروسية . وبتحريض العمال على الاعتصام والاعتداء على حق الغير ، وتحريضهم على بعض طائفة الملاك تحريضا من شأنه تكدير السلم العام .

ويحسن أن نلخص هذه القضية في النقاط التالية :

- ضبطت أجهزة المنظمة الخاصة بالطباعة في الاسكندرية .
- من بين المتهمين كليمان موسى ليبوفتش ، وهو يهودى وكان عضوا باللجنة المركزية ومستولا عن النشاط في الاسكندرية .
- امتد نشاط المنظمة الى الدقهلية وبعض بلاد المحافظات الاخرى .
- من بين النشرات السرية المضبوطة نشرة بعنوان « الطليعة - عام أسود في ظل الدكتاتورية العسكرية » .

● ثبت أن السيد / سليمان الرفاعي هو السكرتير العام للمنظمة بعد هنري كوربيل وليس له مهنة أخرى أى أنه محترف شيوعي وثبت من التحقيقات أن كثيرا من أعضاء لجان أنصار السلام ، أعضاء فى المنظمة وسيأتي لهذه اللجان فصل خاص .

● ضبط تقرير تحليل حركة الضباط جاء فيه « أن أكبر المهام التى تواجه الحركة الديمقراطية لتحرير الوطنى هو الكفاح للقضاء على الديكتاتورية العسكرية ، وإعادة الحياة الدستورية ، وأن تضع الحركة لها تقاليد الماركسية اللينينية ، ومنها الاعتراف بالخطأ واصلاحه . وأن الأيام أثبتت خطأ المنظمة فى تحليل حركة الضباط ، بوصفها حركة تمثل البرجوازية الصغيرة - إلا أن حركة الجيش تقف مع البرجوازية الكبيرة وتتخذ موقف الحيانة الصريحة بانضمامها الى جبهة الاستعمار ، وأصبحت فى خدمة أعوانه ويجب العمل على إبعادهم عن الحكم .

● ضبط مقال بعنوان « خطة دعائية » ، يرسم سياسة المنظمة الدعائية لنشر الماركسية اللينينية الستالينية بين الأعضاء ، وتدريس الصراع الطبقي وتطور المجتمع ، وعاب المقال على بعض أعضاء التنظيم ، لتعاونهم مع الديكتاتورية العسكرية . . . » منذ قامت الثورة تعاون عدد من ضباط الجيش وبعض المدنيين وكانوا أعضاء فى منظمة حدثو وغيرها من المنظمات الشيوعية وقطع بعضهم صلته بالمنظمات وأن بقيت ميوله كما كانت وتولى بعضهم وظائف مدنية فى أماكن مختلفة » .

● مقال بعنوان « تحذير » يبدأ بأن أعداء الشعب ومخبراتهم يلجأون الى تشكيك الناس فى الحركة الشيوعية .

● ضبط فى القضية عبد الرحمن الحميسى ، الكاتب والقصى والشاعر والسينمائى وسبغ صناعات أخرى ، « وقد انتهى به المطاف للإقامة الدائمة فى موسكو أخيرا ، واستدعى اليه بعض أبنائه ليجدا فرصة مجانية فى التعليم فى الاتحاد السوفيتى ومازالوا هناك حتى الآن » .

● جاء في منشور بعنوان « أيها الخونة » كفوا عن المفاوضات - يسقط الاستعمار الغربي - طريق المفاوضات طريق الخيانة . العصابة العسكرية تجري في أذيال الاستعمار

● ضبطت ترجمة لمقالة صدرت في صحيفة برافدا السوفيتية في ١٤ يوليو عام ١٩٥٣ عن اضطهاد التقميين في مصر واتهامهم بعضوية الحزب الشيوعي ومنهم الكاتب المعروف الحميسى .

● ان كانت هذه النقطة آخر ما ن سجله من نقاط عن هذه القضية ، فانها أخطر ما وأكثرها دلالة ، وهي خاصة بالمتهم أنور مكار قلتس من نقابة عمال الفنادق وعضو المنظمة . وقد قرر في التحقيق أن المنظمة انتدبته لحضور مؤتمر الشعوب في فيينا ، وأنه كان مفلساً فتوجه معه محمد عبد المنعم الغزالي إلى شركة الطيران وسلمه تذكرة السفر ، وعندما وصل إلى فيينا وجد بها من يتنق عليه ، ثم سافر إلى باريس ومنها إلى روما ثم إلى ميلانو ، وتقابل مع شخص يدعى روجيرو قدم له المسكن والعشقة وأنفق عليه عن مئة ثم عاد إلى القاهرة في ٣١ يوليو ١٩٥٣ . وبعد وصوله زاره سيد خليل أحد قادة المنظمة فحكي له تفاصيل الرحلة ، وسأله المذكور إذا كان قد قابل يونس أي « هنرى كورييل » فأجابه بالنفى . فعلق محدثه قائلا « يعنى جاى فاض ما جيتش فلوس » .

هذا عن المال ، المال الذى باعوا أنفسهم للشيطان من أجله وأما عن تنفيذ التعليمات التى ترد اليهم من الخارج فلنقرأ معا هذه الأمثلة وليست الوحيدة من نوعها :

● كتب « بالم دات » زعيم الحزب الشيوعي البريطاني تقريراً يهاجم فيه الثورة في مصر .

● كتبت صحيفة اتحاد النقابات المالى مقالا تهاجم فيه الثورة المصرية بقلم عمر اسكندر عضو حزب تودة الشيوعي الايراني ، ونشرت الصحيفة صورة

للدبابات وهي تحاصر قصر عابدين ومدافعها مصوبة الى القصر ، وكتبت تحتها
« هذه المدافع سرعان ما وجهت الى الشعب المصري » .

● مقالات متوالية « لجلة الأزمنة الحديثة » التي تصدر في موسكو صورت
الثورة في صورة الانقلاب العسكري الفاشي الذي يعمل لحساب الاستعمار
الأنجلو أمريكي .

وبهذا الكمال وبهذه التبعية ، استمرت المنظمة في مهاجمة الثورة بنفس الخط
السياسي الذي أوردناه في السطور السابقة ، حتى انقسمت على نفسها مرة أخرى
الى منتظمين :

● الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني بزعامة سيد سليمان الرفاعي
الذي لم يكن قد ضبط في القضية السابقة ، وكان عدم ضبطه مثار تساؤلات بين
الشيوعيين ، وساعت سمعته لديهم واتهموه بالبوليسية .

● الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني التيار الثوري بزعامة محمد محمد
شطا أحد قادة التنظيم وهو عامل نسيج اسما ولم يعمل في حياته .

وفي ١٩٥٣/١١/٣ ضبط عدد كبير من قادة وأعضاء المنظمة ومنهم
اليهودي البير جاك أرييه وكان يعمل مع والده في محل جاك بيميدان مصطفى كامل
بالقاهرة . وضبط مع آخرين بوكرا للطباعة وهو فيلا لها حديقة في شارع أحمد
كامل المتفرع من شارع الهرم وكان مسئولاً عن طباعة النشرات وتوزيعها بسيارته.

اعترف الدكتور / محمد فؤاد منير بأسماء باقي أعضائها وأسمائهم الحركية
ونشاطهم وتأيدت اعترافاته بما جاء في الأوراق والنشرات التي ضبطت لدى
المتهمين .

واعترف ايضا ريمون فرانسوا حبيب خريستوف بأنه سلم آلات الطباعة
الى المتهم البير أرييه . وقيلت القضية برقم ١٥١٩ أمن دولة عام ١٩٥٣ .

ظلت المنظمة تعمل بغير زعامتها ، فسيد سليمان الرفاعي مازال حاربا يشك فيه الشيوعيون ويتهمون به بالخيانة ، والمنظمة الثانية تعمل بغير زعيمها محمد محمد شطا الذي كان في السجن مع كثير من قياداتها وأعضائها . فضعف نشاطهم وتخبعت سياستها لفترة طويلة ولم ينقذها من هذه الحالة ، الا صفقة الأسلحة التي عقدتها مصر مع الاتحاد السوفيتي وتحسن العلاقات بين البلدين .

لقد كتب الكثيرون عن أزمة مارس عام ١٩٥٤ ، ولكن أتعرض هنا لأحداثها الا من زاوية واحدة ، فقد طالب كثير من الضباط بتغيير بعض الأوضاع ولعب الشيوعيون دوره خلفيا في هذه الأزمة . وبلغ الأمر ذروته حتى أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فجأة تنصيب اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية على أن يكون الصاغ خالد محي الدين رئيسا للوزراء . واعتقد أن الرئيس الراحل لم يكن في نيته اطلاقا تنفيذ هذا القرار عندما أعلنه . انما كان يرمي الى امتصاص حالة الهياج بين الضباط ، اذ سرعان ما تغير الحال وأبعد اللواء نجيب عن الحكم ، كما طلب الى خالد محي الدين أن يسافر الى أوروبا .

وبذلك تجنبت مصر حكما شيوعيا لا محالة .

ولعل هناك من يسأل ، كيف تكون النتيجة كذلك ؟

ولا أجده أفضل من أن أسبق الأحداث للإجابة على هذا السؤال ، فأضرب مثلا ، أوضح فيه كيف يتحول الحكم الى حكم شيوعي وذلك في مجال آخر قد يظن البعض بعد التشابه بين الحالتين .

فقد كانت جريدة المساء في عام ١٩٥٨ تعج بالكتابات الشيوعيين ، وعند ضبط كل الشيوعيين في مصر في أول يناير ١٩٥٩ ضبط ٢٨ شيوعيا من المحررين في الجريدة ، وقدم معظمهم للمحاكمة وصدرت ضدهم أحكام متباينة . وكان يرأس تحرير الجريدة في هذه الفترة السيد / خالد محي الدين . ومرة أخرى قد يسأل البعض أن هذا حدث في جريدة وليس في دولة . نعم . . هذا صحيح ولكن اليست الجريدة دولة صغيرة . وما القول اذن اذا ذكرنا منجستو الذي استولى على الحكم في الحبشة وحولها في غمضة عين الى دولة شيوعية ! وكذلك ما حدث في اليمن الجنوبية وفي أفغانستان . .

الحركة الديمقراطية والازمة التاريخية والتوجهات الخارجية

رغم كل ما كتب عن هذه الفترة ، لم يوضح أحد دور الشيوعيين فيها ولعل ذلك يرجع الى سرية العمل الشيوعي وعدم دراية الغير شيوعيين به أو لرغبة المسئولين حينئذ في عدم اثارة هذا الدور .

وفي الواقع ، فان الشيوعيين جميعا سواء من هذه المنظمة أو غيرها قد قاموا بدور كبير في اثارة الضباط ، بالدعاية المدروسة ضد قادة الثورة وبما كانوا ينشرونه من تحليلات عنها ، وساعدهم على ذلك ، الضباط المنتمين الى المنظمات الشيوعية ، وما أسهل انقياد الكثيرين من حسنى النية . قالشعارات وطنية المظهر والمطالب مصاغة في قالب الفئ لا يشك فيه أحد .

ولا نفسى أبدا ان الشيوعيين من هذه الحركة الديمقراطية وغيرها لم ينخلوا فى أى وقت من الاوقات عن قيادة اليهود للحركة الشيوعية ، سواء منهم من بقى بالبلاد أو من غادر الى اسرائيل أو الى روما مكونا مجموعة توجه المنظمة من بعيد .

واستند في ذلك الى ما يأتى :

● اليهود الذين ضبطوا في هذه الفترة من قادة المنظمة .

● من بين المضبوطات فى القضية السابقة تقرير بعنوان « تقرير يونس عن الجبهة » - ويونس كما نذكر هو هنرى كوربيل - ووصل التقرير للمنظمة فى أول يوليو ١٩٥٣ ، ويتضمن ردا منه على خطاب أرسله اليه الزعيمان بدر وحامد - محمد محمد شطا - بيلفانه بوجود خلافات بين الشيوعيين المصريين حول نظرية الجبهة .

وفي اجابة هنرى كوريل ما يثير الدهشة ، اذ احتج على الزعيمين بسبب الطريقة غير الماركسية لطلب رايه دون اعطاء تفاصيل وافية !! وكتب يقول « أنه يجب تكوين الجبهة ، الامر الذى كان يجب اجراءه منذ السنة الأولى لتكوين حدتو وأنه يجب جذب الفلاحين لداخل الجبهة » ويتضمن خطاب كوريل توجيهات أخرى عن كيفية العمل فى الريف ومع البرجوازية والطبقة العاملة . ووعد بان يرسل مقالا سوفيتيا عن مراحل الديمقراطية الشعبية راجيا القيام بطبعه .

تعرضني قضية اخرى هامة ، هي القضية رقم ٢٧٥٣ حصر امن دولة عام ١٩٥٤ ، وتخلص الى انه بتاريخ ١٤ ديسمبر عام ١٩٥٤ ضبط كل من :

| | |
|----------------------|-----------------------|
| صلاح حافظ | صحفي بمجلة روز اليوسف |
| بدير على النحاس | كاتب بالصحة |
| محمود توفيق | محام |
| محمد عبد الجابر خلاف | محام |

وكانوا مجتمعين على مائدة بسكن الاخير بالمجوزة ، وضبط معهم محضر اجتماع على المنضدة وعدة تقارير شيوعية . وضبط مع الاول افلام مأخوذة لبعض التقارير والمنشورات الشيوعية . وقد حكم على الاول بثمانى سنوات وعلى الرابع بعشر سنوات وعلى الباقيين ببلد مختلفة . وكان الاربعة اعضاء فى اللجنة المركزية لحدتو . اما الافلام التى ضبطت مع الاول فلم يعرف اذا كانت واردة من الخارج او معدة للتصدير .

وهكذا ، تبلغ الساذجة الخائنة أو الحيانة الساذجة هذا المدى المفز ، من مصريين يدعون الوطنية والكفاح ضد لاستعمار ، وهم لا يؤدون الا ما يوجه اليهم من اعداء البلاد بحجة النظريات والفلسفات وعقائد البهاوات .

٤ - واما علاقاتهم بالاحزاب الشيوعية الاجنبية ، وكمن من اعضائها يهود ، فنحن نملك بتلابيبهم ، مما يكتبون وينشرون ، ومما يضبط لديهم ، فهذه خطابات معنونة الى اللجنة المركزية لبعض الاحزاب الشيوعية الاجنبية ، كالحزب الشيوعى النرويجى والحزب الشيوعى السوفيتى ، بتوقيع اللجنة المركزية لحدتو ، تبدي اعجابها بالعمل العظيم الذى تقوم به الاحزاب الاجنبية من أجل رقاية الطبقة العاملة ومن أجل العرب الذين قسطهم حكومة الرجعية فى بلدهم مصر . ويطعنون فى سيمسليمان الرقاى لانقسامه عن الحركة . ثم تكلف المنظمة لهنرى كوريل التقيم فى اوروىا ، بكتابة تحليل لحركة ضباط الجيش .

القضية رقم ١٤ عسكرية عليا عام ١٩٥٥ عابرة

الشيء بالشئ يذكر ، ومع ذلك ما الذى دفعنى لذكر هذه القضية ، بعد القضية السابقة التى اتهم فيها صلاح حافظ وآخرين ، ربما لأنها ترتبط بها ارتباطا وثيقا حيث المنظمة التى ينتمى اليها هؤلاء المصريين ، هؤلاء الصهيونيين وربما قضية تثبت مرة أخرى وليست أخيرة كل مذكراته عن الحركة الشيوعية فى مصر ، انها تسلك مع العملاء اليهود لتتختم الصهيونية والشيوعية العالمية عن طريق الشراك التى نصبتها ، مع شديد الاسف ، لبعض المصريين .

ومن مصادفات القدر ، أن يكون المتهم الاول فى هذه القضية يهوديا يدعى هنرى كوهين ويشارك فى نفس الاسم مع هنرى كوريل الذى أصبح ذا شهرة عالمية والذى قيل بعد قتله أخيرا فى باريس أنه كان يحرك عصابات الارهاب الاوروبية ، وقد تطوع بعض الكتاب فذكر أنه كان مليونيرا فى مصر . مع أنه كان فقيرا مرهقا ينفق آلاف الجنيهات من مصادر أخرى .

الانثان يختلفان فى اسم الأب . وحديثنا عن هنرى فيتا كوهين وكان رساما مصورا بصحيفة الاهرام . وقد ضبط فى ١٠/١٠/١٩٥٤ مع جوزيف داود أوزمو ونسيم ابراهيم تحمياس وآخرين من زملائهم اليهود وحكم عليهم بالاشغال الشاقة لادارتهم منظمة سرية هي الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

ويلفت النظر ما ضبط مع الاول من تقارير شيوعية محررة بمعرفة بعض الشيوعيين المسجونين بسجن مصر وهم من المصريين اعضاء نفس المنظمة .

وأما الأوراق التي ضبطت معه ، فعنها ما يدل على أن هذه المنظمة تتصل بجهات اجنبية وبأشخاص يقيمون في الخارج وانها تتلقى التوجيهات والأوامر من هذه الجهات الأجنبية •

ومن بين هذه الأوراق فيلما بالتقارير المشار اليها ٠٠٠ لا أدري هل هذه شيوعية أم هي جاسوسية وعماله ، لا أكثر ولا أقل • ومن العجيب أنه ثبت أيضا من مضبوطات هذا المتهم وزميله الثاني أنهما على صلة وثيقة بهنرى كورييل الآخر ، وضبطت خطاباتة بسكن المتهم الثاني وبها توجيهات للنشاط الشيوعي في مصر •

ولم تكن هذه القضية هي الأولى من نوعها فقد سقتها العديد من القضايا التي اتهم فيها يهود وصهيونيون ومصريون •

ومع ذلك ، فقد استمر نشاط هذه المنظمة ، حقه طويلة ، وتخرج على يدها كثير من الاسماء الالامعة التي نسمع عنها في الفترة الحالية •

الفصل الثانى

وحدة المنظمات الحامى ١٩٥٥/١٩٥٦

يفتح الستار ، فاذا بالمرح يعج بالتنظيمات الشيوعية ، وكل منها يتوكل على عصاه من كثرة الضربات التى تلقاها ، حتى ضعف نشاطها ، فبدلا من محاولة تكوين جبهة مع الفلاحين والعمال وغيرهم كتوجيه اليهود من روما ، فجأة برزت تمثيلية الوحدة •

ومن العجيب أن تبرز هذه التمثيلية كلما شعر الشيوعيون بضعف نشاطهم ، وهنا نجد المنظمات الموجودة على المسرح وكأن يدا واحدة تحركها من وراء الستار •

والمنظمات التى كانت موجودة فى تلك الفترة هى :

- الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى •
- الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « التيار الثورى » •
- نواة الحزب الشيوعى المصرى •
- طليعة العمال •
- النجم الأحمر •
- نحو حزب شيوعى مصرى •
- وحدة الشيوعيين المصريين •
- المنظمة الثورية للعمال والفلاحين •
- طليعة الشعب الديمقراطية •
- الحزب الشيوعى المصرى •

وتنضم جميع هذه المنظمات فى أبريل عام ١٩٥٥ • ماعدا المنظمين الآخرين • وتشكل منظمة واحدة هى :

الحزب الشيوعي المصري الموحد

ونسرع الخطى حين نقول أن هذه الوحدة تمت بعد خلافات شديدة على مراكز وقيادة التنظيم ، كما قال الأخ سعد مهدى ونضيف أن كل منظمة كانت تريد الاستئثار بمصادر تمويلها •

وفضيحة أكبر وخطر أن أبدا حديثى عن هذه الوحدة باهم نقاط الخلاف الذى نشأ عند تكوينها • هو اشتراط منظمة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى الاحتفاظ لهنرى كورييل بكرمى فى القيادة أى فى اللجنة المركزية ، على أن يظل شاغرا لغيابه •

وفى ذلك الوقت نشر الحزب الشيوعى الفرنسى فى جريدته •• ان هنرى كورييل جاسوس عالمى وحذر على أعضاء الحزب الاتصال به نهائيا •

ومع ذلك تمسكت به حدثو ، وكانت تريد له القيادة ولو على مقعد شاغر • ومن آثار اليد الصهيونية فى نشاط الشيوعيين ، ماطبموه ونشروه عام ١٩٥٦ ولم يمس على الغزو الثلاثى أيام قليلة ، وتضمن قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الموحد باعادة هنرى كورييل واعتبرت اللجنة قرار الحزب الشيوعى الفرنسى غير ملزم لها •

أسلوب الرجاء للحزب الشيوعي الموحد

في إحدى النشرات التي ضبعت في قضايا هذه المنظمة ، نجد نشرة بعنوان المسؤولية السياسية تقول « أنه خلال عام ١٩٥٦ وفي ظل المواقف السلمية الاستقلالية وزيادة التبادل التجاري بين مصر والدول الاشتراكية ، يمكن القيام بتعبئة فكرية في الريف لوضع هذه المواقف بين يدي الجماهير لحمايتها وتطويرها ، وبشر كتيب عن أثر بيع القطن المصري الى معسكر الشعوب - أي الدول الشيوعية - مما عاد على أغنيا الريف ومتوسطي الزراع بفوائد جمة . ويمكن تعبئة العمال الزراعيين للمطالبة برفع الأجور وتوضيح أن زيادة أسعار القطن ، نتيجة اتساع التبادل التجاري مع معسكر الشعوب يتيح للعمال فرصة كبيرة لتحقيق هذا المطلب »

ان عدم تنفيذ خطتنا بشكل سليم ، قد يتيح الفرصة للعدو لضرب الحركة الوطنية كلها .

يا مسيحيان الله ، كيف حدث هذا التغيير بين يوم وليلة ؟ الامر ليس بمستغرب . فانظر الاسباب التي وضحها الشيوعيون لهذا التلون .

جاء في نفس النشرة السابقة « أن التطور المستقل لمصر خلال عام ١٩٥٥ ، - أي علاقة مصر بالدول الشيوعية وصفقة الأسلحة - ساعد على تغيير العلاقة بين العمل السري والعمل العلني بين الشيوعيين ، وامكانية قيام الشيوعيين بكفاح علني ، من أجل التطور المستقل للبلاد ، وتتطلب هذه الأوضاع الجديدة تعديل خطة العمل في مختلف المجالات لانجاز الواجبات المسارية الاستقلالية الملقاة على عاتق الرفاق ، والا يفقد الحزب قيادته للتكتل ، وتأخر تعبئة الجماهير لحمايتها

من مؤامرات الاستعمار ، وتطورها لمصلحة الشعب ، وحتى لا تنعزل عن الجماهير ، وهذا انحراف يسارى ، كما أن التحرك مع الكتل الشعبية فى الظروف الجديدة بدون خطة وبشكل تلقائى يعتبر انحراف يمينى » •

وتتلخص خطة المنظمة المشار إليها الى ثلاث اسس :

- **تأييد الحكومة فى علاقتها بالكتلة الشرقية •**
- **مطالبتها بالحرية السياسية وتحسين الحالة الاقتصادية للجماهير •**
- **العمل الجماهيرى أى الدعاية العلنية •**

هذا التأييد المقاجىء للحكومة بسبب علاقتها الجديدة مع الدول الشيوعية هو التبرير الوحيد لرسم الخطة السابقة ، معتمدين على أن الحكومة ستفرض الطرف عنهم اضطرابا أو حرجا •

وما ذكره الشيوعيون عن بيع القطن المصرى للدول الشيوعية ، يوضح بجلاء أسلوب الدعاية التى يرددها الشيوعيون لصالح البلاد الشيوعية – دون النظر الى مصلحة أوطانهم ، مع علمهم بأن هذه الدول تعيد تصدير القطن الى البلاد الأخرى ، بثمن أغلا وبالعملات الصعبة • وقد ثبت – ولو متأخرا – كيف أضيعت مصر من احتكار البلاد الشيوعية لمعظم انتاجنا من القطن •

أما نشرة « المسؤولية التنظيمية » التى صدرت عن نفس المنظمة تعد تكملة للخطة السابقة • فقد جاء فيها « أن على العضو أن يستفيد من الخطة السياسية فى تحريك المظاهرات وتسييرها ، وفى تنظيم المظاهرات بحيث يضمن تأييد الجماهير » •

وفى أبريل عام ١٩٥٦ كان الحزب الشيوعى الموحد قد استعاد تنظيمه تماما بعد أن اتحد جناحا للحركة الديمقراطية بقيادة خليل والتيار الثورى بقيادة محمد محمد شطا • وسجل هذا الاتحاد أحد أعضاء القيادة وهو محام فى وثيقة نشرت فى مجلة الكادر التى أصدرتها المنظمة فى أبريل ١٩٥٦ • وأعلن فيها :

ان المنظمة تؤيد الحكومة لأن هذه هي أسهل وسيلة لاستقاطها :

هل هذه هي المكافيلية بأجل صورها ؟ .. ربما كان هناك وصف آخر
أشد ضراوة .

كانت منظمة طليعة العمال قد اتخذت موقف تأييد الحكومة ولعب السيد /
لمى المطيعي من داخل السجن دورا كبيرا في قيادة هذا الاتجاه ، كما لعب من
خارج السجن اثنان من قادة المنظمة وهما أبوسيف يوسف أبو سيف وآخر لم
يحكم عليه ، نفس الدور . وأعلن زعيم الحزب الشيوعي المصري الذي كان مجهولا
حتى هذا الوقت تأييد الحكومة أيضا .

وعندما بدأت معركة الغزو الثلاثي المسلح على بور سعيد عام ١٩٥٦ ، أعلن
الشيوعيون أنهم سيحاربون المستعمر متحدين مع الحكومة الوطنية . والأمر الذي
أعجب له حتى الآن ، أن الحكومة سمحت لهم بالتدريب على حمل السلاح ، ولانسمى
هذا الأمر غفلة ، ولكننا نعتقد أنه نتيجة لأسلوب ظهر في خضم الأحداث ، وهو
اصدار القرارات من أية جهة غير مسئولة ، خاصة تلك القرارات التي تستوجب
أخذ رأى جهات الأمن المختصة والسلطات العليا .

وقد التف حول الحكومة ، أشخاص وجدوا من حقهم اصدار القرارات ،
ونذكر على سبيل المثال أن أحد الضباط السابقين وكان معروفا بصلته بالشيوعية
رحمه الله - وقد عين نفسه قائما لقطاع المطرية حيث كان يسكن - وصادر قرارا
بقطع وبيع الشجر المزروع في شوارع المنطقة حتى لا يفتنى الأعداء بين
أغصانه ، وقد أوقف هذا القرار في اللحظة المناسبة .

وبرغم تدريب الشيوعيين في منطقة الاسماعيلية على حمل السلاح
واستعماله ، فلم يشارك أحد منهم في القتال برصاصة ولحمة . وإن كان نفر
قليل منهم مثل محمد عبد المنعم شنتة ، وشكرى عبد الوهاب ، قد تسللوا الى
بور سعيد ، وليتهما رفعا سلاحا مع أعضاء المقاومة في بور سعيد ، ولكنهما قاما
باصدار صحيفة أسمياها الانتصار « جريدة الجبهة الوطنية » !!

ولم تمنعهم مأساة الغزو ، من أن يضعوا في نشراتهم شروطا لتأييد الحكومة ، ومنها الافراج عن المسجونين الشيوعيين والدعوة الى حرب العصابات التي يشترك فيها الجيش والمستولون والوزراء . وهذا تكتيك معروف عن الشيوعيين ، اذ يشاركون في حروب التحرير الوطنية ثم يحولونها الى ثورة شيوعية .

ومات أحد الشيوعيين أثناء العدوان ، فهللو للبطل المكافح وعددوا مفاخر التضحية الشيوعية وقلبوا الدنيا تيتها واعجابا وصدرت عنهم النشرات بهذا المعنى ، الا أنهم تعرضوا ولم يخلجوا عندما كشف الأمر وتبين أن الشهيد عمره اثني عشرة عاماً ، ولم يكن بالطبع شيوعيا بل كان له شقيق مسجون بتهمة الشيوعية . ولم يكن هناك شهيد ثان من الأبطال الشيوعيين .

ولما رفضت الدولة مطالب الشيوعيين تحطم أملهم **ويعودوا** يعدون خطة جديدة ، وجد الشيوعيون مرتما خصباً ، اذ توثقت العلاقة بين مصر والدول الشيوعية ، وازداد الحصار الاقتصادي الذي فرضته الدول الغربية . فكانت الفرصة للشيوعيين .

استمروا يؤيدون الحكومة ، وفي نفس الوقت يدعون الى الانضمام للاتحاد القومي . لأنه حزب الحكومة العفن ويجب عليهم افشاله من الداخل .

وفي موقف التأييد السابق للحكومة ، كان هناك السم الذي ينفثونه ... يطالبون برفع أجور العمال وهم يعلمون بالآزمة الاقتصادية ، ويطالبون باصلاحات تعجز الحكومة عن تنفيذها لنفس السبب ويهاجمون القومية العربية ويطالبون بالافراج عن الشيوعيين والانحياز الكامل للدول الشيوعية .

وكان بعض الشيوعيين يطلب في نشراته السرية « ان اسقاط الحكومة ليس مطلباً عاجلاً مباشراً في هذه المرحلة انما يأتي بعد عدة مراحل من الدعاية ، ويبدأ الحلاف بين المنظمات الشيوعية ، فوحدة تتهم الأخرى بالانتهازية والخروج عن الخط الماركسي اللينيني بالبوليسية ، وأخرى تتمسك بقيادة اليهود للحركة الشيوعية ويبرئون اليهود من العطف على اسرائيل .

الحزب الشيوعي المصري المتحد

قلنا أن الحزب الشيوعي الموحد ، تكون من اتحاد ثمان منظمات أكبرها منظمة الحركة الديمقراطية بشقيها • وكانت هذه الأخيرة تضم تيارين مختلفين :

● اليونسيون ، أي التابعون لهنرى كورييل ويضم هذا التيار : محمد محمد شسطا ، خليل قاسم ، دكتور شريف حناقة ، حلیم طوسون ، والبير آرييه ••• وآخرين • وكان هنرى كورييل يتزعم من الخارج • وكانت هذه المجموعة تجنح الى مهاجمة الحكومة ، وفي نفس التيار مجموعة أخرى كان رأياها مهادنة الحكومة • وأفرادها هم : فؤاد حيشى ابراهيم ، مبارك عبده فضل ، محمد على عامر الزهار ، محمد كمال ••• وآخرين •

● التيار الثانى ، وكان يخالف التيار السابق •

ومع كل هذه الخلافات ، تبدأ أحاديث الوحدة بين الحزب الموحد وبين منظمى الحزب الشيوعي المصري وطليلة الشعب الديمقراطية التي غيرت اسمها الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري » •

وفي يوليو عام ١٩٥٧ تكونت منظمة الحزب الشيوعي المصري المتحد من كل المنظمات المتقدمة مع الحزب الشيوعي المصري ، وتبقى منظمة حزب العمال والفلاحين مستقلة •

ويتزعم هذا الحزب المتحد قيادة لم تذكر أشخاصها من قبل وهم :

الدكتور فؤاد مرمى السيد الحداد ، الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، عادل سيف النصر ، وأبن عمه ، أنجى أفلاطون ، محمد عباس سيد أحمد ، شهدي عطيه الشافعى ، محمد عبد المنعم شتله ••• وآخرين •

وقد ضبط تقرير بتوقيع الرفيق خالد وهو الدكتور فؤاد مرسى كما ظهر فيما بعد ، بعنوان مسألة تكوين الحزب وأسلوب التنظيمات الشيوعية . ومؤرخ ١٩٥٧/٩/١٠ ملحقاً للنشرة السرية « الشيوعي » .

كان الدكتور زعيم الحزب أميناً في هذا التقرير - من وجهة نظره على الأقل - ونكتفي بتلخيصه - بأمانة - فيما يلي :

● لم تكن شخصية خالد معروفة حتى ذلك الوقت .

● يشرح الزعيم خبرة الحزب الشيوعي السوفييتي والصيني والمصري ودور اليهود في الحركة الشيوعية في مصر منذ عام ١٩٤٢ ، وأنه كان من الصعب كشف انتهازية هذه القيادة اليهودية .

● تحدث عن الانقسامات التي حدثت في الحركة الشيوعية والضربات التي أصابتها وظهور تنظيمات متعددة اثر اعلان الحكم الاستثنائي في عام ١٩٥٣ لفترة الانتقال وذكر أسماءها كما قدمنا .

● أنه في مارس ١٩٥٤ ، قامت هيئة ثورية ضد الحكومة ، اثر عودة نجيب وحدوث خلاف داخل الجيش . واشتركت الجماهير اشتراكاً تلقائياً في الهبة التي قادها الإخوان المسلمون « عملاء الاستعمار البريطاني » ، فلم يستطع الشيوعيون تولي قيادتها ، لأنهم كانوا داخل السجون والمعتقلات ، وأصدر أحد قادة حدتو من داخل السجن بياناً بتأييد الحكومة ، في الوقت الذي كانت فيه الجماهير على وشك الاطاحة بها ، وهذا الرفيق هو خليل - وكافاته الحكومة بالافراج عنه وكلفته بالسفر الى السودان لاقناع الشيوعيين السودانيين بتأييد الانضمام الى مصر في الاستفتاء .

رحمة السودان

• فيما يختص بتكليف الشيوعيين بالسفر الى السودان ، فقد حدث أن طلب الصاغ صلاح سالم ، عضو مجلس قيادة الثورة رحمه الله ، الافراج عن بعض قادة حدتو للسفر الى السودان لاقناع زملائهم الشيوعيين بتأييد مصر في الاستفتاء ، وقد أفرج عنهم وأرسلوا اليه • وتقابلت مع السيد صلاح سالم رحمه الله في مكتبه وحاولت أن أشرح له موقف الشيوعيين وأنهم لن يفيدوا في هذه المهمة إلا أنه استنكر مني التدخل فيما لا أفهمه ، وكانت النتيجة أن فشلت مهمته في السودان • وقد كانت حدتو على صلة بالشيوعيين السودانيين ، وحاولت أن أشرح له رحمه الله أن شعار الشيوعيين جميعا - هنا وهناك - هو « فليرفع الاستعمار المصرى يده عن السودان » •

● استطرد الزعيم خالد قابلا في نشرته أن الهبة فشلت وعاد الحكم العسكرى من جديد وبدأ عهدا ارحاميا •

● ان الحزب الشيوعى الفرنسى أعلن أن هنرى كويريل جاسوس وحذر الأعضاء من الاختلاط به ، وأن المنظمات الأخرى طالبت حدتو في أواخر عام ١٩٥٤ بعزل قيادة حدتو القائمة لسوء سمعتها ، وأن حدتو اضطرت لفصل خليل ومساعديه وإيقاف يونس وترك مكانه شاغرا الى أن تحل المشكلة في المؤتمر بواسطة الأحزاب الشقيقة • وطعن في الحزب الشيوعى المصرى الموحد وقال أنها وحدة انتهازية قامت على أساس توزيع الكراسى المركزية وبقاء العناصر الانتهازية وعدم توافر الضمانات للصراع الفكرى ، واتهم سياسة الحزب الموحد بالزبيلة للحكومة ، وأن الكتلة اليونسية كانت تسيطر على المنظمة واتهمهم بالوقوف ضد اضرابات العمال ، واشترآهم مع رجال هيئة التحرير والبوليس في اقناع العمال بالعدول عن الاضراب بحجة المحافظة على الوحدة الوطنية •

● قال أن الشيوعيين جميعا قاتلوا الى جانب الحكومة بعد العدوان الثلاثي واشتركوا في معسكر طويصر في الشرقية !!! - « لا أدري اذا كان الاشتراك في معسكر تدريب يعد قتال ضد العدوان الثلاثي . ولم يكن هناك حرب في الشرقية في معسكر طويصر وسبق أن أوضحنا ذلك » .

● وقال أن منظمته « الحزب الشيوعي المصري » انضمت الى الحزب الموحد وكونت منظمة الحزب المتحد . وعاب على المتحدين تعارضهم أثناء الانتخابات .

هذا ما كتبه زعيم الشيوعيين خالد الذي عين بعد ذلك وزيرا للتكوين وان اقل ما يمكن التعليق به على هذا التقرير ، أنه يناقض نفسه ، اذ كيف يتحد وهو الزعيم المعلم مع هؤلاء الانتهازيين التابعين لليهود ، وكيف ينتهي بدعوة منظمة طليعة الشعب أن تنضم الى هذا الاتحاد حتى يتم تكوين الحزب الشيوعي المصري كما سيأتي .

وكيف يتهم الاخوان المسلمين بأنهم عملاء الاستعمار البريطاني . وهو بلا شك لم ينس نشرته راية الشعب رقم ١٦٠ التي أصدرها حزبه في ٧ سبتمبر عام ١٩٥٦ وما زالت في ملفات القضايا ، ويدعو فيها الاخوان المسلمين باسم الكفاح المشترك في سبيل الاستقلال والديمقراطية والسلام الى توحيد صفوف الوطنيين جميعا للوقوف بجانب حكومة عبد الناصر في سياستها المعادية للاستعمار وهم - أي الاخوان - الوطنيين الذين ينصتون لصوت الوطن ويلبون دعوته وينسون كل شيء الا اعلاء كلمته .

وقد نسي زعيمنا وكبيرنا ومعلمنا خالد - كما كان يدعونه تلامذته - أنه قال في عام ١٩٥٤ « فاشي مصر المفلس ينشد المجد في باندونج » . . . بحق أن الذين لا يختشون ، ما زالوا أحياء .

ولن أنه من تقرير الزعيم خالد قبل أن أكمل حديثه الى الاخوان المسلمين فقد قال أن عبد الناصر وقف في وجه المستعمرين وأحلافهم ومؤامراتهم وكال لهم الضربات ، ما رفع من شأن مصر وأكد استقلالها ، أن لكم في السجون والواحات

شباب عزيز ولنا معكم رفاق عزاز ، ولكننا نرى أن تأييدنا وتأييدكم لعبد الناصر ، من شأنه أن يدفع به الى سبيل اطلاق الحريات . فتعالوا نؤيد الحكومة ولنعمل على أن يطلق عبد الناصر صراح جميع المسجونين الوطنيين ، تعالوا الى جبهة الوطن العريضة .

وليس لدى تعليق . ومن يجد في نفسه الكفاءة في التحليل والأسلوب الأدبي المزدب في الوصف ، فليتصدى بالتعليق على هذه الانتهازية أو هذا التضليل أو هذه السخرية بقول الجواهر . أما أنا فلي أن أسجل فقط .

وليتنى أنتهى من هذا اليونس « هنرى كورييل » لأبدأ فصلا جديدا ولكننى أسبق الزمن قليلا قرب نهاية عام ١٩٥٧ ، اذ توجد وثيقتان من مضبوطات القضية ٣ حصر أمن الدولة عام ١٩٦٠ .

الأولى تفيد أن الحزب الشيوعي المصرى احتج على وجود هنرى كورييل عضوا باللجنة المركزية ، وذلك في محادثات الوحدة ، فبقى عضوا عاديا .

والوثيقة الثانية نشرة داخلية بعنوان « آخر تطورات الوحدة ، العناصر من أصل يهودى » . جاء بها أن ممثلى الأحزاب الثلاثة فى مكتب الوحدة وافقوا على عدم وجود رفاق يهود فى القيادة الجديدة ، باعتبار أنه موقف مؤقت يتفق مع الظروف الراهنة للحركة الوطنية العربية ، وأن أمامهم مجال النضال فى الحزب كله دون قيادته ، وإن الإجراء مؤقت مجبود بالظروف التاريخية التى تمر بها البلاد .

الرجاء الشيوعي خلال عامي ١٩٥٨/٥٧

في نوفمبر عام ١٩٥٧ ، صدر بيان ممثلي الأحزاب الشيوعية والعمالية في مؤتمر موسكو . ونجد في دعوة الى الأحزاب الشيوعية والعمالية ، للنضال من أجل قيام جبهة وطنية واسعة ، تمهد للانتقال الى الاشتراكية الماركسية – وأساس هذه الدعوة كما سبق أن قلنا قول لينين « أن الحزب الشيوعي يستند الأحزاب الأخرى كما يستند الحبل للشقوق به » .

وتنفيذا لهذه التعليمات ، قام الشيوعيون في مصر بالدعاية للجبهة الوطنية المتحدة ، مع تأييد الحكومة لوقوفها ضد الاستعمار وعلاقتها الجيدة بالمعسكر الشيوعي والدعاية لتكوين لجان الجبهة في المصانع والأحياء والقرى والمعاهد ، ولجان لأنصار السلام وجمع التوقيعات وتدريب الشعب على حمل السلاح ، وعقد معاهدة صداقة مع الدول الاشتراكية الصديقة والاتحاد الفيدرالي مع سوريا .

وفي نفس الوقت تركزت الدعاية ضد الاتحاد القومي ، حزب الحكومة العفن . . .

وقد أصدرت الطليعة الشيوعية نشرة صوت الشعب في أكتوبر ١٩٥٨ ، وعاجمت السيد الرئيس محمد أنور السادات لحديثه مع يوسف إدريس الكاتب بصحيفة الأهرام ، عن الاتحاد القومي وقالت أنه حزب سياسى لحكومة طبقة كبار الرأسماليين .

وشعار الجبهة الوطنية للتحدة من أخطر الشعارات التي يلجأ إليها الشيوعيون للسيطرة على السلطة ، وقد استعملوه في حالات متعددة بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ تسللوا عن طريق شعار الجبهة الى الأحزاب الأخرى في بعض البلاد الأوروبية ، والى بعض الحكومات والهيئات المالية ، فنخروا عظامها من الداخل واكتسبوا الانهازيين في صفوفهم •

وعندما اشتد ساعدهم تمكنوا من السيطرة على البلاد ودعوا القوات العسكرية السوفييتية لاحتلالها ، وقد حدث ذلك في جميع بلاد الكتلة الشرقية الأوروبية بصورة أو بأخرى ، وتمكنوا أيضا بنفس الأسلوب من الاستيلاء على بعض الهيئات المالية ، كاتحاد العمال العالمى الذى انسحبت منه الدول الغربية بعد ما سيطر عليه الشيوعيون •

الفصل الثالث

الأسفار العلمية والحزب الشيوعي المصري

ليس غريبا ، أن أبدا حديثي عن الحزب الشيوعي المصري بالشيوعية
الارستقراطية أو الارستقراطية الشيوعية ؟ !

في الواقع ان المنظمة بعد تأسيسها وانضمام الاعضاء اليها أصبحت ككل
المنظمات تضم شبابا ورجالا وسيدات من جميع الأوساط وسيلحظ القارئ من
بين قادة المنظمة عددا لا بأس به من الشباب الاستقراطي ثقافة وأصلا ونسبا .

فاذا رجعنا الى عام ١٩٤٩ واتجهنا رأسا الى باريس ، نجد اثنين من
المبعوثين المتفوقين علميا . الأول كان ينتهي من دراسته والثاني عاد لمصر في
أغسطس ١٩٥١ .

الأول هو الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد ، والثاني الدكتور اسماعيل
صبري عبد الله .

كان الثاني عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي (عضو لجنة قسم) ، وقد
وصلتني هذه المعلومة من أحد قادة المنظمة الذي كتبها في أوائل الستينات في
مذكرة له عن تشكيل المنظمة ، عندما اعتقل عدد كبير من الشيوعيين .

ولن نلصق هذه المعلومه بالأول ، لسبب يجعلنا نحجم عن ذلك وهو انه لم تصلنا عن أى طريق .

اتفق الاثنان ومعهما آخرين على تأسيس الحزب الشيوعى المصرى ، ووضعا له لائحة وبرنامج ونفذ الأول الاتفاق بمجرد عودته من الخارج . وجاء باللائحة ، فى مادتها الأولى (أن الحزب الشيوعى المصرى) هو حزب الطبقة العاملة الذى يعبئ فى صفوفه العمال وغيرهم من الفلاحين والمتقنين المعتنقين لنظرية الطبقة العاملة فى كفاح واحد من أجل التحرر والرخاء والديمقراطية والسلام ثم من أجل الاشتراكية ، مستوحيا تعاليم نظرية ماركس وانجلز ولينين وستالين . ومرتسما خطأ الحزب الشيوعى البلشفي ومستنيرا بتجربة الحزب الشيوعى الصينى وتعاليم قائده ماوتسى تونج .

وجاء فى المادة الثانية (يكون عضو بالحزب الشيوعى المصرى ، كل شخص تتوافر فيه بعض الشروط ومنها أن يقرأ برنامج الحزب وأن يدعو له بين الجماهير وأن يعمل على تحقيقه) (١) .

وجاء فى أسس التنظيم السرية بعض التعليمات والأوامر ، وما بلغت النظر فيما جاء ببعض الأوراق المضبوطة فى عدة قضايا عن هذه الأسس ، أن الحزب الشيوعى المصرى حزب ثورى يكافح ضد المجتمع الرجعى القائم ويرفض قوانينه ، فلا يجوز لأحد أن يدعى أنه يمكن العمل فى حماية هذا المجتمع أو قوانينه . أننا حزب ثورى لا يحتوى الا بقوة الجماهير ، والدولة كلها مجهزة بكل سلاح للقضاء عليه بوصفنا الحزب الثورى القادر على حل مشاكل الجماهير . ولذلك وجب على حزبنا أن يتخذ شكل التنظيم الذى يمكنه من مواصلة كفاحه الثورى ويحميه فى نفس الوقت من جهاز الدولة ، بعيدا عن البوليس والرقباء والجواسيس والمتطفلين .

براد الحركة

١٠٠

الحزب الشيوعي المصري
وتنفيذ الانضمام اليه

مادة أولى - الحزب الشيوعي المصري هو -
الطبقة العاملة الذي يحمي في صفوف
العمال ويبرهن من الفلاحين والمثقفين
المحتشين للطبقة العاملة في
نظرة واسعة من أجل التحرير والأرض
والديمقراطية والسلام ثم من أجل
الاشتراكية المستوية. تصاليم نظرية ماركس
والبلشفيين واللينين والستالين ومشرسما -
الحزب الشيوعي البلشفي - مستوحى
بشجرة الحزب الشيوعي الصيني (تصاليم
تالده ماركس - لينين -
مادة ٢ - سيكون ضمنيا بالحزب الشيوعي المصري
شأنه تتواءم فيه الشروط الآتية :
(١) يتأثر برنامج الحزب وأن يدعو له
بين الجماهير وأن يعمل على تحقيقه

ووقع هذا التقرير (خالد) وثبت أنه الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد
كما سيأتي .

وكانت العبارة الدارجة بين أعضاء التنظيم هي ما قاله لينين أن (١٠ ب
العمل الشيوعي هو الكفاح ضد البوليس من أجل استمرار النضال الثوري) .

وقبل أن أستطرد في الحديث عن المنظمة ، أود أن أنوه بأنها لم تكن
امتدادا للحزب الشيوعي المصري القديم الذى بدأ فى أول العشرينيات وانتهى
تماما فى أوائل الثلاثينيات .

بدأت هذه المنظمة عملها بالأسس السابقة الذكر التى لم تتغير حتى القضاء
عليها . ولم تكن هذه الأسس تختلف عن الأسس التى قامت عليها باقى المنظمات
الأخرى . الا أن منظمة الحزب الشيوعي المصري تفوقت على غيرها فى التطبيق ،
حتى أننا لم نصل الى معرفة حقيقة شخصية (زعيمنا ومعلمنا وكبيرنا خالد) كما
أسماء أعضاؤها ، الا فى منتصف عام ١٩٥٨ أى بعد تأسيس المنظمة بعشر
سنوات تقريبا .

وبدأت المنظمة فى الدعاية بطبع النشرات السرية مثل الثقافة الجديدة
والفلاح وراية الشعب والحقيقة وغيرها من الكراسات التعليمية فى النظرية
الماركسية وملحقاتها ، وأما راية الشعب فهى خاصة للتوزيع بين الجماهير ولذلك
أطلق على المنظمة اسم حزب الراية ، ومن باب العلم فإن هذا الاسم وأسماء كثيرة
للنشرات والشعارات أطلقت على مثيلاتها بمعرفة البلاشفة قبيل الثورة الروسية .
وقبل ثورة الجيش تمكنت من توزيع الكثير من هذه النشرات ، ومع ذلك فلم
يضبط من أعضائها الا عدد قليل فلم تتأثر المنظمة تأثيرا كبيرا فى نشاطها .

وكان من هذه القضايا - من ناحية المضمون وليس الشكل - القضية
رقم ٢٣٢١ جتايات مصر الجديدة عام ١٩٥١ . إذ ضبط أصلا موسى كوهين
يحووم حول منزل المرحوم مفتى فلسطين ولم يكن معه سوى مفتاح مسكن ولم نجد

معه ما يدل على شخصيته أو عنوان مسكنه • ولما شاهده المختصون تعرفوا عليه وعلى مسكنه ، وانتقلت مجموعة ودخلت المسكن بالمفتاح المضبوط ، وفوجئت بأحد الشيوعيين المعروفين وهو محمد عباس سيد أحمد وكان نائما فى السرير مع لوسى كوهين زوجة أصلان موسى كوهين وأوديت سلامون سدنى زوجة سلامون سليم سدنى وهما من الشيوعيين المعروفين •

واننا نربأ بأنفسنا عن ذكر فضائح ليس لها داعى ، وانما نود أن نذكر أن لائحة كل انتظمات الشيوعية تدعو العضو أن يسلك مسلكا طيبا بين الجماهير وأنه لا يقبل فى صفوف الحزب الأشخاص الذين يؤدى مسلكتهم الخلقى والاجتماعى الى تشويه سمعة الحزب أمام الجماهير الشعبية •

حكم فى هذه القضية على المذكورين جميعا بالحبس مع الشغل والغرامة • وأذكر أنه ضبط فى المسكن مبلغ حوالى مئتا جنيه مصرى ادعت احداهن أنه لها ، فضلا عن الأوراق الشيوعية ومعظمها خطى بالعربية والفرنسية ، وقد استفدنا من هذه الأوراق كثيرا فى معرفة خبايا منظمة الحزب الشيوعى المصرى التى ترقى فيها محمد عباس سيد أحمد الارستقراطى الى عضوية اللجنة المركزية فيما بعد •

المنظمة وقبلة الثورة والوحدانية ١٩٥٢

لو اجتمع كل أعداء مصر في ذلك الوقت على مهاجمة الثورة المصرية التي ابعدت الملك وتولت السلطة وأعلنت مبادئها ، لما توصل المجتمعون الى أسلوب مهاجمتها ورجالها والظمن في وطنيتهم ، مثلما قامت به منظمة الحزب الشيوعي المصري عند قيام الثورة . فقد اتهمت رجال الثورة بالخيانة وبأن أمريكا دفعتهم الى الثورة ، وبالفاشية والدكتاتورية وغير ذلك منذ اليوم الاول لقيامها ، ولم تقف المنظمة عن مهاجمة الثورة ، الا بعد اتفاقية الاسلحة مع الاتحاد السوفييتي وباليات هذا الموقف لم يكن مشوبا بما يشوهه فان الشيوعيين من هذا الحزب لم ينسوا لحظة ما تعلموه من النضال لاسقاط الحكومة بالصراع الدموي وتقليب الطبقات عندما يحين الوقت المناسب .

كانت أولى القضايا الهامة التي تعتبر ضربة قوية في صميم السرية التي غلف بها الحزب أعماله والتي ان دلت على شيء فانما قد دلت على أنه كانت هناك أموال تنفق عن سعة للمحترفين والدعاية والطباعة والأجهزة ولم يكن لدينا في هذا الوقت دليل مادي على ذلك .

كنا نسمع من الأقوال المتواترة بين الشيوعيين أن الحزب لديه أوكار تحت الأرض لا يمكن الوصول اليها ، وأن له مخزن في حجرة مصفحة تحت الأرض وتستعمل لاختفاء النشرات وحفظ أرشيف كامل لكل مطبوعاته .

وفي فبراير من عام ١٩٥٣ ، ضبط عدد كبير من أعضاء الحزب الشيوعي المصري ومنهم سعد باسيل جرجس الذي فتش مسكنه بالدور الأرضي من منزل بشوارع الجسر بشبرا ، وقد أمكن رفع عدة بلاطات من أرضية حجرة النوم تحت المرير فظهرت حجرة مصفحة فعلا بها أدوات طباعة وأوراق وأرشيف للحزب

من تقارير ونشرات مما ناعت بحمله سيارة نقل • وأذكر أن مهندسى المباني الذين انتدبتهم النيابة للمعاينة ، أبدوا دهشتهم عن كيفية بناء هذه الحجرة دون ملاحظة خطورتها على المباني •

وحكم على المتهمين بالسجن مددا تتراوح بين سنة وعشر سنوات مع الأشغال الشاقة • وقيدت القضية برقم ٢٨٦ عسكرية عليا لعام ١٩٥٣ •

وملاحظة بسيطة عن القضية السابقة تخلص الى أن جميع المتهمين فيها من الشباب والعمال متوسطى الحال والطلبة من أسر عادية • أما قادة المنظمة فمن أبناء الأسر الغنية ولم تخلو عائلاتهم من أحد الباشوات السابقين أو كبار المثقفين الحاصلين على أكبر الدرجات العلمية ، هؤلاء يعيشون فى أبراج عالية ويحيطون أنفسهم بسياح من الحرس والسرية ليأمنوا المخاطر • ولكنهم يرسمون الخطط ويخططون للاستيلاء على السلطة وينصبون أنفسهم أولياء على الطبقة العاملة وأوصياء على الجماهير •

كانت هذه أول ضربة كبيرة حاقت بالمنظمة ، وقد كتب أحد قادتها فقال فى نشرة (كيف نحمل أنفسنا وتنظيمنا من غدر القاشية وجواسيسها وأقلام مخابراتها وبوليسها وأمورى الاستعمار • علينا أن ندرس أساليب العدو الذى نكافحه) • وهكذا يفكر القائد فى وسيلة لحماية الذين وقعوا فى حباله •

تخضرنى صرخة من صرخات الندم التى أطلقها أحد أعضاء هذه المنظمة وقد عبر بهذه الكلمات (أربعة عشر عاما صلختها من عمرى ثم ألقى بها فى البحر ، وكثيرون من قبلى صلخوا من أعماهم سنوات وألقوا بها فى الظلام ... قضيت معظم هذه المدة بين اختفاء ومعتقل وسجن وبعد أن شرح بعض التفاصيل كتب قائلا اية مبادئ تقول لكم أن للدليلين من أبناء الاقطاع والباشوات وسيدات الصالونات وعارضات الأزياء والارستقراطيين هم قادة الطبقة العاملة المصرية ، سوى مبادئ الدجل والتضليل ؟) •

الم أبداً حديثى بارستقراطية الحزب الشيوعى المصرى ؟ وللعلم فإن هذا الخطاب وصلنى بعد عامين من أحوالى للتقاعد واكتفى منه بهذا القدر •

القضية رقم ١٥٠ جنبا إلى عسكرية عليا عام ١٩٥٦

كانت هذه القضية عبارة عن عدة قضايا ضمت الى بعضها ونستمد من أدلتها للمعلومات عن الحزب الشيوعي المصري التي توصلنا اليها خلال هذه الفترة .

واصلت المنظمة نشاطها بعد فبراير ١٩٥٣ وظلت تصدر القرارات والبيانات بخط اليد ومنسوخة بالكربون ، وقامت بتنظيم دقيق وفي حرص شديد بعد تغيير الاتصالات والتحركات ثم عادت من شهر مارس ١٩٥٣ ، تصدر نشرات راية الشعب والحقيقة والفلاح والطلبة « والنصر مخصصة لرجال الجيش » ومصر المكافحة باللغة الفرنسية للأجانب ، غير ما كانت تصدره ، من دراسات ثقافية ماركسية .

وفي ٢٧ فبراير عام ١٩٥٤ أى بعد سنة كاملة من ضبط وكرها في شبرا ، ضبط العديد من أعضاء المنظمة من قادتها كما ضبطت أوكارها السرية للطباعة وتخزين المنشورات في القاهرة والاسكندرية وطنطا وقرية تابعة للتوقيعية . وكان أخطر أوكار الطباعة ما ضبط بمدينة طنطا ، وكان يتولى طباعة النشرات الهامة كراية الشعب وغيرها .

كان هذا الوكر يقع في شقة بالدور العلوى من المنزل ٥٦ شارع الجيش وبفتيش المسكن وجدت به بعض الاوراق الشيوعية والمنشورات ، وكنا نعتقد أن آلات الطباعة موجودة بتلك الشقة . ونظرا لأن الناظر الى المسكن من الخارج يرى أربعة شبابيك ، في حين أنه من الداخل توجد ثلاث حجرات لكل حجرة شباك واحد . وأخيرا اكتشف في نهاية الطرقة حوض مركب فوقه صنبور بالحائط ، وبفتحه لم تتوّل منه مياه وتبين أنه غير متصل بمواسير المياه ، وبفحص ماسورة الصرف أسفل الحوض وجدت غير متصلة ببلاعته ويتدل منها سلك قصير . وبشد هذا السلك وبدفع ماسورة الصرف للداخل افتتح باب ثقيل

أسفل الخوض أدى الى حجرة (١) وجدت بها مطبعة كاملة ولوحات كبيرة لحروف الطباعة وفوقها صورة ستالين معلقة على الحائط (٢) ، كما وجدت نشرات وأوراق للطباعة وأصول نشرات ، وفوق المطبعة حروف معدة لنشرة الفلاح العدد ١٩ ، وتبين أن باب الحجرة السرى عبارة عن باب خزينة حديد طلى من الخارج حتى يماثل الحائط عند اغلاقه بغير أن يظهر وأنه يفتح عند شد السلك بطريقة هيدروليكية دقيقة .

وضبط أيضا عند أحد المتهمين متولى محمد بحر وهو سكرتير المدرسة الابتدائية ببلدة الضهرية مركز ايتاى البارود ، جهاز رونيو للطباعة وأوراق ومنشورات مطبوعة وأصولها .

ونخرج من هذه القضية المكونة من عدة قضايا حتى تمت المحاكمة فى عام ١٩٥٦ بالملاحظات الآتية :

● من بين المضبوطات أوراق مبین بها حسابات بالمصروفات ، ولا يوجد من بينها ورقة واحدة عن الإيرادات والاشتراكات التى تحصل من الاعضاء .

● ما زال السؤال الحائر يتردد علينا ، وهو من أين يأتى الحزب الشيوعى المصرى بالأموال التى تكفى الاتفاق على كل هذا النشاط من محترفين واتصالات وسفر بين القاهرة وطنطا وكفر الزيات المحلة الكبرى كما ثبت من تحقيق القضايا ؟

● قدمت النيابة ٦٩ متهما فى القضية منهم ستة من العاطلين المحترفين للنشاط الشيوعى وأما باقى المتهمين فمن الطلبة والعمال البسطاء وأصاغر الموظفين ، ويستثنى منهم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الذى كان قد عين مستشارا اقتصاديا بمجلس الوزراء قبل ضبطه بيومين . وعادل سيف النصر من عائلة سيف النصر المعروفة .

(١) انظر صورة باب الوكر .

(٢) انظر الصورة التالية للمطبعة .

(٣) صورة لوحات الحروف وفوقها صورة ستالين .



باب الوكر

● الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله أحد المتهمين فى هذه القضية كما قلنا ، وأنا اكن لمبقرته تقديرًا خاصًا ، وقد كدنا نقع فى خطأ غير مقصود ، وعذرنا الظلام الحالك الذى كنا نسير فيه - فقد اعتقدنا أنه زعيم التنظيم ، حيث وصلتنا بعض المعلومات المتواترة عن صفات الزعيم وأوصافه مما انطبق تقريبًا على الدكتور اسماعيل صبرى خاصة وأنه كان مدرسًا للاقتصاد وأعلى مستوى بين الأعضاء وصلنا اليه •

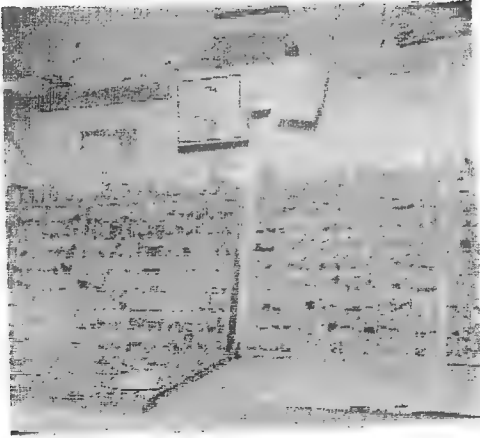
ضبط كتيب من الكتيبات التى أصدرتها المنظمة بمنوان (من هم الشيوعيون المصريون وماذا يريدون) بقلم خالد سكرتير عام الحزب الشيوعى المصرى • وورد

به (أن الشيوعيين لن يمسوا مبدأ الرأسمالية الفردية ولن يصادروا أموال الرأسماليين بالجملة وعلى العكس فإن سياستهم بالنسبة للرأسماليين ، هي حماية وتشجيع الصناعة والتجارة بشرط ألا تكون احتكارية جشعة تسيطر على الحكام وتتحكم في أقوات الملايين) •

ولما واجهت النيابة الدكتور اسماعيل صبرى فى التحقيق بهذه العبارات • قرر أن ما ورد بالكتيب صادر عن شيوعيين مبدؤهم الفاء الملكية الفردية ، ان عاجلا أو آجلا ، وإن قالوا غير ذلك فإن قولهم يكون من قبيل الدعاية السياسية المقصود بها طمأنة بعض الناس •



ماكينة الطابعة



صناديق الحروف وفوقها صورة ستالين

● ضبطت مع المتهم ثروت الياس سلامة عدة ورقات محررة بالحروف الأفرنجية قال انها محررة باللغة الألاتية ، وتبين انها محررة بالشفرة وأمكن حل وموزعها وتبين انها خطابات محررة بالسين من متهمين مجوسين والباقي تقارير أدت الى ضبط متهمين آخرين من أعضاء المنظمة .

● من بين التقارير المحررة بالشفرة ، تقرير بعنوان (مسالة طهران) ويدل على أن الحزب الشيوعي المصري على اتصال مستمر بحزب توده الشيوعي الإيراني عن طريق عضوين بالحزب الشيوعي المصري هما مجدى عبد المقصود شاهين وعويس محمد أحمد، وكان الأخير كاتباً بفرع شركة مصر للطيران بطهران، وسبق الحكم على كل منهما بعشر سنوات أشغال شاقة في القضية رقم ٤٩٠ عسكرية عليا عام ١٩٥٢ .

ولفت النظر ، ان هذا التقرير اشار الى مستندات أرسلت من الحزب المصرى الى حزب توده ومنها شعارات الحزب واسم مجلته وهى راية الشعب • وان حزب توده فكر فى الاعلان عن الحزب الشيوعى المصرى فى جريدته السرية ، وأشار الى سرعة البت فى المسألة المادية بالذات ••• كما أشار التقرير الى أسماء بعض أعضائه بظهران وهم على نعمان ومحمد سعيد وقدمى ناظمى وآخرين ممن اتصل بهم مجدى شاهين ، والشاعر محمد مهدى الجواهرجى وهو عراقى أبعد عن بلاده فى ذلك الوقت وأقام فى ايران وتبين سابقة حضوره لمصر واتصاله ببعض الشيوعيين ثم عودته •

وحزب توده معروف بأنه من الاحزاب الشيوعية القديمة ، ومتصل منذ تأسيسه بالشيوعية الدولية • ويظهر من طلب سرعة البت فى الناحية المادية الواردة بالتقرير أن الحزب الشيوعى المصرى أصبح تابعا للشيوعية الدولية ويعمل من الخارج •

● من بين النشرات المضبوطة فى هذه القضايا ، نشرة بعنوان (يسقط صلاح وعبد الناصر) ومؤرخة ٢ سبتمبر ١٩٥٤ ونلخصها فيما يلى :

(ان الحزب الشيوعى المصرى فضح عصابة السفاح عبد الناصر منذ يومها الاول ، لقد أوضح الحزب تبعيتها للاستعمار الانجلو أمريكى •• خدمة مشروعاته العدوانية واستنزاف موارد شعبنا • وبالأمرى سجنحت رشاد منها أحد أعضائها ثم نفت خالد محيى الدين الى الخارج • وبعد أن انفضحت العصابة بتسليمها الشعب السودانى للاستعمار ، يحاول الجاسوس عبد الناصر أن يلقي تبة الحياة على الصاغ الخليج صلاح سالم • أيها الوطنيون ، لتتحد جميعا ضد الاستعمار ولنسرع فى اسقاط العصابة المتناحرة على خدمة أسيادها) •

أرجو من القارىء أن يرى هذا الكلام جيدا ويتذكر ما كتبناه عن سياسة المنظمات الشيوعية فى الفترات السابقة التى لا تختلف عن سياسة الحزب الشيوعى المصرى •

... كان بعض المنظمات يتهم البعض الآخر بالعمالة للاستعمار ومع ذلك توحدت كلها !! • لحساب من كان موقف هذه المنظمة وغيرها ؟

السبب الوحيد لهذه السياسة

يسير كل الشيوعيين فى خط الهجوم العشوائى ضد الحكومة ، وذلك حتى يوم فوجيء فيه الشعب والعالم كما فوجئ الشيوعيون أيضا باتفاقية الاسلحة مع الاتحاد السوفييتى .

وهنا وبغير مقدمات يتقلب الشيوعيون فجأة من موقف المهاجمة ، ويغيروا من لون جلودهم ، وتصدر عنهم البيانات بتحليل جديد للحكومة ، انتهوا فيه الى انها حكومة وطنية . وشنت منظمة واحدة اصدرت نشرة قالت فيها (ان عبد الناصر احضر السلاح ليخمد به انفاس الحركة الوطنية) ، وفى نشرة اخرى تقول (ان استقلال البلاد لن يتم الا على ايدي الجيش الاحمر) .

ليس هذا الهجوم شذوذا فى التفكير ؟ اليس هذا التأييد شذوذا فى العقل ؟ بل وأعلى مراتب النفاق والانتهازية ؟

سافر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لحضور مؤتمر باندونج ، وطلعت نشرة راية الشعب العدد ١٤٤ فى ابريل عام ١٩٥٥ تقول (فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج ، واستنكرت عليه الجلوس مع قادة الشعوب المتحررة، مثل شواين لاي وهوشى منه . وقالت انه فاشى خائن يحاول اخفاء صفاته بالتمسح فى اذيال الشيوعية) .

وفى نشرة اخرى فى ١٩ اغسطس عام ١٩٥٥ تقول (لن يخدع المصريون بموافقة عبد الناصر على زيارة الاتحاد السوفييتى ، واذا كان يريد أن يقيم علاقات مع قادة الاتحاد السوفييتى ، فلماذا ينكل بالشيوعيين المصريين ، قادة الشعب المصرى . واذا كان عبد الناصر يريد أن يقيم علاقات مع السوفييت ، فليعقد ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتى . وذيلت النشرة بالهتاف بحياة الاتحاد السوفييتى وسقوط قائد بلدهم مصر) .

ليس هؤلاء الناس سوفيين في مسوح المصريين ؟ ٠٠ ومن أين تأتيهم
صفة المصرية وقد وضعوا من لدى الصهيونية ، وتقلدوا على فتات السوفييت .

وزار الرئيس الراحل موسكو ، وبعد فترة أعلن عن صفقة الاسلحة
التشيكية وبدأ عهد جديد في العلاقات المصرية السوفيتية .

واذا بأصحاب الحنكة السياسية ، والآراء التقدمية الماركسية التي لا تخطئ ،
يحولون سياستهم تماما الى تأييد للحكومة المصرية ، أو تأييد مغلّف بالسموم .
وتنشر راية الشعب العدد ١٦٠ في ٧ سبتمبر عام ١٩٥٦ ما يأتي :

(ان الحكومة خلال عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ خطت خطوات لا بأس بها في
توثيق العلاقات الاقتصادية بيننا وبين الدول الاشتراكية ودول الديمقراطية
الشعبية وكان لهذه الخطوات آثار ملموسة في تخفيف وطأة الأزمة التي أوجعها
الاستعمار وطالبت النشرة بزيادة توثيق هذه العلاقات وهلمت باستجابة
عبد الناصر لبعض مطالب الشعب في الدفاع عن السلام العالمي والاتجاه نحو
الاستقلال وتأميم شركة القناة الاستعمارية ، وطالبت بتعبئة الشعب في حرب
شاملة ضد الاستعمار وبحرية جيش التحرير وحرية الوطنيين للاجتماع والتظاهر
وتنظيم أنفسهم وفي حمل السلاح بلا قيود !!) - الوطنيون هنا أي الشيوعيين .

يا للخجل ؟ لو كان الخجل رجلا لاشتد كسوفه من نفسه حتى اختنق .
ماذا يقال بعد ذلك ؟ وبعد أن كتبت مجلة الحقيقة الخاصة بالحزب في عدد نوفمبر
عام ١٩٥٦ (ان عبد الناصر بدأ مناهضته لحطة الاستعمار منذ آخر عام ١٩٥٤) .
كيف الحال يا صادة ؟

أوجه هذا السؤال للشيوعيين أولا ، وخاصة تزعيمهم ومعلمهم « خالد »
ورجاله الإطال الذين يرسمون سياسة حزبهم الشيوعي ويصدرون نشراته
ودعايته ٠٠٠ يا ترى ، ماذا يقولون ؟

وأوجه نفس السؤال الى كل من يقرأ كتابي هذا . لعله يجد له اجابة
اجابة شافية ويجد للشيوعيين وصفا دقيقا يعيزهم عن الناس .

تري أخى القارىء ، ان ولاء الشيوعيين لم يكن يوما لبلدهم ، وان ادعوه ، وان من يغير جلده ، بين يوم وليلة يكشف عما فى نفسه بغير مواربة ، وفى نفس الوقت ، يدعى أنه واصحابه وحدهم متقنوا الوطن من الاستعمار ، والطبقات الفقيرة من برائن الطبقات الرأسمالية ، والمكافحون المناضلون الشرفاء - اى والله الشرفاء - الذين لا يوجد سواهم وسط الملايين من أبناء الشعب ، والذين يتخذون من دون الأسلحة سلاحا واحدا ، هو المباراة الجوفاء ، التى قد تلقى هوى فى نفوس البسطاء والسذج ، ويدافعون عن آرائهم بالكلمة الوقحة والارهاب الفكرى ، ويحتنون بالسرية لتعاشى مواجهة الناس والتهرب من حسابهم .

لم تكن هذه السياسة مقصورة على منظمة الحزب الشيوعى المصرى ، لكنها شملت جميع الشيوعيين فى مصر ، الذين هاجموا نظام الحكم فى الداخل والخارج ، وبمجرد علمهم بمقد الاتفاقيات العسكرية والتجارية مع السوفييت ، هملوا وكبروا للحكومة الوطنية . ناهيك بموقف الشيوعيين من العدوان الثلاثى على مصر . ويكفى أن نذكر التقرير الذى بعث به هنرى كورييل ومجموعته من الصهاينة ، ونشرة الشيوعيون فى مصر : يطالبون بالصلح مع اسرائيل ، مع علم ابراز عدوان اسرائيلى . ويؤيدهم فى ذلك جميع الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية .

وكما ذكرنا ، فقد جاءهم رسول من قبل الأحزاب الشيوعية العالمية ، يدعوهم الى وحدة شاملة مع باقى المنظمات الشيوعية فصدرت النشرات التى تدعو الى الوحدة من مختلف المنظمات . تحدد شروط الوحدة ، كما تدعيها كل المنظمات ، وأقول شروط الوحدة ، ولكنها فى الحقيقة ، مناقشات يقيه فيها الأعضاء ، وينشغلون فى أحاديث لا فائدة منها للوحدة أو للشقاق ، ولكنه أمر مقرر فى الخارج ، ينفذه الزعماء .

ومن النشرات التى ظهرت ، نشرة داخلية للأعضاء ، مضبوطة فى احدى القضايا ، بدأت بأقوال لينين عن « الحزب المتلاحم البنية كصخرة من صوان ، موحد بصورة متينة ، حزب للثورة الاجتماعية ولدكتاتورية البيرولياتاريا ، وان وحدة الإرادة والنظام الحزبى الصارم ج يتفان مع وجود انشقاقية وتكتلات » أشير الى ذلك فى مؤتمر الحزب الشيوعى البلجيكي ، ومؤتمر الحزب الشيوعى الالماني .

إصلاح الحركة الشيوعية وقيام الحزب الشيوعي المصري

نحن الآن في أواخر عام ١٩٥٧ ، وقد خلقت العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفييتي فرصا مواتية لزيادة النشاط الشيوعي ، الى حد لم يصل اليه من قبل ، ولم يخرج الشيوعيون عن وسائلهم في التنظيم السري والدعاية العلنية منذ تأسست الحركة الشيوعية في مصر . فهناك الشيوعيون المنظمون ويعملون في السر ، وهناك الشيوعيون المكشوفون ، أي المعروفين باعتناقهم المبادئ الشيوعية ، مثل الكتاب والأدباء والفنانين ، ويقف خلف هؤلاء جميعا العاطفون على الشيوعية من غير أعضاء المنظمات .

أما الأولون ، فيقومون من خلف الستار بتوجيه الآخرين لتأدية واجباتهم في النشاط العلني .

وكانت هناك عوامل ساعدت على انتشار هذا النشاط ، تلخص الى ما يأتي :

● اطمئنان المنظمات السرية لموقف الحكومة منها ، اذ رأت الأخيرة - لأسباب ليست من شأننا توضيحها - أن تنضخ الطرف عن نشاط الشيوعيين في ذلك الوقت .

● الدعاية السوفييتية التي تتمشى المنظمات الشيوعية مع سياستها ، وتتناسق معها وتعاونها بكل الامكانيات ، كما سيأتي .

● تسلل الشيوعيين الى الصحافة ودور النشر والاذاعة والتمثيل المسرحي وقصور الثقافة وبعض الوظائف التي تقيدهم سياستهم .

● التساهل في القيود على تحركات الشيوعيين واتصالاتهم في الخارج .

واسمح لي اخي القارئ ان اوضح للمدى الذى وصلت اليه الدعاية الشيوعية فيما يلى :

الصحف والمجلات المحلية :

هذا هو اهم الميادين التى يسعى الشيوعيون للتسلل اليها ثم السيطرة عليها ، فقد استغلوا اوراق فى الصحف والمجلات وجعلوها منابر للدعاية للشيوعية - بحذق ومهارة - وكتب العديد منهم فى صحف المساء ودار روز اليوسف وصباح الخير وعمل بعضهم فى الجمهورية والشعب ، وكان الكثيرون من هؤلاء اعضاء فى المنظمات السرية بل ومنهم بعض قادتها .

دور النشر :

أسس بعض الشيوعيين ، عددا من دور النشر ، أصدرت الكثير من الكتب ذات الاتجاه الشيوعى ، وذات العناوين الوطنية البراقة وكانت كلها تباع بأثمان رخيصة ، جعلها فى متناول جميع الطبقات ، ومنها ما يختص بالنشاط العمال والنقائى . وكان بعض المؤسسين لهذه الدور من أعضاء اللجنة المركزية فى المنظمات الشيوعية .

الكتب والمجلات المستوردة من الخارج :

يهتم السوفييت بالكتب والمجلات ، لنشر الشيوعية منذ قيام الثورة البلشفية ، ويعتبرونها أهم أسلحة الدعاية ، وقبل قيام الثورة فى مصر ، ورد للسفارة ثمانية صناديق كبيرة ممتلئة بالكتب السياسية الا انها احتجزت فى الجمارك ولم يسمح بتسليمها ، وعند بدء المفاوضات الخاصة بالأسلحة مع السفير السوفييتى السيد « سولود » طلب الافراج عن تلك الصناديق . وعندما سئل هل هى كتب سياسية ؟ اجاب قائلا « انها ليست كلها كذلك !!!

وما أن أفرج عن الصناديق ، حتى أصبحت في يد الشيوعيين جميعا ، وضبط في حيازتهم الكثير منها ، واستمر تدفق الكتب والمطبوعات من كل البلاد الشيوعية ، باللغات الفرنسية والانجليزية والعربية وحتى باللغة الروسية لمن يدرسون في فصول اللغة بالمركز الثقافي .

يضاف الى ذلك ، ما كانت تصدره الصحافة والمراكز الثقافية . وما كانت تبيعه التوكيلات التي أنشئت لبيع هذه المطبوعات في أهم شوارع القاهرة .

ولمعرفة أهمية هذا النوع من الدعاية ، يكفي أن نذكر أن انطون تشيكوف – القنصل السوفييتي – وهو خبير بالشئون المصرية ، وكان يوزع بيده المطبوعات والمجلات السوفييتية في بور سعيد ، مجانا على صغار الطلبة الذين يمرون من أمام السفارة ، وكان بعضها يتضمن مقالا دعائيا عن تعاليم الماركسية ونظريات لينين في الحكم وأثرها على النظام . كما وزعها على العمال في اسوان .

المراكز الثقافية :

منذ أنشئت المراكز الثقافية التابعة للاتحاد السوفييتي والدول الدائرة في فلكه ، وهي تقوم بوظائفها التي حددت لها . ولما كانت خطة السوفييت الدعائية تقوم على دعامات متباينة رئيسية ، فإن من أهم الدعامات ، المراكز الثقافية التي أقامتها في مصر لتحقيق مخططاتها في الدعاية .

وتجمل المهام الملقاة على عاتق هذه المراكز في جملة واحدة ، هي « تثقيف الجماهير » . ولذلك تجد هذه الجملة دائمة التكرار ، في المنشورات الشيوعية التي صدرت عن جميع المنظمات الشيوعية . وهي تقول أن أهم واجبات الحزب الشيوعي هي تثقيف الجماهير بالثقافة الماركسية اللينينية . وأن كادرات الحزب يجب أن تتسلح بالثقافة الشيوعية .

وإذا تتبعنا نشاط المراكز الثقافية ، منذ أنشئت ، لوجدنا هذا النشاط وقد تعددت مجالاته واتسعت ميادينه ، مما يعد خطراً لا يقل عن خطورة المنظمات السرية . ومن ذلك ما يأتي :

● اغراء الشباب خاصة ، وفئات الشعب المختلفة بصفة عامة ، للتردد على مراكز الثقافة ، بالوسائل الآتية :

● توزيع المطبوعات ذات الجاذبية الخاصة - أناقة في الطبع ، وعناوين تفرى على القراءة بالمجان - ومنها المجلات والكتب .

● إقامة حفلات موسيقية وتشجيع الهواة على تعلم الموسيقى . وقد أوفدت بعضهم الى موسكو لدراسة الموسيقى والحصول على الشهادات منها .

● إقامة الحفلات فى المناسبات الوطنية ، سواء كانت هذه المناسبات سوفيتية أو مصرية ، ودعوة بعض الأساتذة والعلماء لالقاء المحاضرات العلمية والاجتماعية والاقتصادية على الحاضرين .

● من المناسبات الخاصة جدا ، ما أقيم لمناسبة ذكرى مولد لينين وذكرى الثورة البلشفية .

● امتدت هذه الحفلات الى المناسبات الدينية ، فقد احتفل المركز الثقافى السوفيتى بمولد الرسول « محمد عليه الصلاة والسلام » ودعت أحد رجال الدين لالقاء محاضرة مناسبة !!

● افتتحت فصولا لتعليم اللغة الروسية متعددة المراحل .

● اغراء المتفوقين فى اللغة ، بالالتحاق بجامعة لوموبا ، التى انشئت خصيصا لتعليم أبناء آسيا وأفريقيا وبلاد أمريكا اللاتينية ، ومن شروطها النجاح فى العلوم الماركسية .

● استيراد الأفلام الروسية ومنها ما يدعو للشيوعية ويحرض عليها ، وقد اتفق المركز السوفيتى مع احدى دور السينما فى القاهرة ، لعرض هذه الأفلام بصفة مستمرة .

● استقبلت المراكز الثقافية ، كثيرا من الفرق الفنية المختلفة ، لتعرض فنونها في القاهرة وبعض عواصم المحافظات • كالسيرك والباليه وفرق الرقص الشعبي والغناء • وكلها فرق مبهرة للشعب بكافة طبقاته ، تمكس مدى التقدم الذي أحرزه السوفييت في ظل النظام الشيوعي •

● وظيفة المراكز الثقافية في النشاط السرى :

● تعتبر المراكز الثقافية ، انسب الأمانة للمقابلات التي تتم بين بعض الشيوعيين أو بينهم وبين بعض الدبلوماسيين المتخصصين •

● تقوم المراكز بانتقاء العناصر الصالحة من الشباب ، للاحاقهم بالجامعات السوفيتية المختلفة •

● ارشاد الشيوعيين المحليين في بعض ما يتعرضهم من مشكلات طارئة ، في ظروف مفاجئة •

● ترسم المراكز - بحكم اتصالها بالجامهير - صورة للرأى العام المحلى في المناسبات السياسية والاقتصادية المختلفة :

المجلس القومي المصري للسلام :

وكان فرعا من مجلس السلام العالمى ، أحد أجهزة الدعاية السوفيتية العالمية ، وكان بعض أعضائه لفترة من الشيوعيين المنظمين •

وقد انتخب السيد خالد محيي الدين والسيدة سميرزا نبراوى في مركز قىادى بمؤتمرات المجلس العالمى للسلام ، التي تنعقد في احدى بلاد أوروبا •

أدى هذا الانفتاح الى أن يعتبره الشيوعيون فرصة العمر ، فكشفوا عن انباهم واتسع نشاطهم السرى والعلنى ، وأصرعوا في تحقيق الوحدة التي تضم جميع الشيوعيين لأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية •

أدت هذه العجلة الى تنازل المنظمات عن الكثير من نقط الخلاف الفكرية ، التي شغلوا بها الأعضاء فترة طويلة ، واقتصرت المناقشات على تحديد نسبة القياديين من كل منظمة ، وقد غض الطرف عن اليهود ، على أن يشتركوا كأعضاء عاديين فقط ، سواء القائمين منهم أو الحاضرين أو الذين أسلموا •

الباب الثالث

الفصل الأول:

إعلان الحزب الشيوعي المصري
الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان
والوحدة بين مصر وسوريا
الشيوعية الدولية وأثرها في الشيوعية المحلية
ما العمل ؟؟

الفصل الثاني:

مرة أخرى ، ما العمل ؟؟

الفصل الثالث:

القضية رقم ٢ مهرأس الدولة عام ١٩٥٩
وشملت تحقيقات ثلاثة نظمات لكل منها قضية

الفصل الرابع:

قضية الحزب الشيوعي المصري " الرابطة "
نظمته طليعة العمال والفلاحين
القضية رقم ٢٥٥ عليا عام ١٩٦١

الفصل الخامس:

المدرسة

الفصل الأول

وحدوا الحزب الشيوعي المصري

في ٨ يناير عام ١٩٥٨ ، أعلن الشيوعيون جميعا تكوين الحزب الشيوعي المصري ، بقيادة يوسف أبو سيف يوسف - سكرتيرا عاما للحزب ، وكانت زعامة اتفق عليها حتى لا تستأثر منظمة الراية بكل المناصب الهامة .

وظل الحزب الشيوعي المصري يعمل في الميدان ، حاملا في طياته عوامل هدمه - كما يقول الماركسيون - اذ شعرت المنظمات أنها مغبونة في توزيع الكراسي للجنة المركزية واستأثرت منظمة الراية بعدد من عضوية اللجنة المركزية ، وأما الأعضاء العاديون ، فيساقون خلف قياداتهم الأصلية ليس لهم في « الطور ولا في الطحين » .

وصل الخلاف ذروته ، وتمكنت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني من سرقة أجهزة للطباعة وردت حديثا من الخارج ، وما زالت في لفافاتها ، ووضعتها في منزل بالمطرية ، حيث ضبطت في يوم ٣٠ يونيو من عام ١٩٥٨ .

أحدثت هذه السرقة ذعرا في الحزب الشيوعي المصري بهيلمانه ، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير .

وانقسم الشيوعيون الى منظمتين :

● **الحزب الشيوعي المصري •**

● **الحزب الشيوعي المصري من فريق « حدتو » •**

وكل منهما يدعى أنه هو الحزب الشيوعي المصري •

ويحسن بنا أن نقف قليلا حتى لا يختلط علينا الأمر • ونعرج نحو وحدة القطرين الشقيقين : مصر وسوريا ، التي أعلنت في ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ • ولم تدم طويلا ، وكان للشيوعيين العرب – أستغفر الله أقصد الشيوعيين في البلاد العربية ، دور كبير في افشالها •

لذلك تأتي المناسبة لذكر تاريخ الشيوعيين في بعض البلاد العربية •

الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان والحركة بين مصر وسوريا

كما حدث في مصر ، فإن الحركة الشيوعية في الشام - وكان يضم سوريا ولبنان - بدأها بعض الأجانب والأرمن في أول العشرينيات ، وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني هو مركز الحركة الدولية في منطقة الشرق الأوسط وإrásها يهودى كما قلنا .

وفي عام ١٩٣٣ بدأت مرحلة تعريب الحزب السوري اللبناني ، وكان على رأسه أرتين مادويان وبوبودجيان وزاديك دادوريان وفؤاد الشمالى . وكان الأخير من عملاء الشيوعية الدولية وبدأ دوره فيها منذ أول العشرينيات بالاسكندرية مختصا بنقابات العمال وعضوا مؤسسا بالحزب الشيوعي المصري . وفي ٢٥ مايو عام ١٩٣٣ ، انفصل عن الحزب وأسس مع بعض السوريين واللبنانيين حزبا أطلق عليه اسم « الحزب الاشتراكي السوري اللبناني » ولم يسمع عنه شيء بعد اعلانه . وانتقل فؤاد الشمالى للعمل بالحزب الشيوعي بالشام .

وبعد اجتماعات ومؤتمرات في بيروت ، تدخل فيها الحزب الفلسطيني ، تمكن خالد بكداش قطوش الكردي من اتخاذ قرار بطرد العناصر الاجنبية وتكوين قيادة عربية للحزب .

ونجمل ما يهمننا في نشاط الحزب الشيوعي السوري فيما يلي :

● كان بالشام فريق من الوطنيين ، تسمى « بالكتلة الوطنية » ، وهي حزب جماهيري يكافح الاستعمار الفرنسي في ذاك الحين ، وكانت هذه الكتلة على رأس النضال الشعبي . وقف الحزب الشيوعي في الشام موقفا متطرفا ، هاجم فيه الكتلة الوطنية ونعتها بالحزب الانتهازي الاصلاحى ، وكان موقفه يدعو الى السخرية . اذ كان في خط الاستعمار وسياسته . واعترف فيما بعد بخطاه في هذا الاتجاه .

● عندما انقلب الوضع في فرنسا عام ١٩٣٦ ، وتولت الأحزاب اليسارية الحكم ، كانت بلاد الشام تطالب بالاستقلال ، وتقاوم قانون المحافظات ، الذى أراد أن يفرضه المنسوب السامى الفرنسى ، وقامت المظاهرات الكبرى والاضرابات الشعبية في المدن الكبرى تندد بهذا القانون . وتآلف وفد المفاوضات من الكتلة الوطنية ، وقصد باريس لمفاوضة الحكومة التى أقرت الخطوط الأولى لمعاهدة فرنسية - سورية كخطوة في طريق الاستقلال .

وهنا هرع خالد بكداش قطوش - الذى كان في موسكو - الى باريس وبدأ مع زعماء الحزب الشيوعي الفرنسى والشيوعيين السوريين التدخل في المفاوضات ولم يكن غرضهم نجاح المعاهدة بل كان همهم تدعيم نفوذهم في الحركة الوطنية . ودعوا الشعب الى قبول المعاهدة كما ترفضها فرنسا ، وذلك منعا من احراج الجبهة الشعبية الفرنسية وخمسة للنضال ضد الفاشية . ثم قامت الحرب العالمية الثانية ولم يقدر للمعاهدة أى نجاح .

● بالنسبة لقضية « لواء اسكندرون » التى كانت تطالب به تركيا ، وقف الشيوعيون موقفا مضادا لارادة الجماهير ، فدعوا الى تسليم هذه المنطقة لتركيا طبقا لأوامر الحزب الشيوعي الفرنسى ، والذى تلقاها بدوره من الاتحاد السوفيتى .

● **وافق الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ، على قرار تقسيم فلسطين وإقامة دولة إسرائيل ، متراضا مع مصلحة البلاد القومية ضد ارادة الشعب العربي .** وقد أصيب الحزب من جراء هذا الموقف . بتكسة كبيرة وانعزل عن الجماهير والأوساط الوطنية . وقد بلغت الجراة بزعماء الحزب أن فصلوا منه المعارضين وطردوهم . وقد انقسم الحزب في كل من سوريا ولبنان الى حزبين مستقلين .

لم يختلف موقف الحزبين السوري واللبناني عن مواقف الأحزاب الشيوعية في مصر ، والعراق والأردن منذ التفكير في قيام الوحدة بين مصر وسوريا . وقد عارضها خالد بكداش معارضة شديدة ظهرت في الخطاب الذي ألقاه في صوفيا وفي براج . وعاد الى سوريا حيث اجتمع بزعماء الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية الاخرى ، ومنهم فؤاد نصار ، وعبد القادر اسماعيل ، وعزيز شريف عن قادة حزب العراق والأردن ، وكانوا يترددون على منزله بحي الأكراد بدمشق لتلقى تعليمات الشيوعية الدولية .

وقد زاره في نوفمبر عام ١٩٥٧ الدكتور عبد العظيم أنيس ونشر مقالا عن مقابلته في صحيفة « المساء » .

وقامت الوحدة بين القطرين ، وهاجمها الشيوعيون جميعا في البلاد العربية ، ومن يقرأ النشرات الشيوعية التي صدرت في هذه الفترة بمعرفة الأحزاب الشيوعية في البلاد الموضح ذكرها ، ليجد أنها متفقة الخط السياسي ، ونقاط الهجوم اتفاقا تاما . وكانت كلها متفقة على تسمية الوحدة بالاستعمار المصري لسوريا .

وقد هرب خالد بكداش من دمشق الى بلاد الكتلة الشرقية حيث أقام بإحداها .

ومما يذكر أن قائد الجيش السوري عفيف البزري ، في وقت اعلان الوحدة ، كان من قادة الحزب الشيوعي السوري ، وقد علمت من بعض الشيوعيين

السوريين أنه كان يحمل علامات العسكرية من الذهب الخالص ومصفورا عليها المطرقة والمنجل شعار الشيوعية من الداخل ، وكانت مهداة اليه من إحدى الدول الشيوعية .

ولنعد الآن لما كنا نتحدث عنه فيما يختص بالحزب الشيوعي المصري ، ولنتأمل قليلا فنربط بين سياسة الحزب الشيوعي المصري بالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا وكيف يتلقى الراى من أحزاب شيوعية أخرى ومؤتمرات دولية .

نشرت جريدة الحزب السرية المسماة « اتحاد الشعب » بتاريخ ١٩ أغسطس عام ١٩٥٨ ، ما كان ينادى به الحزب الشيوعي العراقي ، بالدعوة الى الاتحاد الفيدرالى وليس للوحدة الكاملة . كما أصدر الحزب الشيوعي المصرى نشرة أخرى بعنوان « مفهوم القومية العربية والوحدة المصرية السورية » فى فبراير عام ١٩٥٨ ، جاء بها اعتراض الحزب على الوحدة وعلى حل الأحزاب فى سوريا وتكوين الاتحاد القومى ، وقالت « اننا نرى أن الوحدة لم تتوفر لها الأسس الديمقراطية الواجبة لتدعيمها وتقويتها ، فحل الأحزاب فى سوريا خطوة متخلفة ، لا تدعم الدولة الجديدة ، بل تضعفها . فالأحزاب فى سوريا وعلى رأسها الحزب الشيوعي وحزب البعث ، أحزاب وطنية تقدمية وإن المنهج الذى تحققت به الوحدة ، منهج مناف للديمقراطية ، ولعل أسوأ الاجراءات جميعا ، اعلان تكوين الاتحاد القومى لمواطنى الدولة الجديدة وهو فى الحقيقة حزب البرجوازية الوطنية وليس جبهة وطنية ، كما أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر أكثر من مرة . سيناضل حزبنا من أجل قيام أسس ديمقراطية للحكم فى مصر لتكوين جبهة وطنية متحدة » .

وهاجمت نشرات أخرى للحزب القرار الجمهورى الخاص باخضاع النقابات للاتحاد القومى ، وتناولت مواقف الأحزاب الشيوعية فى الدول العربية من الوحدة ومهاجمتها لنظام الحكم القائم فى مصر ودعت الى الانفصال بين سوريا ومصر .

وقد ضبطت هذه النشرات فى قضية الجناية رقم ٨ لسنة ١٩٥٩ أمن الدولة عليا .

الشيوعية الدولية والثروة الشيوعية المحلية

سبق أن ذكرنا مرارا ، دور الشيوعية الدولية في تحريك الشيوعيين في البلاد المختلفة ، وحتى لا تفوتنا الأحداث بحسب تواريخها فإن مؤتمرا عقد بموسكو في نوفمبر عام ١٩٥٧ ، لمثل الأحزاب الشيوعية والعالية في البلدان الاشتراكية . وتناول بالبحث مسائل العلاقات بين هذه الأحزاب وقضايا الشيوعية الدولية والأحداث السياسية والوضع الدولي ، ورسم الخطوط التي تسير عليها الأحزاب الشيوعية . وحدد الأهداف التي تعمل على تحقيقها .

ورغم مساعي الحزبين الإيطالي والسوري التي أدت الى تكوين الحزب الشيوعي المصري في يناير عام ١٩٥٨ ، فإنه لم يلبث أن انقسم على نفسه من جديد - كما بينا - وأصبحت الرابطة بين الحركة الشيوعية المصرية والأحزاب العالمية قاصرة على تبادل الخبرات ووجهات النظر بالتراسل والمنوبين ، وفشلت المنظمتان المحليتان في الارتباط بالاتحادات الشيوعية العالمية - فيما عدا مجلس السلام العالمي - واقتصرت العلاقات على مد الشيوعيين المحليين بالمال والامكانيات كما سيأتي . وقد استغل الشيوعيون علاقاتنا بالدول الاشتراكية في تلك الفترة ومحاولة الاتحادات العالمية الاتصال مباشرة بالسلطات الحكومية . فقاموا بدعاية جبارة لصالح هذه الدول ونظمها ومبادئها وقالوا أن لها الفضل الأول والأخير في المحافظة على كيان الدول العربية السياسي والاقتصادي . وهيات هذه الدعاية ، مع موقف الحكومة من التساهل معهم ، الفرصة الكاملة لترويج المبادئ الشيوعية وضم الكثيرين الى النشاط السري واكتساب قاعدة شعبية في مختلف الأوساط من الماطفين على الشيوعية والمخدوعين بدعايتها ، حتى تطور الأمر فاعتقد بعض الناس أن الحكومة سائرة في طريق النظام الشيوعي .

ومن أمس الدعاية الشيوعية ، أن الكتب والصحف وما يماثلها من أدوات الدعاية ، هي إحدى وسائل نقل الأفكار بين الحزب الشيوعي والطبقة العاملة . وأن الغرض من الكتابة هو تثقيف الجماهير ، وتنظيمهم في فكرة واحدة لتحقيق أهداف واضحة محددة .

وقد تميزت هذه الفترة حتى أول عام ١٩٥٩ ، بغمر الأسواق بالكتب والمطبوعات الشيوعية ، وأصبحت بعض الصحف منبرا مكشوفاً علنياً للشيوعيين من الكتاب والأدباء ، وبلغ تأثيرهم على الفكر مبلغاً كبيراً وأصبحت لهم قاعدة شعبية من القراء ، وبدأت تنزوي من الصحف والأعمال الأدبية ، أسماء الأدباء القدماء من العالقة ، أمام تيار الأدب الهادف والشعر الواقعي ، وما يكتب عن الأدب وترجمات الشعر السوفيتي .

ولا يقال أن هذه الكتابات كانت تسير الحط الوطني وتعمل على تثقيف الشباب ، لا بل على العكس فقد كانت تفقد الشباب تدريجياً الأسلوب العربي الأصيل عن طريق مسخ اللغة العربية والتعلق بكل ما هو شيوعي .

وجاء الموظفون بالسفارات الشيوعية إلى الاتصال بغير تحفظ بالشيوعيين المصريين وأمدوهم بالمال ووسائل الدعاية . كإقامة معارض الكتب والصور والأفلام . وكانوا يختارون الأماكن الشعبية المزدهمة لنشر المطبوعات حتى أنهم أقاموا معرضاً لها في مدينة طنطا وقت الاحتفال بمولد السيد البهوى .

وانشأ الحزب الشيوعي لجنة سماها اللجنة الثقافية وشرع لها بعض أعضاء اللجنة المركزية لتنسيق العمل بين دور النشر والمكتبات الشيوعية . أما هذه الدور فقد بلغت العشر ، ثبت من تحقيق القضايا الشيوعية التي سيجيء تفصيلها أنها دعمت من السفارات بالمال والمطبوعات والكتب المستوردة من البلاد الشيوعية ، بلغ منها آلاف الجنيهات . ولأن قادة السوفييت يؤمنون أنهم في ظل السلام والعلاقات الطيبة والمساعدات المحسوبة للبلاد النامية ، يمكنهم تحقيق النظام الشيوعي في هذه البلاد والعمل على تعجيل الثورة الشيوعية فيها ، فإنهم لم يتوانوا في إطلاق شعارات السلام والتعايش السلمي ، ومنح الشعوب حقها

ولا يقتصر الأمر على إقامة مهرجانات السلام ومنع المعونات وتبادل الصداقة مع الشعوب ، والتظاهر لطلابها في المحافل الدولية ، بل تعد كل هذا أمران لهما أهمية كبرى في هذا الميدان :

المساعدات العسكرية :

وتلك أصبحت لعبة معروفة ، ويكفي موقف السوفييت من مصر ، فقد مدتها بكل أنواع الأسلحة القديمة ، حتى دخل في روعنا أننا كلف لمجابهة اسرائيل ، وفي واقع الأمر ، كان السوفييت يعملون جيدا ويعملون بكل الأساليب حتى لا تقيدنا أسلحتهم ، لأنهم ببساطة كانوا أول من أيد قيام اسرائيل وضمن بقائها حتى قبل أن تفعل الولايات المتحدة ذلك . وقد كانت مساعداتهم العسكرية محسوبة ومقدرة .

ثانيا : يعلم السوفييت أن كل هذه الدعاية لاطلاق الثورات الشيوعية ، فلا بد من إيجاد طليعة ثورية منقفة بالماركسية في البلاد التي تسلمت إليها الدعاية السوفيتية ، ومهمة هذه الطليعة هي قيادة الثورة وتحقيق الصراع الطبقي . ولذلك ساندوا الشيوعيين المحليين حتى يكونوا فريق الطليعة الثورية . واتفق هؤلاء - حتى بعد انقسام الحزب الشيوعي المصري الواحد الى فريقين - على مهاجمة الحكومة وسياستها ، وأطلقوا الشائعات ضدها وحاولوا إثارة الطبقات والفئات المختلفة نحو مطالبها ، وتسابقوا جميعا في التسلسل الى الهيئات والنقابات ولكنهم اتفقوا جميعا على تأييد سياسة الحكومة الخارجية ، مادامت متجهة الى توثيق العلاقات مع دول الكتلة الشرقية .

وكما حدث في كل المراحل السابقة ، عجزت الحركة الشيوعية عن التسلسل الى الطبقة العاملة والفلاحين ، الا من شذمة لا تحقق بآية حال ، دكتاتورية البروليتاريا . واتجهت الحركة الشيوعية بقياداتها المنقفة وبعضها أرستقراطية النشأة الى الطبقة الجديدة من المتعلمين وأنصافهم ، وصفار الموظفين والطلبة والمتعلمين الذين يعيشون في فراغ وفي قاع المدينة وزوايا النسيان في قرى الريف .

وصل النشاط الشيوعي الى مدن وقرى لم يصل اليها من قبل ، وجهت في ربط الصلة بين خلايا القرى المتجاورة وتكوين المجموعات وتقسيم الجمهورية الى مناطق يتولى كل منها أحد أعضاء اللجنة المركزية . وأنشأت مراكز علنية لتثقيف أعضاء الخلايا ، منها دار الفجر ودار الفكر للنشر بطنطا ، والمعهد العلمي الليلي بنى سويف ، ولكتبة السلام بالمنصورة غير ما أنشئ في القاهرة والاسكندرية .

وبعد أن كان النشاط الشيوعي يقتصر على طلبة الجامعات ، وصل الى المعاهد المتوسطة ، ثم المدارس الثانوية وانخفضت أعمار المجندين للخلايا السرية الى سن ١٨ سنة ، بل وصل الى صغار الطلبة والصبية العاطلين حتى سن ١٦ عاما . وكان هؤلاء قلة ، الا انها اشارة لفتت النظر .

وكرر أيضا عدد طالبات الجامعات في الخلايا السرية ، وبعض المدرسات وكان معظمهن يرتبطن بصلات القرابة أو الجيرة أو الزواج بالشيوعيين . وقد بلغ عددهن في أحد الأحياء بالقاهرة عشر فتيات من بين خمسين عضوا من الرجال . واشتركن في توزيع النشرات السرية وعضوية لجان المناطق والأقسام . وكان مما يلفت النظر أن نسبة ضئيلة جدا من عضوات الحزب من النساء العاملات بالمصانع .

ولم يكن في الميدان السياسي أية قوة فكرية أو دعائية مضادة لهذا النشاط وأما الاتحاد القومي فكان له مهام أخرى ولم يلتفت لمواجهة الدعاية الشيوعية . ورجال الدين لا حول لهم ولا قوة . ووقف دوران الأرض على خط طول يتجه شمالا الى موسكو لا يقف أمامه أى حائل أو عقبة .

وهنا يجب أن أسجل أن عدد الشيوعيين في جميع أنحاء الجمهورية . وذلك بحسب الخبرة التي اكتسبتها من العمل وما تلمسته من التسلسل الى الحركة الشيوعية قد بلغ اثنى عشر ألف شخصا ، لم يكونوا كلهم من الشيوعيين الراسخين في العلم أو العقيدة بل ان معظمهم كان من الشباب الراغب في التنفس عن أى طريق ويعيش في فراغ فكري ولا يقدر مدى خطورة مسلكه ولكن ٠٠٠ ان عشرة آلاف شخص فقط ، كانوا وراء الطليعة البلشفية ، هم الذين قاموا بالثورة الحمراء في روسيا عام ١٩١٧ ، في بلد كان تعدادها الملايين !! .

مَا الْحَمَلُ ؟؟

انزعجت الدولة في هذا الوقت لتزايد النشاط الشيوعي في كل المجالات ، وأصبحت المشكلة : اما أن تبقى الحكومة بنظامها ، واما أن يستولى الشيوعيون على الحكم ويمسئون في الأرض فيقودون البلاد الى غياهب الشيوعية .

وكما قلنا سابقا ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد اتقذ البلاد في عام ١٩٥٤ من فتنة حاولها الشيوعيون ، فقد كا له الفضل في اخماد فتنة أخرى أشد خطرا وأبعد أثرا وفي ظروف أكثر تعقيدا .

وتصل الى يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٩٥٨ ، ونسمع الرئيس الراحل يخطب في بور سعيد ، ويوجه الاتهامات للشيوعيين عامة بالخيانة والعمالة ويرد على الرئيس السوفيتي خورشيشف ردا شديدا باللهجة .

وما يدعو الى التفرز ما قرأته في خطاب كتبه أحد المتهمين عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري مملقا على خطاب الرئيس الراحل الذي رد به على خروشيشف بجملة « أين يقف الجردان من العمالقة الكبار ؟ » .

لكل ما سبق صدر أمر الدولة بضبط الشيوعيين جميعا . ورب قائل يسأل ألم يكن هناك طريق آخر ؟

وانى أسأل بدورى - وقد أدرك القارىء موطن الخطورة على بلاده - ما هو الطريق الآخر ؟

- ومع ذلك ، كان لا بد من اتخاذ الحكمة والتدبير فى تنفيذ هذا الأمر .
- لقد استبعدنا عن هذا الأجراء ، كل الماطفين والانتهازيين والفاقرين فى الأحلام .
- واقتصرنا على القادة المتزعمين والأعضاء المنساقين ورامهم ممن غرقوا حتى أذانهم ولا يستطيعوا من العقيدة فكلاهما .

واطمئن أخى القارىء ، ان هذه الحكمة فى الاختيار قد أدت الى هرب الناجين من الشيوعية والماركسية والكلام المسوول ، الى شاطئ الأمان . ولسنا نؤتمهم ونندمهم ولم تكن هناك حاجة الى أية اجراءات قبلهم وكانوا يمدون بالآلاف .
ولمى :

- س : طوال الستين السابقة يصرخ الشيوعيون مطالبين بالديمقراطية .
- ج : فكيف يطالبون بالديمقراطية وهم يعملون على تحقيق الدكتاتورية ؟!
- س : وهم يكافحون من أجل اسقاط أية حكومة تحقيقا لنظريتهم الماركسية .
- ج : فكيف يسقطون الحكومة وهم لا يعرفون نوع الحكومة التى ستحكم بعد الشيوعية . أم ان المسألة هى ثورة دماء ودكتاتورية ليس للعمال فيها نصيب . وصراع طبقى وتنفيذ لأوامر القوى الأجنبية ويقف الأمر عند هذا الحد ؟!
- س : يهاجمون الاستعمار من الدول أعداء المعسكر الشيوعى .
- ج : فكيف يؤيدون الاستعمار من الدولة الأم ويلصقون ذلك بالشيوعية الأممية . اليس فى ذلك عمالة ؟!
- س : يهاجمون الحكومة التى تدافع عن نفسها وعن أمنها وأمن شعبها
- ويطلبون الحرية لأنفسهم .

ج : فكيف يريدون شكل الحكومة ؟ هل تصم أذنيها عن فريق يناضل من أجل الثورة الدموية والصراع الطبقي ؟ هل يريدونها فى غفلة دائمة ،

لا تشعر بما يحاك حولها من مؤامرات ، وبما يدبر تحت ذقنها من الأعياب
خلا تقيق من غفلتها الا وتحت أقدامها بحور من الدماء ؟

س : يجاهد الشيوعيون من أجل الثورة والفناء الطبقات .

ج : فهل يعلمون - وهم بلا شك يعلمون - أن أعضاء الحزب الشيوعي
وقادته في البلاد الشيوعية ، هم الطبقة الممتازة ، المتمتعة بكل أنواع الترف
والأبهة ، وأن شعوب هذه الدول مطحونة مطحونة على أمراها ، أم أن هذا كلام
دعاية ؟

س : يطلقون على أنفسهم صفة الشرفاء .

ج : فلماذا يعملون في سرية تامة ؟ شأنهم في ذلك شأن أعداء المجتمع
من مخالفى القانون . وكيف يسمحون لأنفسهم أن يقودهم عملاء من الصهيونيين
والمخربين . فهل يفتنى الشيوعيون الذين خضعوا لقيادتهم ونفذوا أوامره ،
عن مدى اعتراض باقى الشيوعيين الذين اتحدوا معهم فى حزب واحد على إبقاء
هنرى كوريل عضوا عاديا فى الحزب ؟ وقد دمغه البوليس الفرنسى فى أكتوبر
عام ١٩٥٧ بأنه عميل للمخابرات السوفييتية وأنه يرأس شبكة إرهابية . فإين
هو الشرف الذى ضل طريقه اليهم ؟

س : يدخلون المساجد للصلاة ، ويقولون الماركسية لا تتعارض مع الدين .

ج : الماركسية نظرية مادية لا تعترف للكون بخالق ، وتنص على الإلحاد
ومحاربة الدين وقد حاربوه فى عهد الثورة وقت لينين ، ثم ستالين ومن أتى
بعدهما ، كما سيأتى فيما بعد . فهل يا ترى يجهلون ذلك ؟ أم أنهم حكموا
على كل الناس بالجهل . لقد كتب أحد كبار كتابهم فى مجلة روز اليوسف
وهو صلاح حافظ ، بعنوان براق ، أن الماركسية لا تتعارض مع الاسلام .
فلماذا لم يشرح ما قالته الماركسية وما قاله لينين فى تفسيرهما للدين ؟ بدلا
من العموميات والمعميات والأحاديث المضللة . فهل يتفضل أحد هؤلاء الجهابزة
ويشرح لنا ما قالته النظرية بشأن الدين ؟

يتهربون من صفة الشيوعية ، مدعين أنهم ماركسيون ذوى عقيدة ماركسية .
وماذا تعنى الشيوعية اذن ؟! هل تمخضت الماركسية عن نظرية جديدة أخرى
غيرها ؟ ألم يذكرها ماركس فى آخر جملة فى بيانته الشيوعى صراحة (ان
الشيوعيين يترفعون عن اخفاء آرائهم وأغراضهم فهم يعلنون بوضوح أن أهدافهم
لا يمكن أن تتحقق الا بقلب كل الظروف الاجتماعية الحاضرة بالقوة . فلترتجف
الطبقات الحاكمة خوفا من ثورة شيوعية ؟ .. ليس للبروليتاريين شيئا يفقدونه
فيها سوى أغلالهم وأمامهم عالم يكسبونه منها) . ألم يقل لينين وهو يقدم
طبعة البيان الشيوعى الذى اعلنه ماركس وانجلز (نظرية الكفاح الطبقي والدور
الثورى التاريخى للبروليتاريا منشئة المجتمع الجديد - المجتمع الشيوعى ..) ؟
فلماذا تنكرون ؟ الأوفق أن تعلنوا أنكم شيوعيون . أما أن تقولوا أنكم
ماركسيون فهذا ضحك على الذقون .. !

انهم يتكلمون ويتكلمون ولا يدعون الفرصة لأحد أن ينطق .

الفصل الثاني

مرة أخرى .. ما العمل ؟

وهكذا لم يكن هناك مقر من واد النشاط الشيوعي بعد أن استفحل أمره وزاد خطره كما قدمنا ، وبدأ ضبط الشيوعيين في ليلة الأول من يناير عام ١٩٥٩ . واقتصر الضبط على حوالى مائة وسبعين من قادة المنظمات الشيوعية . ولم يهتز النشاط الشيوعي بضبط زعمائه ، بل استمر يسرى وازداد شراسة . وقامت حملة أخرى في ليلة ٢٨ مارس من نفس العام ، وضبط عدد كبير من الذين ادعوا القيادة ومن المحترفين الذين ليس لهم مهنة معروفة . ولم يضبط عاطفى واحد كما قدمنا وكذلك لم يضبط أحد من الشيوعيين الذين ثبت عدم انضمامهم للمنظمات السرية أى الذين يعتنقون الماركسية اطلاعا وثقافة .

وجاء كثير من الأشخاص ، يعتفرون ويعلمون أنهم كانوا خاضعين لتأثير الدعاية المضللة . ولم يثبت مطلقا أن فردا واحدا ممن ضبطوا ، ضبط ظلما أو افتراءا - وهذه حقيقة اذكرها هنا للتاريخ . وكم فوجئ بعض الأهالى بضبط ابن له أو شقيق لنشاطه الشيوعي ، فكانوا يقطعون أنه لا يمكن أن يكون شيوعيا ، وبعد فترة يثبت لهم أنه كان متورطا مع الشيوعيين ومشاركيا فى نشاطهم .

وانى لأذكر أحد رجال الدين العلماء الأفاضل ، عندما جاء الى مكتبى بعد أن تقابل من السيد وزير الداخلية ، وكان يشكو من ضبط ابنه واعتقاله ،

مؤكداً أن ابنه تربى فى بيت دين وبين أخوة متدينين ، واستنكر أن يكون من الشيوعيين . وقد وجهنا فضيلته الى مقابلة ابنه وحدنا له بعض الأسئلة بل سؤالاً واحد ، ومطلبنا منه أن يتوجه الى ابنه ، فإذا اقتنع انه لا علاقة له بالشيوعية أفرج عنه فوراً ، وسافر الرجل الفاضل وأدى المأمورية بروح القاضى . ولكنه عاد من رحلته واتصل بنا تليفونيا وقال (أنه ليس له أبناء عندنا وانه متبرئ منه) .

وأدت هذه الحملات أخيراً الى اخماد النشاط الشيوعى ، ووهنت الحركة الشيوعية لفترة طويلة . وقبل أن نأتى الى تفصيل النتائج التى تربت على هذه الاجراءات ، نود أن نذكر النقاط الآتية :

كان القادة الشيوعيون مجهولى الشخصية لباقي أعضاء التنظيمات ، وكان كل فريق يتميز بمظهر خاص ، فمثلاً فريق الحزب الشيوعى المصرى يتميز بالارستقراطية والترفع . وفريق حدوتة تميز بالاختلافات الأيدولوجية والانقسامات فيما بينهم وأما فريق الطلبة فكان فى بادئ الأمر منعكفاً على نفسه .

تبين لأعضاء التنظيمات الشيوعية بعد معرفتهم لشخصية زعمائهم ، أنهم بشر مثلهم ، لا يميزهم غموض ولا هيبه فتزعزع الايمان بهم ولكن معظمهم ظل على عقيدته .

سرعان ما دب الخلاف بين الشيوعيين فى السجون والمعتقلات وانشئت منظمات جديدة وتكونت لها لجان مركزية أخرى .

وجد الشيوعيون فى السجون والمعتقلات مرتما خصبيا ليفعلوا ما يشاءوا فى حرية تامة ، كإلقاء المحاضرات السياسية وإقامة الحفلات فى المناسبات المختلفة وكتابة المذكرات والاستماع الى الراديو الذى كانوا يهربونه بطرق مختلفة . وكان بعضهم يترجم الكتب الشيوعية ويتبادلون الرسائل مع غيرهم فى السجون

الأخرى • والأعجب من ذلك أنهم دأبوا على تجنيد بعض الشيوعيين من منظمة
الى أخرى ١١٠٠

ترتب على اعتقال الشيوعيين وقول النيابة التحقيق في الاتهامات التي
وجهتها اليهم والاطلاع على الأدلة التي ضبظت لديهم أن أقامت النيابة الدعوى
الجنائية على ثلاث منظمات شيوعية نتجت عن الانقسامات التي حدثت بينهم
في النصف الثاني من عام ١٩٥٨ •

وهنا أجد لزاما أن أبين كل قضية ، مفصلا ما ثبت فيها من وقائع وأدلة ،
وذلك لغرضين محددين :

● أن يستبين نشاط الشيوعيين محققا ثابتا بالأدلة القاطمة •

● أن بعض الوقائع التي ذكرتها سابقا ، لم أشر فيها الى أدلتها وقد
جاءت هذه الأدلة في القضايا الثلاث •

الفصل الثالث

القضية رقم ٣ صدر أمر الدولة عام ١٩٥٩

وشملت تحقيقان ثلاثة منظمات لكل منها قضية

القضية الأولى :

خاصة منظمة الحزب الشيوعي المصري فريق (حدتو) واتهمت النيابة ثمانية وأربعين شخصا من قادتها وأعضائها •

ونتناول هذه القضية من واقع التحقيقات في أقسام ثلاث :

أولا : الدعاية •

ثانيا : ملاحظات عن بعض المتهمين •

ثالثا : مالية التنظيم •

أولا : الدعاية :

لن نأتي من عندنا بجديد ، ولن نكرر - كلما استعلمنا - ما سبق أن ذكرناه ونسجل بعض ما ورد بنشرات المنظمة المضبوطة في القضية سألقة الذكر وبعض الأوراق التي ضبطت في أوكار الطباعة توطئة لظهارها وذلك بحسب توارين نشرها :

| عنوان النشرة | تاريخ النشرة | بيان النشرة |
|--|--------------|---|
| نشرة موجهة للمكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى . | ٥٨/٧/١٨ | دعوة قادة الحزب الى نبذ الخلافات لمواجهة الاستعمار . |
| صوت الفلاحين | ٥٨/٨/١٢ | اثارة العمال ومستخدمى المحلات التجارية . ودعوة لجهة وطنية والانضمام للاتحاد القومى وتكوين لجان المقاومة الشعبية وحمل السلاح . |
| صوت القاهرة | ٥٨/٩/٣ | تأييد الحكومة - مهاجمة المنظمات الأخرى - اثارة عمال الحديد والصلب وسلاح الصيانة لانخفاض اجورهم وسوء معاملتهم . الدعوة لتكوين لجان المقاومة الشعبية فى المدن والقرى . |
| صوت الفلاحين | ٥٨/٩/٩ | مهاجمة سياسة أمريكا العدوانية فى الشرق الأقصى . بقايا الاقطاع بالدقهلية . دعوة الفلاحين للدفاع عن مصالحهم . مهاجمة المباحث العامة . |
| صوت القاهرة | ٥٨/٩/٢٧ | اخبار عمالية مثيرة لعمال الترام وعمال القتال . |

| عنوان النشرة | تاريخ النشرة | بيان النشرة |
|-----------------------------|--------------|---|
| صوت الاسكندرية | ٥٨/١٠/١١ | دعوة للشيوعيين بالاسكندرية للتكتل داخل الاتحاد القومي ولجانته وتدعيم جبهة الوطنيين داخله وتكوين لجان لحل مشاكل الأحياء واثارة العمال في المخازن والمصانع الحربية والشركات . |
| صوت القاهرة | ٥٨/١١/٧ | مقارنة بين ثورة أكتوبر السوفيتية وانها السبيل أمامنا والاشادة بفضل الانذار الروسى للدول المعتدية على بور سعيد وتحبيذ للنظام الشيوعى واستيلاء العمال على السلطة . |
| نشرة لعمال المطبعة الأميرية | ٥٨/١١/٨ | اثارة للعمال فى المطبعة . |
| | ٥٨/١١/٢٩ | أخبار مشيرة عن معاملة المسجونين الشيوعيين المحكوم عليهم والاشادة ببطولتهم وارتفاع أسعار القطن بسبب بيعه للدول الشيوعية . |
| صوت القاهرة | ٥٨/١٢/١٠ | تأييد لحطاب الرئيس فى المؤتمر التماوى . مهاجمة للانقلاب السودانى الذى لا يستند الى قوة سياسية جماهيرية وقد كانت هناك نواة لجبهة وطنية عريضة من الشيوعيين السودانيين وحزب الجبهة . |

| عنوان النشرة | تاريخ النشرة | بيان النشرة |
|---|--------------|---|
| نشرة من مسئول - الدعاية بمنطقة شبرا | ٥٨/١٢/٢٧ | مطالبة الرفاق بالكتابة على الميطان في الشوارع والمصانع والمدارس واتخاذ الحذر وإيجاد مخايب للأوراق ومنع الاتصالات والثروة وبيان بالشعارات الواجب كتابتها . |

(يلاحظ تاريخ النشرة انه بعد
يومين من خطاب الرئيس الراحل
بمهاجمة الشيوعيين)

ونكتفى بهذا القدر من النشرات اذ بلغت المئات عدا ، والآلاف نسخا ،
وقد أدرجناها باعتبارها اثباتا ودليلا على ما سبق أن شرحناه من نوايا الشيوعيين
وسياستهم ، وقد استشهد الشيوعيون في كثير من النشرات المضبوطة بما تنشره
الصحف السوفيتية برافدا وغيرها ، وبما يتقرر في المؤتمرات الشيوعية خاصة
« المؤتمر العشرين » للحزب الشيوعي السوفيتي الذي كان من ضمن قراراته
الانتقال السلمي الى الاشتراكية ، عن طريق الحصول على أغلبية برلمانية ، تعتمد
على حركة العمال النووية الجاهرية ، وأما في البلاد الرأسمالية القوية التي لها
جهاز حربي وبوليس ضخم ، فيستلزم الانتقال الى الاشتراكية صراعا حادا ،
قويا ونوريا .

وكان الشيوعيون في مصر ينفذون هذه السياسة بحذافيرها ، وظهر ذلك
بجلاء في نشرة « بيان الى الشعب » في ٨ يناير عام ١٩٥٨ التي تزف نيا اتحاد
المنظمات وتكوين « الحزب الشيوعي المصري » ، حزب الطبقة العاملة الذي يدّين
بالماركسية اللينينية ، من أجل القضاء على الملكية الفردية وبناء الاشتراكية
لهدف بعيد ، والمهمة العاجلة هي حماية الاستقلال ، وحماية الحكومة بقيام جبهة
وطنية متحدة ، مع توجيه النقد البناء الى بعض الأخطاء والنواقص في سياسة
الحكومة مع الاضطرار الى النشاط السري .

ولم نجد فى أية نشرة مطبوعة أو ورقة بخط اليد ، منذ قامت الحركة الشيوعية ، أية إشارة الى حماية الاستقلال من الاستعمار السوفيتى أسوة بحمايته من أى استعمار آخر ، وهم يعلمون جيدا ما هو الاستعمار الروسى فى بلاد الكتلة الشرقية .

فى الواقع اننى لا أدرى بأى اسم يسمون ثورة المجر وتشيكوسلوفاكيا وكفاح البولنديين ضد الوجود السوفيتى فى تلك البلاد ؟

من بين التقارير المضبوطة الواجب الإشارة إليها ، تقرير مؤرخ أغسطس عام ١٩٥٨ يتضمن نقط الخلاف بين المنظمات الثلاث المتحدة فى الحزب الشيوعى المصرى ، اذ هاجم محور حزب الراهة برئاسة الزعيم خالد وأوضح كيف اتبع هذا الفريق أسلوب ترغيب الرفاق بالمال والمناصب ، وتهديدهم بالحرمان من كل شيء اذا لم يستسلموا للحزب ، وفصل التقرير الموقف المتخبط للزعيم خالد من ثورة الجيش ، منذ قيامها بأنها مؤامرة أمريكية ثم عدوله فجأة عن هذا الرأى .

وضبط تقرير آخر لدى المتهم الاول سكرتير عام الحزب الشيوعى فريق حدتو . شن فيه كاتبه هجوما شديدا على أعضاء اللجنة المركزية لحزب الزعيم خالد بأسمائهم الحركية ، ووصفهم بأنهم حفنة من الاقطاعيين والبورجوازية المنهارة تمكنوا من السيطرة على قيادة الحزب ومراكزه .

« سبق أن وصفنا الحزب الشيوعى المصرى فريق الراهة بالارستقراطية الشيوعية » . وها هم يفضحون أنفسهم .

وضبطت أوراق أخرى كثيرة ليست للنشر ، فكلها بخط اليد ، تضمنت شروحا لسياسة المنظمة فى تقلب الطبقات على بعضها والاستعانة بخبرة الاتحاد السوفيتى والصين ، والاسترشاد بمؤتمرات وقرارات الأحزاب الشيوعية فى الهند والسودان وموريا والعراق ، وكيفية لترويج للشيوعية والتجنيد لها ، وتعبئة الجماهير حول مشروع السد العالى الذى اقامه الاتحاد السوفيتى ومشروعاته الأخرى وإرسال البرقيات لرئيس الدولة تأييدا لهذا المشروع .

حتى الحكم والأمنال والشعارات الروسية ، كان لها نصيب فى هذه الأوراق ، وكلها تمجد النظام السوفيتى •

ومما شد الانتباه ، ورقة خطية ضبطت بمكتب المتهم الأول تتضمن حصر امكانيات الدعاية القائمة ، وان دلت على شئ فانما تدل على مدى خطورة جهاز الدعاية فى الحزب ومبين بها ما على :

● المترجمون من الانجليزية والفرنسية والعربية •

● الاشخاص المتصلين بمختلف الهيئات الحكومية وتحديد هذه الطبقة بالدقة •

● الرفاق العاطفون والمرشحون للحزب والأصدقاء الذين لهم اتصالات بالجمعيات التطوعية •

● امكانيات المطابع وآلات الرونيو والآلات الكاتبة •

● أساتذة جامعات اقتصاديين •

● حصرا لفنيين فى الحزب •

● عدد المحامين من اعضاء واصدقاء وعاطفين وعدد الأطباء من امثالهم •

● الكتب الماركسية والمطافرات والتراجم الموجودة •

● الشعراء والزجالون والمثلون وكتاب المسرحيات والمصحفون •

هذا التسلسل الى مختلف الأوساط والميادين ، يجعلنا فى غنى عن توضيح معناه وآثاره ، ولكن يجب أن نقف على البند رقم (١) الخاص بالمترجمين ، حتى نستبين الفرض الحقيقى من ترجمة المطبوعات الأجنبية مع أنها ترد من الخارج مترجمة ومطبوعة على ورق مصقول ويتولى الشيوعيون بيعها بأرخص الأثمان

أو مجانا بغير ثمن ، وذلك فى المكتبات ودور النشر الذى أنشأها الحزب لهذا الغرض وميائى تفصيلها •

● ملاحظات عن بعض المتهمين :

كان المتهم الأول فى هذه القضية ، هو المرحوم/شهدى عطيه الشافعى باعتباره سكرتيرا عاما للمنظمة ، واستغفر الله كثيرا ، اذ أجدنى مضطرا أن أتكلم عنه رحمه الله وغفر له • ولكنى كما قلت لا أقصد تشهيرا بأحد ، انما أردت أن أثبت الوقائع كما هى ، وهى تمثل تاريخا عريضا أسجله عن الحركة الشيوعية ، ولا أظن أن أحد من الكتاب قد تناولها من قبل •

بعد ضبط الشيوعيين ومحاكمتهم ، سافرت لمهمة رسمية الى اليونان ومكنت بها شهرا وبضعة أيام • وما أن وطنت قدمائى أرض مصر ، حتى علمت بعودة المتهمين فى هذه القضية الى القاهرة بعد محاكمتهم بالإسكندرية ، وانه حدث عند وصولهم للسجن انهم هتفوا هتافات عدائية أهاجت عساكر حرس السجن فتعدوا على بعض المتهمين حيث كانوا فى مدخله عند مغادرتهم السيارات ، الا أن المرحوم/شهدى عطيه الشافعى جرى ليتفادى ضرب الحراس بالأحزمة ، فوقع على الأرض فاصطدمت رأسه بججر أو درجة سلم فتوفى — هكذا وصف لى الحادث — واهتم المسئولون به ، وتولت النيابة ووزارة الداخلية التحقيق • وكان الرئيس الراحل فى زيارة لليونان ويوغوسلافيا ومعه السيد/وزير الداخلية ، وما ان وصلا فى اليوم الرابع بعد وفاة المرحوم/شهدى عطيه حتى صدر الأمر بإحالة السيدين اللوايين مدير مصلحة السجن ووكيل المصلحة الى التقاعد • واونتهت التحقيقات الى عدم معرفة الفاعل من حرس السجن ، الا أن الدولة صرفت تعويضا كبيرا الى ورتة المتوفى ومنهم زوجته الأجنبية •

ورغم انقضاء الدعوى عن المتهم الأول لوفاته ، فان ما يميننا هو ما جاء فى القضية الشيوعية من تحقيقات ، اثبتت الكثير من النواحي المتعددة المجهولة عن النشاط الشيوعى •

وأعود للأوراق التي ضبطت في مخبأين سرين بمكتب التهم الأول بداخل شقة اتخذتها المنظمة واسمها (مكتب الترجمة والنشر) بشارع محمد مظهر بالزمالك رقم ٦ ، وعلى بعد خطوات من سفارة الاتحاد السوفيتي .

وأهم الأوراق التي ضبطت في المخبأ السري ما يأتي :

● مجموعة من النشرات الشيوعية السرية ، داخل مطروف معنون الى الملحق الصحفي بالسفارة السوفيتية ١ شارع محمد مظهر .

● أوراق ومحاضر جلسات المكتب السياسي والسكرتارية المركزية ، وأصول خطبة لمحاضر مقاضات الوحدة بين المنظمات وأسباب انقسامها بعد ذلك ، والأسماء الحركية لأعضاء اللجنة السياسية والمكتب السياسي وبعض القادة الأعضاء . وقد عرفت الأسماء الحقيقية لهؤلاء وأثبتت التحقيقات صحة هذه الأسماء .

وتسجل فيما بعد ما أثبتته النيابة في محضر الاطلاع على المضبوطات :

● وافق ممثلو الأحزاب الثلاثة في مكتب الوحدة على عدم وجود رفاق يهود في قيادة الحزب الجديد باعتبار انه موقف مؤقت يتفق مع الظروف الراهنة للحركة الوطنية العربية والظروف الذاتية لحزبنا ، وان أمام هؤلاء الرفاق اليهود مجال للنضال في الحزب كله دون قيادته وان هذا الاجراء مؤقت محدود للظروف التاريخية التي تمر بها بلادنا .

● اعترض الحزب الشيوعي المصري الراية بزعامه خالد في مناقشات الوحدة على عودة هنري كورييل للقيادة ، وجاء ذلك بمنشور (الطليعة) الذي كتبه الرفيق خالد في سبتمبر عام ١٩٥٧ وفي نشره أخرى خاصة بأعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري المتحد ، العدد الرابع ص ٨ .

● جاء في خطاب موقع بمباراة اللجنة الدائمة للمكتب السياسى الى السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى السودانى « نص مناقشة المكتب السياسى لوضوع عودة « يونس » اى هنرى كورييل الى مصر وان المكتب اتخذ القرار الآتى :

« لا اعترافى من حيث المبدأ على عودة اى رفيق عضو فى حزبنا وموجود فى الخارج ، الى مصر ، حتى ولو كان هذا الرفيق هو « يونس » بغض النظر عما اذا كانت العودة ستتم بطريقة مشروعة ام غير مشروعة ولاعتبارات عديدة ، يرى المكتب السياسى الا يعود يونس الآن ، ويمكن مناقشة عودته فى وقت آخر » .

● ثبت من المضبوطات أن المتهمين - أثناء وجودهم فى السجن ، قد أسسوا بكل منها لجنة متطوعة ، تدير النشاط بينهم فى داخل السجن ، وتتصل بالشيوعيين خارجه ، واعتبرت السجن والمعتقلات مناطق للنفاذ ، واستمدوا القوة من تكتلاتهم داخلها ، حتى انهم تمدوا على أحد ضباط السجن بالضرب قبيل هذه المحاكمة -

● ثبت ايضا أن بعض المتهمين كان يتصل بالسفارات الشيوعية ، وخاصة اصحاب المكاتب ودور النشر ، ليستشهدوا بها على أن عملهم كان تجاريا بحتا . وفى القضية ما يثبت انه بعد ضبط المتهمين تمت بعض المحاولات لهذا الغرض ، الا ان السفارات الشيوعية تخلت عن المتهمين واعملت رجاءهم . ومن الطريف أن شقيق احدهم ، كتب خطابا الى وكيل القائم بالأعمال التجارية لاحتى السفارات ، يعملهم دعاء اخيه وكل ما يترتب على سجنه ، لأنه لم يتم بعمل لانقاذه .

● ثبت أن أحد أعضاء اللجنة المركزية ومستول التنظيم بها ، وهو محمد يوسف الجندى - ووالده كان بطالا من أبطال ثورة ١٩١٩ - الا أن الابن سار فى هذا المنزلق الى اعماقه . وقد سبق أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات وهرب منذ هذا التاريخ وأقام ببلاد الكتلة الشيوعية مكرا ممززا ، وأبلغ عنه القائم بالأعمال فى سفارتنا المصرية ببودابست ، انه يقم بها ولا يحمل جواز

سفر ، وانه وصل بمساعدة الأحزاب الشيوعية . ثم ضبط بعد عودته لمصر
 وبعد أن أقام فترة متخفيا ، واتهم في هذه القضية ، وقد لفت النظر ، حضور
 المحامي الفرنسي « جاستون امبور » عضو الحزب الشيوعي الفرنسي ، لحضور
 المحاكمة وللإطمينان على مصر محمد يوسف الجنلى - سفيرا عن الأحزاب
 الشيوعية الأجنبية . وقد وصلت النيابة ذلك بقولها « وما أسوأها من سفارة » .
 ثالثا : المالية :

منذ قامت الحركة الشيوعية في مصر ، وتسملت إليها عن طريق عملاء
 الصهيونية والشيوعية الدولية ، ونحن نعلم أن هناك مصدر خارجي لتمويلها ،
 ولكننا لم نملك دليلا قاطعا من قبل . وكان السؤال الحائر الذي يدور في رؤوسنا ،
 من أين للشيوعية بهذا المتبع القزير الذي ينفقون منه على نشاطهم ؟ ، ومن يرى
 أوجه النشاط ليس كمن يسمع عنه . كنا نتابع تحركاتهم ونرى كيف يعيشون -
 على الأقل القادة والزعماء والمحترفين - ومعظم هؤلاء متعطلون لا يعملون شيئا ،
 والموظفون منهم لم تكن مرتباتهم تكفى معيشتهم وأسرهم ونفقاتهم الخاصة .
 والعمل السرى بطبيعته يتطلب استحكامات وحرص دائم وتخفى واوكار تكلف
 مالا ، ناهيك بالآلات الطباعة ومستلزماتها من أحبار وأوراق . ولم يك فيهم ذو
 مال يكفى ليتبرع منه لهذا النشاط ولماذا يتبرع ؟ أمن أجل تحقيق حلم يعلم قبل
 غيره أنه حلم نظرية فاسدة ، الأمل في تحقيقها ضعيف ؟

حتى هنرى كورييل . . . أحد الذين أسسوا الشيوعية في مصر ، لقد
 راجت الشائعات تصفه بالفنى الفاحش وانه ينفق على الحركة الشيوعية من جيبه
 الخاص ، وكثير من الناس اعتقد انه مليونير لا حد لتروته . ولكن الحقيقة لم يكن
 هنرى كورييل بهذا المعنى كما أشيع ، بل كل ما كان يملكه هو « مكتبة الميدان » ،
 محل متواضع بميدان مصطفى كامل لم تكن تكفى لمعيشته . ان الشائعة قد
 اختلقت لستر مصدر أمواله ، وكان الشيوعيون الذين يعملون معه يصفون حقيقته
 ويروجون شائعة غناه ، حتى لا يسأل أحد ، من أين هذا المالا ؟

وهل يكفى التحليل والظن ؟ هل يكفى التخمين والاستنتاج ؟ والامر له من
 المعطورة مالا . أن أقل ما يواجه الشيوعيون لغيرهم ممن يحاولون كشفهم ، هو

اتهمه بأنه عميل للأمريكان وعبد للدولار ، فما بالك اذا كان المحلل المستفتح ضابطا بالأمن !

لقد كانت القضية السالفة هي الفیصل القاطع فی اثبات تمويل انشيوعيين بالادلة والبراهین الدامغة .

لقد كنا نرى « فادیم سنلنيكوف » رجل المخابرات بالسفارة السوفيتية يتردد على مكتب الترجمة بازمالك ، وكنا نراه يتقابل مع بعض الشيوعيين ، ومع ذلك لم تكن نجرؤ على استخلاص الوقائع التي تمس الناحية المالية من هذه الصلات .

وأما بعد هذه القضية ، فلدينا أدلة لا تقبل تحليلا ولا استنتاجا ، بل تسجل على علاقتها .

قبل أن نوردها نود ذكر حقيقة يعلمها الشيوعيون قبل غيرهم ، وهي أن الاشتراكات التي يدفعها الأعضاء ، كانت تجمع بواسطة رؤساء الخلايا ، وتسلم الى رؤساء الأقسام ثم تسلم الى رؤساء المناطق الذين يسلمونها بدورهم الى مسئول المالية في المنطقة ، وكانت المبالغ تختصر في الطريق ما بين مستوى ومستوى ، فلا يصل الا النزر القليل .

وإذا اطلعنا على ميزانية الحزب ، التي ضيقت في المخزن السري المشار اليه ، نجد ان بند الاشتراكات لا يتناسب مطلقا مع العدد الكبير للأعضاء . وواجبات العضو معروفة ، أولها أن يدفع الاشتراك .

ضيقت كراسة مكتوبة بخط اليد في المخبأ السري السابق ذكره ، وضع بها ان عدد المحترفين تسعة عشر من أعضاء اللجنة المركزية ، وأربعة من مسئول النقابات وثلاثين من مسئول المناطق ، وأن بعض المبالغ التي صرفت عن شهر فبراير وحده لعشرة من أعضاء اللجنة المركزية يتراوح بين عشرة وثلاثين جنيها لكل منهم ، وصرف لعشرة من مسئول المناطق مبالغ من ١٢ الى ١٥ جنيها لكل منهم

وكذلك اعانة للهاربين خمسة وأربعون جنيها ولعائلات المحترفين من المكتب النقابي أربعون جنيها .

وصرف مبلغ ٤٩ جنيها لمستولى المناطق مصاريف انتقال ومبلغ ١٥٦ جنيها للمطبوعات وللأجهزة وأربعون جنيها لجهاز الطباعة المركزى ومبالغ أخرى نثرية واحترافات بلغت ١٤٠ جنيها .

وأما منطقة الاسكندرية فالوارد منها ٢٥ جنيها وعدد أعضائها ٤٩٥ عضوا والمتصرف للدعاية والانتقال والمحترفين ١١٦ جنيها . وبحسبة اجمالية بلغت المصروفات ١٠٥٠ جنيها فى شهر واحد ، وأما الإيرادات فقد بلغت ٦١٤ جنيها ، وهذا هو المئتمن فى الكراسة فقط ، وأشير الى أن نسبة ما يأخذه المحترفون من اللجنة المركزية هو ثلثي المصروفات ونسبتهم فى المناطق ٧٠٪ ويستولون على ١٢٦ جنيها فى الشهر وأما ميزانية شهر أبريل فلا تختلف عن شهر فبراير فى مجملها .

ويشارك فى دفع النفقات القائمون على المكتبات ودور النشر الشيوعية التى تمولها بلاد الكتلة الشرقية بمبالغ طائلة .

ونورد بعض الملاحظات التى جاءت فى مراعاة النيابة من واقع المضبوطات :

● ثبت أن الميزانية مكتوبة بخط التهم الأول .

● أن هناك عجز فى الميزانية عن الشهرين التبتين فى الكراسة بلغ بـلغ سبعةائة جنيه .

● ثبتت علاقة مكتب الترجمة بأحد موظفى السفارة السوفيتية .

● كانت سفارات الدول الشيوعية تشفع بمبالغ كبيرة ، نظير ترجمة الكتب التى لا تطبع بعد ذلك ، اذ سبق أن وردت للبلاد مترجمة ومطبوعة فى الخارج ومعروضة فى الأسواق .

● وقف التهم الأول أمام المحكمة يقول « أرجو ألا تنار هذه المسألة لأنها ستسبب دولة صديقة ساعدتنا في المحنة » .

وقال الدفاع أن هذه مسألة زلقة . وذلك عندما أثارَت النيابة مسألة التمويل وفصلتها تفصيلا . وأجاب الأستاذ سمير ناجي وكيل النيابة في ذلك الوقت « أن النيابة لا تخشى في الحق لومة لائم » .

ولنترك هذه المسألة الخطيرة لأنها لا تحتاج منا إلى تعليق ، ولنذكر حدثا طريفا على سبيل التسلية ، وهو مقال نشرته مجلة روز اليوسف الفراء عام ١٩٧٦ ولا شك أن كثيرين قرأوه . وكاتب المقال هو رئيس التحرير السيد / صلاح حافظ في ذلك الحين ، وأفرد له عددا من صفحات المجلة وخصص المقال لذكرى البطل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذي قتل في السجن على أيدي الزبانية ولا أطيل فيما كتب فالكاتب يستحق كل تقدير لوفائه النادر قبل زميل عزيز كان له الفضل العظيم عليه وعلى الحركة الشيوعية الناهضة .

وقبل أن أختتم حديثي عن فريق حدكو أود أن أذكر شيئا عن العلاقات الشيوعية . فإن الشيوعيين يطلقون لفظ « المائلية » على تكتل بعض الأعضاء الذين ينتمون إلى أصل تنظيمي واحد وعلى اتصال بعض هؤلاء ببعض اتصاليا عائليا ، أى اتصالا غير منظم ومن مستويات متباينة ، فإن هذا يخل بالنظام السرى وبإمان التنظيم .

ونحن هنا لا نتصدى لهذه الألفاظ ، إنما نقصد بالمائلية الأسرة الواحدة التى يكون كل أفرادها من الشيوعيين . ويستوى بذلك فريق حدكو وحزب الراية ومنظمة طليعة العمال والفلاحين فمثلا نجد عائلة فيها ولدان منظمين والاب كان يعمل بسجلة الكاتب والام تقود المظاهرات النسائية .

وعائلة الشوباشي ، كان الوالد يؤلف الكتب الماركسية وكل أبناء وبنات الأسرة شيوعيون منظمون . تزوجت واحدة « رحمها الله » من عبد الرحمن الحميسى وتزوجت أخرى من إبراهيم فتحي سليمان قنصوة الذى حكم عليه بالسجن

عشر سنوات • وتزوجت أخرى يهوديا شيوعيا سمي نفسه عادل رفعت وقيم الآن في باريس عضوا بالحزب الشيوعي الفرنسي بعد ابعاده عن البلاد ، ومعلوم أنه يحاول الاتصال ببعض الطلبة المصريين والعرب الوافدين على باريس ، ويلقى على مسامهم بذور التشكيك في النظام القائم الآن •

ومن العائلات المشهورة ، عائلة سيف النصر وتنتسب بالمصاهرة مع عائلة عباس باشا سيد أحمد • وبرز من هذه العائلات كثيرون يعملون في الحركة الشيوعية من أولاد الخالة والعمة وأولاد المم • وتتميز هذه العائلات بوضعها الارستقراطي • لعل الشيوعيين الذين تتلمذوا على أيديهم خاصة اليهود ، أرادوا استغلال مركزهم الاجتماعي •

والشيوعية كالوباء ، يهدى الأقرباء بسهولة ، وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل •

وكثير من الشيوعيين كانوا يسمون أبناءهم تبركا • • لينين وستالين ، ومن العجيب أن الأبناء ممن تسمى بأى الاسمين لم يسيروا فى طريق الشيوعية •

الفصل الرابع

قضية وزير الشؤون الخارجية "الزراية"

يتجلى شديد الجدل ، أن اتحدث عن هذه القضية ومتهمها الأول عين وزيرا للتموين بعد الحكم عليه بعشر سنوات سجن مع الاشغال وصدور العفو عن العقوبة المحكوم بها عليه بعد أن قضى نصف المدة . وكذلك المتهم الثانى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الذى تماثل ظروفه ظروف المتهم الأول تماما وقد عين نائبا لوزير التخطيط ثم وزيرا ثم مديرا لمعهد التخطيط !!

واكتفى بما ذكرته مسبقا عن تاريخ هذه المنظمة فيما عدا الأدلة التى ظهرت من تحقيقات القضية المشار إليها ، اثباتا لما سبق أن أوضحناه ، ونقصر الحديث على النقاط الآتية :

أولا : التنظيم

ثانيا : الدعاية

ثالثا : المالية

أولا - التنظيم :

عند ضبط هذه القضية فى أول يناير عام ١٩٥٩ - وكما سبق أن ذكرنا - كان النشاط الشيوعى قد بلغ ذروته ، ومن الوجهة العملية ، يستبين النشاط من الآن :

● قسمت المنظمة ، جمهورية مصر الى ١٥ منطقة حزبية ، يرأس كل منطقة أحد قادة المنظمة ، وكونت لجان لهذه المناطق ، وتمكتب مركزى . وقد صدر هذا التنظيم فى نشرة « حياة الشعب » بتاريخ ٢٢ مارس عام ١٩٥٨ ، موقع عليه بالاسماء الحركية « خالد - عباس - اسماعيل - عاطف » وهم سكرتير عام المنظمة وأعضاء من لجنتها المركزية وأسمائهم الحقيقية على التوالى : دكتور فؤاد مرسى - أبو سيف يوسف - محمد حلمى يس ، وذلك قبل الانقسام الاخير .

● ضبط الشيوعيون فى أنحاء الجمهورية ولم تدخل مدينة من شمالها الى جنوبها من بعضهم .

● ضبط أحد أعضاء اللجنة المركزية ومع بعض الأوراق الخطية ومنها خريطة تتضمن رسماً تخطيطياً لمنطقة القاهرة حول ميدان الجمهورية والطرق المؤدية اليه شاملاً منطقة الوزارات ورئاسة مجلس الوزراء .

● اعترف معظم المتهمين فى التحقيق ، بأنهم يدينون بالاشتراكية العلمية التى تقوم على ملكية المجتمع لوسائل الانتاج . كما اعترف بعض المتهمين على غيرهم .

● أشاد معظم المتهمين بالاتحاد السوفييتى ونظامه ، ولم يخل سكين أحدهم من المطبوعات السوفييتية والكتب الشيوعية .

● ضبط تسعة متهمين من أعضاء اللجنة المركزية وعلى رأسهم سكرتيرها فى أول يناير ١٩٥٩ ، وأما الثلاثة الباقين فقد تساقطوا فرادى بعد أن تمكنوا من تشكيل لجنة مركزية جديدة من بقايا المنظمة ، وقد ضبط أحد أعضاء هذه اللجنة وهو محمد محمد بدر واسمه الحركى « بدوى » فى ٢٨/٧/١٩٥٩ وقد ضبطت له كراسة مكتوبة بخط اليد من ٩٦ صفحة تشمل تاريخاً مفصلاً لنشاط الحزب الشيوعى المصرى ، بعض قاداته وصورة واضحة للنشاط خلال عام ١٩٥٨ ثم للفترة التى تلت ضبط الشيوعيين وتحدث كاتب الكراسة عن نقاط هامة منها .

● تحليل للتخريب الذى قام به أعضاء حدتو وادى الى انقسام الحزب الوليد وهم عصابه خليل وأحمد ، شهدى عطية الشافعى وأتهمهما بالتخريب وسرقة الاجهزة الفنية ، اى آلات الطباعة . ان هذا كان امتدادا لحطة البورجوازية .
- اى الحكومة - فى تخريب الحزب وكان الحكومة كانت تستخف بالحزب الى اقصى حد .

كما اتهم كاتب الكراسى بعض قادة الحزب انهم اتخذوا نفس خطة عصابة حدتو فى تخريب المنظمة ، بالهجوم على بعض قادة الحزب وبالاتصالات الجائنية والعائنية ، وتسربت الاسرار الماركسية والضغط المالى والتهديد بالانقسام .

● (تحت عنوان الحالة المالية خلال ديسمبر ١٩٥٨) جاء بالكراسى المشار اليها أن محدث ومنير ومعتصم « وهى أسماء حركية لكل من) محمد عباس سيد أحمد وعادل محمود سيف النصر وابن عمه (رفضوا دفع المبالغ المقررة عليهم ، وأن خالد - وهو الدكتور فؤاد مرسى - أعلن أن ذلك تعبير عن استيائهم من تشكيل اللجنة المركزية وانتهى محرر الكراسى الى مسئولية الاربعة المذكورين عن الحالة المالية للحزب وقال أن ضربة أول يناير عام ١٩٥٩ أصابت كل الرفاق الذين يمثلون موارد مالية مركزية .

● قال ان بعض أعضاء المنظمة اتهموا قيادة الحزب بالهروب والتزوير واليمينية واليسارية والتخلف والتخبط ، وذكر فى الكراسى أسماء حركية عديدة ومنها « عنان » وقد اتضح أنها « انجى أفلاطون » التى ضبظت فى ١٩ يونيو ١٩٥٩ الساعة الثامنة مساء ، عقب خروجها من اجتماع شيوعى بأحد المساكن بحى روض الفرج ، وكانت متخفية فى زى فلاحه بلباس قروية ومصاغ مما تلبسه القرويات ، وقد ضبظت مع رؤوف فؤاد زكى عجمى وأبو الفتوح محمد خليل من العمال . وبالمناسبة عنان هذه شقيقة حرم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله .
وقد حكم عليها فى القضية .

ما زلنا نسجل بعض النقاط الهامة فى قضية الحزب الشيوعى المصرى فريق الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد . ومن أهم هذه النقاط .



انجي اللاتون

مصحفة مي زي فلاحه بملابس قروية ومصاغ مما تلبسه القرويات

دور النشر والمكتبات التي أنشأها الشيوعيون بمساندة الدول الشيوعية

• ماديا

جاء في تحقیقات النيابة أنه بالإطلاع على العقود والمستندات الخاصة بأعمال (المؤسسة القومية للنشر والتوزيع) ويديرها حسن مصطفى صدقى وحسين توفیق طلعت بالاشتراك مع ريمون ابراهيم دويك ما يأتى :

● أسست هذه الدار بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١٥ بعقد بين الاول والثانى وثالث شريك موسى ، برأسمال خمسة آلاف جنيه دفع الاول والثانى أربعة آلاف جنيه والثالث ألف .

● ايجار مقر الدار بشارع دوبريه بالقاهرة ١٨٣٦٠ جنيها ، وتبين من ميزانية المؤسسة عن عام ١٩٥٧ أن خسارتها بلغت ١٠٦٢٧٣٩ جنيها .

● بتاريخ ١٩٥٨/٤/١٥ تعاقدت المؤسسة مع مؤسسة نشر بالمانيا الشرقية ونص العقد على أن تتخذ المؤسسة القومية مكتبة فى وسط البلد ، وتتولى المؤسسة الالمانية دفع ايجار فى حدود مائة وخمسون جنيها شهريا . وان تتحمل ثمانين فى المائة من مصاريف التأسيس وتدفع مائة وعشرين جنيها مصاريف وأجور والفن جنيه فى سنتين للدعاية ، مع احضار خبير أجنبى لتنظيم المكتبة على نفقتها ، وقد استأجرت المؤسسة القومية أمكنة بلغ ايجارها الشهرى مائتين وخمسون جنيها واتفق على تأسيسها ٤٤٣٨٥ رة جنيها مصرية .

● تتضمن الاتفاقية أن تضع المؤسسة الالمانية ، تحت تصرف المؤسسة القومية كتباً قيمتها خمسة آلاف جنيها ، مع منحها حق الموزعين الوحيدين فى مصر .

● بعد صدور قرار جمهورى بخلق هذه الدور ومصادرة ما بها ، وجد بها آلاف من الكتب الشيوعية وتبين أنها استوردتها من الدول الشيوعية دون أن تسدد ثمنها وقدرت بمبلغ ١٣٦٥٧٨٠٩ رة جنيها .

● ضبط بـمكتب أحمد نبيل نجيب الهلالى المتهم فى القضية فى الغرفة التى خصصها لحفظ متعلقات الدار الديمقراطية الجديدة للنشر التى كان يمتلكها محمد عباس سيد أحمد ، محضر اجتماع ، وجاء بالمحضر ما يفيد ضم المؤسستين المذكورتين وتوحيد الاشراف السياسى عليهما بوساطة جهاز يخضع للاتجاهات العامة التى تحددها (ل.ت) - ويرمز الحرفان الى اللجنة الثقافية التابعة للحزب الشيوعى المصرى .

وهنا ، ماذا يقول المرء عن دعاية سياسية تمولها البلاد الشيوعية ؟ وقد تبين من ميزانية الحزب أن دور النشر تساهم بالآلاف الجنيهات فى الانفاق على النشاط السرى .

هى حلقة من سلسلة ، طرفها الشيوعية الدولية وطرفها الثانى فريق من أبناء مصر ومنهم من حملة الدكتوراه ، وحملة القمام وبقايا الاقطاع والباشوات ، ومن الدراويش كما وصفهم الاستاذ أحمد بهاء الدين فى مقالات كتبها عنهم بروز اليوسف منذ سنوات .

منظمة طليعة العمال والفلاحين

نحن هنا أمام منظمة ناللة كانت واحدة من أهم التنظيمات التي اتحدت معا
وكونت الحزب الشيوعي المصري في ٨ يناير عام ١٩٥٨ .

ولا يختلف تكوين هذا التنظيم كثيرا عن باقي التنظيمات ، فكما أسس
اليهود والاجانب المنظمات السابقة الذكر وأداروها حتى اكتمل قوامها ، فقد
أسس هذه المنظمة بول جاكو دى كومب وهو من عائلة بروتستينية سويسرية .

وقد يسأل القارىء عن علاقته بالصهيونية وباقي المخربين من عملاء الشيوعية
الدولية فنقول ، انه ظهر منذ تكوين جماعة أنصار السلم التي تخرج فيها معظم
العملاء الصهيونيين أمثال هنرى كوربيل وهليل شفاتز ، وبدأ علاقته الشبه
تنظيمية مع عدد من اليهود ومنهم ، يوسف موسى ودويش وايزاك سعد ، وريمون
دويك - وفي فترات متعددة كان يلجأ الى فلسطين حيث يوجد بها مركز من أهم
مراكز الشيوعية الدولية كما قمنا . ورغم أنه كان معروفا بتحجسه الشديد
لنشر الشيوعية ، فقد غادر مع اليهود الى أوروبا وأصبح عضوا في الحزب
الاشتراكي الايطالي (جناح سراجات) ولم تظهر هناك حماسته للشيوعية بل ان
هذا الجناح من الحزب كان معروفا بموالاته للصهيونية . وكان جاكو دى كومب
يقود مجموعة مستقلة توجه النشاط الشيوعي في مصر كما كان هنرى كوربيل
يقود مجموعة روما السابقة الذكر وقد ظهر ذلك في تحقيقات القضايا عام ١٩٥٩ .

بدأ بول جوكو دى كومب نشاطه الشيوعي في حلقة واحدة مع كوربيل
وشفاتز ومارسيل اسراييل وسلامون سدني وأوديت سدني وفورتى وريمون

دويك وايزاك سعد منذ قيام حركة أنصار السلم في أواخر الثلاثينيات • وتري
أخي القاريء من هذا كله مدى علاقة دي كومب بالصهيونية •

كانت الدراسة في هذه الحلقة باللغة الأجنبية ، ما عدا بعض النشرات التي
أصدرها بعض اليهود من تلك الحركة فكانت باللغة العربية ، تهاجم الصهيونية
والصهيونيين ؟

وفي عام ١٩٤٠ تحولت جماعة أنصار السلم الى حلقة سميت « جماعة
البحوث » معظم أعضائها من اليهود والأجانب ، واقتصرت على الدراسات الشيوعية
وأبرز أعضائها يوسف موسى درويش وايزاك سعد وريمون ابراهيم دويك •
وكان الاول يقيم بحى بولاق فافتتحوا مكاتب فى بولاق وامبابة وهى ما يسمى
مدارس لمحور الامية وتمكنوا من ذلك من الاتصال بعدد من العمال والفلاحين لطبيعة
أهالى المنطقتين •

وانقسمت هذه الحلقة وخرجت منها عناصر شكلت حلقات أخرى منها ما كان
اساسا للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى •

اشتد ضغط الالماني فى الصحراء الغربية • فهرب عدد من اليهود الى فلسطين
خوفا من انتصار الجيش النازى الا أن الحلقة المكونة من يوسف درويش وايزاك
سعد وريمون دويك ، بقيت فى مصر وانضم اليها بعض العمال المصريين ومنهم
محمود المسكرى ومحمد يوسف المدرك ، كما انضم اليها أيضا بعض المثقفين أمثال
راؤيل مكارىوس وغيرهم •

تمكن هؤلاء من انشاء بعض الاشكال العلنية ومنها لجنة نشر الثقافة الحديثة
ودار القرن العشرين للنشر ، وكان يدير الأخيرة ريمون دويك ، وصدرت عنهم
مجلة الفجر الجديد التى كانت تنشر المقالات الاقتصادية من وجهة النظر الماركسية
وتهاجم الاستثمار وتنشر مقالات من الادب السوفييتى ومقالات متباينة عن المسائل
الوطنية التى كانت مثارة فى ذلك الوقت وتطالب بالإصلاحات • وقد حرر بها

كتاب ناشئون أمثال عبد الرحمن الشرقاوي وأحمد رشدي صالح وأمين تكتلا ومسعد المكاوي وعز الدين فوده والسيدة لطيفة الزيات وعلى الراعي ويوسف الشاروني ونعمان عاشور وأبو سيف يوسف أبو سيف وغيرهم فاختلطت كتاباتهم بما يحرره غيرهم من الشيوعيين .

وأما دور النشر التي أسسها الشيوعيون فامتلات بالكتب الماركسية والمجلات الشيوعية الواردة من بغداد وبيروت .

أما النشاط السري ، فكان محصوراً في تجنيد الأعضاء من المصريين إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث ظلت علاقة المنظمة باليهود حتى عام ١٩٥٠ عندما هاجر دى كومب وكثير من اليهود إلى أوروبا وإسرائيل وبقي قليل من اليهود ليحملوا راية الشيوعية في مصر ، فمنذ عام ١٩٤٦ ، امتد نشاط المنظمة العلني في اتصالها بمظاهرات وتقايات العمال . وأما النشاط السري فقد اشتهرت المنظمة « بالقروقية » وهو اصطلاح يطلقه الشيوعيون على النشاط السري عندما يلجأ إلى شدة الحرس والمخافة في الاستخفاء . وكان من نتيجته قلة عدد الأعضاء المنضمين إلى هذا التنظيم .

ويرجع تاريخ يوسف أبو سيف الذي تزعم منظمة العمال والفلاحين فيما بعد ، إلى الوقت الذي كان يحرر فيه في مجلة الفجر الجديد عام ١٩٤٥ .

وأصدرت المنظمة مجلة سرية باسم « الضمير » كانت تنشر مقالات تعرض فيها العمال على الاضراب .

وأول قضية ضبطت لهذه المنظمة ، اتهم فيها محمد يوسف المدرك ومحمود يوسف العسكري وطه مسعد عثمان وهم من العمال ، وحكم على الأخير بالسجن .

وأثناء حكم اسماعيل صدقي عام ١٩٤٦ ، صدر قرار بإيقاف المجلات والنوادي والجمعيات التي اتصفت بالشيوعية كما أغلقت دور النشر المذكورة .

وبعد شهر ، تكونت منظمة باسم « الطلبة الشعبية للتحرر » وتغير الاسم الى « طليعة العمال » ثم الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » فى أوائل عام ١٩٥٧ بزعامة أبو سيف يوسف . وكان الشيوعيون من باقى المنظمات يسمون أعضائها بالدلاشنة نسبة الى شعارها « الديمقراطية الشعبية » المأخوذ عن أسلوب الصين الشعبية .

وكانت المنظمة تعمل بين السرية المطلقة والعينية المطلقة ووضع ذلك فى مجلاتها ودور النشر سابقة الذكر .

وحاولت المنظمة بنفس الأسلوب ، الاتصال بحزب الوفد وكان أكبر الأحزاب الموجودة فى ذلك الوقت ، واشتركت فى مظاهراته وصحفه وفى المجالات الحزبية الأخرى كالتقابات ولجان الطلبة . وهى محاولات ينطبق عليها المبدأ الهام الذى وضعه لينين وهو « اننا فى تحالفنا مع الأحزاب ، نسندها كما يسند الحبل المشنوق به » .

وهذا المبدأ صورة من صور الجبهة الوطنية المتحدة ، التى نفذتها المنظمة بوسيلة طفيلية ودون اتفاق رسمى مع حزب الوفد أو مع منظماته الجماهيرية التى كانت قائمة .

وعندما قامت ثورة الجيش ، فسرتها المنظمة تفسيراً مائلاً وظلت تدعو بين السطور الى ضرورة التقاء العرب واليهود فى الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية !!

الهدفية رقي ٣٥٥ علي عام ١٩٦١

تفرعت هذه القضية من تحقيقات النيابة مع قادة المنظمات الشيوعية التي كانت متحدة حتى منتصف يونيو عام ١٩٥٨ . واتهم فيها ست عشرة شخصا أولهم أبو سيف يوسف أبو سيف كزعيم للتنظيم واسمه الحركي « عباس » وقد اعترف في التحقيقات بتاريخه في الحركة الشيوعية وإن المنظمة اتحدت في أول عام ١٩٥٨ وكونت مع غيرها « الحزب الشيوعي المصري » وأصبح سكرتيره العام . وأنه عند اعتقال الشيوعيين في أول عام ١٩٥٩ توارى عن الانظار متنقلا في أماكن شتى ، حتى ضبط في ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ .

ولخص أهداف المنظمة ، بأن لها أهداف قريبة وأهداف بعيدة ، وأما القريبة فتتلخص الى تقرير الاستقلال والدفاع عنه وتقوية التضامن العربي والتضامن مع معسكر الاشتراكية وتوثيق العلاقة بها وبدول الحياد الايجابي وبجميع الشعوب المناهضة للاستعمار . وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية ، فإن الأهداف القريبة تنلخص في ضرورة القيام بأعمال حاسمة وسريعة للتخفيف عن الطبقات الوطنية .

وأما الأهداف البعيدة ، فهي إقامة نظام اشتراكي يختفي فيه بالتدريج نظام الطبقات ، بأن تصبح جميع وسائل الانتاج الرئيسية ملكا للمجتمع فلا يكون هناك طبقة رأسمالية أو طبقة ملاك كبيرة تستغل مجهودات العمال والفلاحين ، بل يجرد الرأسماليون من ممتلكاتهم التي تؤدي عندئذ دورا اجتماعيا معيناً فتؤول للدولة . وفي هذه الحالة تتحول السلطة الى الطبقة العاملة بقيادة الحزب الشيوعي تطبيقا للنظرية الماركسية اللينينية . ولم ينكر اتخاذ العنف وسيلة لهذا التغير وقال أنه اذا كان الحكم يستند الى أي تأييد شعبي ، فيمكن عندئذ ان يلجأ الحزب الى قلب نظام هذا الحكم بالقوة ، وهي قوة الشعب المنظمة بقيادته

وعاب على الحكومة أنها تملن أن الاتحاد السوفياتي صديق مخلص لبلادنا ، ولكنها تخالف ذلك في التطبيق كما أنها تقف موقفا خاطئا من العراق والأحزاب الشيوعية العربية واسترسل في نقده للحكومة وأسلوب الحكم وقال ان المشكلة الحقيقية بين الحزب الشيوعي والحكومة ليست هي المطالب في المحل الاول ، بل هي حول شرعية وجود الحزب في البلاد ، اذ أن تكوينه مرتبط أساسا بتحقيق الأهداف البعيدة وهي تطبيق الاشتراكية العلمية التي وضع أسسها ماركس وانجلز ولينين . وعاب على الشكل التي تمت به الوحدة مع سوريا .

ونكتفي بهذا القدر من اعتراف سكرتير عام الحزب . كما بينته النيابة في تقرير الاتهام . وقد اعترف أيضا المتهم الثاني اسماعيل عبد الحليم المهدي واسمه التنظيمي « عثمان » ولم يخرج اعترافه عن اعتراف زعيمه السابق . واعترف المتهمان الثالث والرابع وهما شوقي مجاهد حجازي وأحمد سالم سالم بمثل ما سبق .

كان عدد اعضاء المنظمة وقادتها يحترفون النشاط الشيوعي وينفقون ما تدفعه المنظمة لهم .

ومما يذكر انه ضبطت لدى المتهم الثالث عشر محمد كريم الدين حسين درويش مفكرة بها طعن في الاديان وتمريض بالقرآن . ومن ذلك تشبيهه لكتاب الله بأنه « كتاب عتيق قام على آلفية المؤمنين » وشبه الزوج في الشريعة الاسلامية بملك جلاية القروء بين حريمه « وكتب يقول » لقد صنعت الانسانية التطور ثم نسبته الى الآلهة ، وتملكها هذا الوهم فتوقفت عن الصعود ، وانتظرت من الآلهة ان تدفعها فكانت النتيجة - الانحطاط » .

وجالاً بالمفكرة عبارة « لكي تنجح في الحياة ، يجب أن تسلك احد الطريقين ، اما أن تنفجر بين الناس كقنبلة ، أو أن تسلسل بينهم كالوباء - أما الشرف فانه طعام الحسنى ، ومن الطريف انه وقع باسمه التنظيمي « داعر » . ولا حاجة لي الى

تعليق وقد اعفانى الكاتب بتوقيعه عما كتب ، وهذا ما تعلمه الشيوعية لأعضائها واستغفر الله •

ولكننى اذكر لهذا المتهم - له وليس عليه - انه فى تحقيق النيابة قرر انه عاود التفكير فى مسألة الدين واقتنع وأمن • واعترف على زميله المتهم سامى درينى خشية انه الكاتب فى مفكرته بخطه « لقد مات الله • هكذا قال زرادشت - لقد بلغت الانسانية من سمو الفكر والفعل ما يتيح لها شئون نفسها - اننا لسنا بحاجة الى وصى لا نراه » •

هذا وقد سبق اتهام ومحاكمة بعض قادة التنظيم فى قضية الحزب الشيوعى المصرى سابقة الذكر ، لضبطهم مع قاداته •

ولا يفوتنا أن تذكر ان ريمون دويك قد هرب بعد ضبطه عام ١٩٦٢ من سجن الواحات الخارجية الى ايطاليا حيث اقام بها ثم عاد للبلاد بعد صدور القرار الجمهورى بالعمو عن المعقوبات الصادرة على الشيوعيين والافراج عنهم •

وعند وحدة هذه المنظمة مع باقى المنظمات وتكوين الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير ١٩٥٨ ، كانت هذه المنظمة شريكة مع باقى المنظمات فى التنظيم والدعاية والمالية • فقد حاولت المنظمة فى نشرة لها أن توهم أعضائها بأن الجماهير يجب أن تكون المصدر الأساسى لتمويل الحزب وذلك حتى لا يقع الحزب تحت رحمة المولدين ، وحتى لا تعتقد الجماهير أن هناك جهات أخرى تصرف على الحزب وهى غريبة ، مما يجعلها تشعر ان الحزب ليس حزبها وإن له أهدافا أخرى غير التى يعلن عنها ، وهى خضعة ممولى الحزب « ويكاد الريب أن يقول خطونى » •

هذه النشرة رفعها عضو اللجنة المركزية وهو مسئول المالية الى السكرتارية المركزية • ونسأل هنا ، ما الحاجة لطباعتها وتوزيعها على اعضاء المنظمة وعلى الجماهير ؟ لا شك انها تعنى خداعا للأعضاء وقراء النشرة ، ان المنظمة تعتمد على نفسها فى التمويل وبأنه ليس لديهم مصدر آخر • وانه ليس هناك أمر يعتبر « منزلقا خطيرا كما جاء فى دفاعهم » •

ولما كانت كل المنظمات الشيوعية فى الهم سواء ، فقد ضبطت لدى المتهم الثالث ورقة أوضح فيها ان نفقاته وزميليته المتهمين الأول والثانى ، كانت تربو على المائة جنيه فى الشهر الواحد ، مع انهم كانوا حاربين بعد ضبط قادتهم واغلاق دور النشر التى كانت موردا لهم وانقطاع الصلة مع السفارة والسفارات الأخرى . ولم يكن لهم عمل يرتزقون منه . فمن أين جاءهم هذا المرتب وهم حاربون يتخفون ؟ !!

وهنا نقف عند هذا الحد من شرح سياسة المنظمات الشيوعية . ونستطيع القارئ عنرا ، للاطلاع التى تعمدناها . حتى يقف على اسرار الحركة الشيوعية المحلية وما يتصل بها من واقع التحقيقات والقضايا . وكان عرضى منذ شرحت هذا كله ، ان يقف القارئ أمام أى حديث موقفا واعيا ، فيمكنه تحليله والعودة به الى أصوله ، ومعرفة كنهه ، فيصل بوسيلة علمية ، الى فهمه فهما صحيحا .

الفصل الخامس

المدرسة

اعترف بعض الشيوعيين بتاريخهم في الحركة الشيوعية ، منهم من كان يفاخر بكفاحه ، ومنهم من ادعى الوطنية ، وآخرون اعترفوا ندما وتراجعوا الى الحق . وقد اخترت واحدا من المتنهيين ، أسجل هنا اعترافاته في التحقيقات .

قرر سامي خشبه الذي سبق أن ذكرته بتاريخه الشيوعي ، **وعلى ذلك بالفراغ الايديولوجي** ، أى الفكرى ، الذى كان يعيش فيه ، وأنه وجد من واجبه أن يكشف حقيقة ما يدور خلف ادعاه هؤلاء الشيوعيين الذين لا يفرغون من انقساماتهم . وأوضح ان الخلاف بين قادة الشيوعيين ، كان خلافا على المراكز الرئيسية فى الحزب ، وان الكفاح الطبقي لا يهم الشيوعيون بقدر ما يهم مركزهم ومستواهم فى التنظيم . وقال انه اتاحت له فرصة التفكير الهادئ بعد ضبطه ، ولأول مرة منذ ثلاثة أعوام ، اكتشف انه لم يسبق له أن ناقش نفسه مناقشة موضوعية فى امكان القيام بثورة طبقية فى مصر على غرار ما حدث فى الاتحاد السوفيتى والصين . وأنه لا يود أن يذكر الديمقراطيات الشعبية التى قامت فى أوروبا بعد تحطيم النازية ، لانها حصلت على الحكم الاشتراكى بمساندة الجيش الأحمر . وأنه بدأ يرى نفسه لاعادة بناء مفاهيمه حتى يحصل على وجهة نظر جديدة غير طبقية ولا متعصبة ، وان استمرار وجوده فى السجن هو الذى سيساعده على استكمال هذا التطهير وهذا البناء الجديد .

ان هذا الاعتراف مثال لبعض اعترافات الشيوعيين ، التي ان دلت على شيء
انما تدل على أن الكثيرين منهم قد اهتزت مفاهيمه وافاق على حقائق كانت غامضة
عليه ، وعندما انفرد بنفسه اعاد الرؤية فاستبانت له الأشياء على طبيعتها
المنطقية .

وبدراسة هذه الحالات وغيرها ، أصبح الأمر يدعو الى اجراء عملي يفتح
الافاق لهؤلاء المضللين سيئى الحظ ويهيئ لهم الفرصة لاعادة التفكير فى مسائل
جديدة ، وزوايا لم يرنوا اليها من قبل لعلهم يهتدون .

وبذلك بدأ الاعداد لانشاء مدرسة ، لها كل مقومات الدار التربوية - تجربة
لم يسبق لها مثيل فى العالم - .

وأول ما تبادر الى الذهن ، هو اختيار فريق من المعلمين ، يتحمس للفكرة
ويتفهم الهدف الوطنى منها . ولم نلق أية صعوبة ، فقد وجدنا كل تأييد ومعاونة
من بعض اساتذة الجامعة ، وأذكرهم ممتزفا لهم بالفضل :

الاستاذ الدكتور أحمد سويلم العمرى

الاستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

المرحوم فضيلة الشيخ أبوزهرة

الاستاذ الدكتور رفعت المحجوب

الاستاذ الدكتور طعيمة الجرف

الاستاذ الدكتور لبيب شقير

الاستاذ الدكتور ثروت بسدوى

واتفق على أن تكون محاضراتهم للشيوعيين خالية من النظريات الماركسية
وملاحظها - لا بالطن ولا بالنقد - بل تتناول المفاهيم السياسية الصحيحة
الخاصة بمجتمعنا العربى من جميع الأوجه وتقاليدنا السليمة وكل ما يحقق السلام
الاجتماعى فى بلدنا .

وأصبح اختيار الأفراد من المعتقلين ، هو الدعامة الرئيسية لنجاح هذه المدرسة • وبدأنا باختيار ثلاثين شخصا استمروا في الدراسة أربعة أشهر ثم أفرج عنهم على الفور • واخترنا دفعة أخرى لنفس الفترة وهكذا •

وتخرج من المدرسة عدد يربو على الأربعمئة مواطن ، عادوا الى مصرنا العزيزة ولم يشذ منهم واحد • وأصبحو بحق فخر هذه التجربة التي نجحت وحققّت بعض الاهداف منها • وأقول بعض الاهداف ، لأن التجربة لم تستمر طويلا اذ أفرج عن الشيوعيين مسجونين ومعتقلين فجأة في ٢ أبريل عام ١٩٦٤ ، لمناسبة زيارة خروشوف في ١٢ مايو من نفس العام !!

وقد ثار بعض الشيوعيين الشرفاء ! واتهم هؤلاء الذين عادوا الى الله والحق بالضعف وبأنهم لم يتحملوا الضغط وخانوا القضية • بل أصدر بعضهم كتباً ينددون برفقاء الطريق ويتهمون المباحث بشتم الاتهامات العجيبة •

ومن هذه الكتب كتاب ما كان يستحق التطبيق ، ولكنه صدر بعد اثني عشر عاما من الافراج عن الشيوعيين • وقد أصدره الهام عبد العزيز سيف النصر ، وأهم ما فيه - هذا اذا كان فيه شيء - بهم - هو أنه ملأ الكتاب بأحداث مكررة عن تعذيبه في المعتقل بالكرباج يوميا ، ونسى أنه قضى معظم فترة اعتقاله بمستشفى القصر العيني يعالج من تليف في الكبد ، واتهمني بأنني استعملت غسيل المخ مع الرفاق ليتخضعوا لرغبات الحكومة • ولا أدري لماذا خضع هو الآخر في ذلك الوقت ، وقد كتب لي أكثر من عشر خطابات شخصية أرفع عن ذكر تفاصيلها • ولكنني أسجل فقط ما كتبه زميل قديم له في كتابه عن « حقيقة وأسرار الشيوعية المحلية » قال انه تعرف بسجن الاجانب في يناير عام ١٩٤٨ وكان محبوسا في قضية تظاهر ضد الملك السابق على الهام سيف النصر الذي ركم ساجدا تحت اقدام الملك وكتب الولاء له فأفرج عنه وسافر الى باريس وهو عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري ومن الراسماليين المصريين •

الباب الرابع

الفصل الأول:

ماذا بعد الإزراج عن الشيوعيين ؟

الفصل الثاني:

الخطات

جمعية أنصار السلام

وضع المسامحة في الإتحاد السوفييتي

التسلل السوفييتي في الشرق الأوسط وأفريقيا

نظريته الجديدة للشرق الأوسط

التسلل السوفييتي في آسيا وأفريقيا

الفصل الأول

تأثير عبد الرحمن على حركة الشيوعيين ؟

(سوف تحدد التحولات الكبرى التي تجرى في بلادنا - مستقبل الشعب والبلاد - بل مستقبل المنطقة العربية كلها لسنوات طويلة ، هل تدعم وتنمو قوى التقدم والاشتراكية وتنتقل في مسيرتها العامة الى مراكز أكبر تقمعا ؟ أم هل تجمد الحركة الثورية وتنتصر حكوات الردة التي تقودها وتنظمها قوى الثورة المضادة والاستعمار العالمي ؟) .

هكذا بدأ بعض الشيوعيين نشاطهم ، فأصدروا نشرة تتضمن ما سبق بتاريخ ديسمبر عام ١٩٦٤ . أى بعد ثمانية شهور من الافراج عنهم وبعد خمس سنوات من اعتقالهم . وقد زيلت النشرة بتوقيع « اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى » .

ولى هنا بعض الملاحظات :

- انى أقطع بأنه لم يكن هناك فى هذا الوقت حزب شيوعى . وان التوقيع يمثل أشخاصا اجتمعوا على موقف الوهم ، وتصوروا زعامة حزب شيوعى .

- هم يقصدون بلا شك ، عندما كتبوا فى النشرة الحركة الثورية « الحركة الشيوعية » ويقصدون أيضا بتعبير الثورة المضادة ، أية حكومة تحترم نفسها وتحمى الشعب الذى تمثله فهى ثورة مضادة بالنسبة لهم .

تقول النشرة « ان البلاد تواجه صعوبات جدية وخطيرة ، وهي وان كانت ناتجة اساسا عن نجاحات وانتصارات ، الا أن القوى المعادية الداخلية والخارجية التي تتربص بهذه النجاحات ، هي من القوة والنفوذ بحيث أن قوى التقدم والاشتراكية قد باتت تواجه تحديا خطيرا لم يعد يمكن السكوت عليه » .

وتقول النشرة « ان اللجنة المركزية اهتمت باعداد الرفاق ليأخذوا أماكنهم فعلا في أرض المعركة ، فلا تخلف ولا سلبية ، بل عمل طليعي على جميع الجبهات الفكرية والسياسية والاقتصادية ، مع كل القوى الاشتراكية، وفي صفوف العمال والفلاحين والمتقنين الثوريين » .

ثم تفضح النشرة مخرجها وتقول :

« ان الازمة التنظيمية الناتجة من هجرة بعض الرفاق صفوف الحزب ، والسلبية التي يبدؤها عدد من الكادر (أى القياديين) والانصراف عن دراسة ومناقشة القضايا الخطيرة التي يطرحها المجتمع ، والاكتفاء بالتعبير عن السخط وعدم الرضا والوقوف عند حد تسجيل الاخطاء ورفض تولي المسؤوليات الحزبية ... الخ » .

وارجو أن نتعبه معا ونمى ما شرحته النشرة عن كيفية القيام بالنشاط العلني ، في تلك الظروف الواثية ، فإن هذا التخطيط قد نفذ تماما حتى وقتنا هذا .

تقول النشرة « ان التنظيم الطليعي الثوري ، هو تكتل يضم جميع الاشتراكيين ويحتوى العمال والفلاحين والمتقنين والثوريين . **والذا كانت هناك اقسام من القوى الثورية ، لا تثقل النظرية الفلسفية الماركسية اللينينية ، وترفض أن تتخل عن الدين فإن هذا لا يعد عائقا دون انضمامها الى هذا التنظيم** - فليس قبول الماركسية واللينينية والتخل عن الدين ، شرطا لتبنى الاشتراكية- كل ما نطلبه في هذا التنظيم الطليعي أن يتسلح بالوعى الطبقي ، وأن يكون مرتبطا بحركة الجماهير ، وأن يسير في حياته الداخلية على أساس المركزية الديمقراطية .

ويبدو أن الذي كتب هذه النشرة ، قد درس أعماق الماركسية اللينينية ،
اذ فسر « كيفية التجمع الذي يدعو اليه ، بالفكر التقمعي المبني على الوحدوية مع
 كل الفئات ، حتى المتمسكة بالدين والرافضة للشيوعية » .

وهانحن نرى ، بعد اثنتي عشرة عاما ، أن هذا المخطط قد نفذ بحذائره
 فيكون الحزب الذي يجمع بين الاشتراكية الماركسية ، المتدينين ، والذين لا يؤمنون
 بغير الشيوعية . ولكن الاخرون يقومون بدورهم - لا أقول على استحياء - وانما
 على استخفاء .

وقالت « أن الحزب لا يواجه ارهابا بوليسيا ، بل على العكس ، **الحزب**
يعيش في ظروف مواتية الى حد كبير . فالبلاذ قد انتقلت الى مواقع سياسية
 واجتماعية واقتصادية متقدمة **ويتبنى قادة البلاد هذا الاتجاه** . وأن الشيوعيين
 المصريين الذين اظهروا ثباتا رائعا طوال السنوات الماضية ورفضوا أن يستنكروا
 عقيدتهم ، قد كسبوا احترام كل الديمقراطيين الشرفاء والعاطفين . ومع ذلك
 فإن الحزب يبدي عجزا واضحا عن الافادة من هذه الظروف » .

وترسم النشرة طريق تكوين أو تدعيم النشاط الشيوعي ، على النحو الذي
 بدأه الشيوعيون من قديم ، فدعت الى تنظيم النشاط السرى والى التسلسل للاتحاد
 الاشتراكي والى **تكوين ما أسمته بالطليلة الشيوعية** .

الفصل الثاني

الخطوة

هكذا رسم الشيوعيون مخططا جديدا بعد الافراج عنهم مباشرة ، وسنحاول أن نثبت هنا ، اذا كان هذا المخطط من عندياتهم ، أو هو مخطط معد بأكمله من من جهة أخرى .

اذا رجعنا الى النظرية الماركسية اللينينية ، لوجدنا انها تدعو الى القيام بثورات في جميع أنحاء العالم ، وتضع الدول خضوعا تاما للدولة الأم ، ومع غض النظر عن الفلسفات التي قيلت في هذا الشأن ، فاننا نسأل سؤاليين اثنين فقط ، بعد أن قامت الأنظمة الشيوعية في بعض بلاد أوروبا بمساندة العسكرية السوفيتية .

هل هذه البلاد تعتبر بلادا حرة مستقلة ؟ كانت الجيوش البريطانية تحتل عسكريا بلادا لا تغرب عنها الشمس ، وتستغل مواردها وتقيدها حركتها ، وكنا نسمى هذا الاحتلال « استعمارا » . فماذا نسمى احتلال الدول الشيوعية بالجيوش السوفيتية ؟ بماذا نسمى دوراتها في فلك الاتحاد السوفيتي سياسيا واقتصاديا ؟

وهنا لا ننسى ثورة المجر على الاحتلال السوفيتي عام ١٩٥٦ التي سحقتهها الجيوش السوفيتية وأخمدتها بالحديد والنار .

كانت الامبراطورية البريطانية تعتمد اعتمادا كليا على عملائها من المواطنين الذين يفتحون لها الطريق الى مستعمراتها . ثم ظهرت النازية فكان لهم ما سعى

حين ذاك بالطاير الخامس • وجاء أساتذة السياسة وجعلوا من الاممية عمادها
فى استعمار الدول على ايدى الشيوعيين الذين أثبتو أنهم خير من الطاير الخامس
اذ يعتمدون على الطلسم العجيب وهو الاممية التى قيل من زمن طويل أنها الهدف
الاسمى من النظريات الشيوعية •

لم تقم ثورات شيوعية بعد الثورة الروسية فى أى مكان فى العالم سوى
فى الصين لظروف خاصة بها وبمساعدة السوفييت العسكرية فى الثورات
الاخيرة ، ومع ذلك فقد انفصلت الثورتان وأصبح بينهما عدا مستحكم ولم يتم
بينها ما يسمى بوحدة البروليتاريا وأما الاممية فكادت تصبح فى خبر كان •

لم تقم ثورات فى بلاد أوروبا ، ولكن التاريخ القريب جدا يسجل أن بعض
الحكام بها ومن حولهم من الشيوعيين القلائل أطاحوا بالحكومات السابقة
بالمساعدات العسكرية السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية •

وحتى فى السنوات الاخيرة ، قامت الثورة الوطنية فى بلاد الحبشة مثلا ،
على يد ضباط عاديين من الجيش • ثم برز واحد منهم ففضى عليهم جميعا واستولى
على الحكم ، وساندتهم السوفييت وتلاميذهم الكوبيين الآتين من بعيد بالسلاح
والخبراء والتوجيه • ولا شك أن الهدف من هذه المساندة القرب من منابع
البتترول ورغبة السيطرة على المنطقة الحساسة •

وأما الاحزاب الشيوعية فى البلاد الحرة ، فقد تيقظ أعضاؤها أخيرا وهبوا
يرفضون التبعية للحزب الشيوعى السوفيتى وتخلى معظمهم عن الماركسية
اللينينية أو أهم أسسها وهى دكتاتورية البروليتاريا •

وقطع الحزب الشيوعى اليابانى علاقته بالحزب السوفيتى عام ١٩٦٤ ثم
بالحزب الصينى عام ١٩٦٧ ، وقام بتعديل كثير من أهدافه السياسية ، ووقف
مع بقية الاحزاب اليابانية الأخرى فى مطالبة الاتحاد السوفيتى بالجلاد عن الجزر
اليابانية الأربع التى كانت قد احتلتها فى الحرب العالمية الثانية • وقد محى الحزب
الشيوعى اليابانى من لائحته هدف الحزب من تحقيق النموذج السوفيتى

لديكتاتورية البروليتاريا واستبدل الماركسية اللينينية بالاشتراكية العلمية وتخل عن صيغة العولية .

وأصبحت سياسة الشيوعية الديمقراطية المستقلة ، التي لم يجرؤ زعيم شيوعي واحد على اتباعها من قبل ، حقيقة واقعة . ورفضت أحزاب عالمية كثيرة سيطرة السوفييت على الحركة الشيوعية الدولية . وذهبت مع الريح محاولات الاتحاد السوفيتي لاستعادة مركزه في لشيوعية الاممية ، تارة بالنصح والنقد وتارة بالتهديد المستتر .

ومن التعبيرات المثيرة التي وردت في كتاب كاريللو سكرتير الحزب الشيوعي الاسباني عن « الشيوعية الأوروبية والدولة » ما قاله من أن موسكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وأنها الفاتيكان » .

وعندئذ يأتى السؤال الثانى :

هل فشلت الماركسية فيما كانت تدعو اليه من جنة على ارض يسودها الاخاء والمساواة بين الناس والأمم ؟

وفى رأى انها لعبة لا تختلف عن الاعيب الاستعمار المعروفة ، حيثكت بمهارة وخطط لها ببلقة متناهية فى النها .

وأخيرا وجد السوفييت حلا لهذه المشاكل دون حاجة لنظريات معقدة تدعو الشعوب لاعتناقها ، فهذا طريق طويل غير مأمون ولا مضمون . ويكفى بعض العملاء تساندهم وتساعدهم عسكريا ، ليركب هؤلاء موجة الثورات الوطنية فى بلادهم ويقلبون نظامه ، ويخضعونها لسيطرة ديكتاتورية عاتية تحت امره السوفييت . وأصبحت هذه السياسة طراز العصر فى وقتنا هذا ، ودون حاجة لللف والدوران ولعبته الاستعمارية المعروفة بين الاطفال . وسنعود الى هذا المخطط فيما بعد .

وشامت ظروف جمهورية مصر العربية ، أن تقع فى اطار المخططين - القديم والجديد - لولا لعطف الله .

فبعد أن فشلت الشيوعية الدولية بمخططاتها التقليدية ، وخرج الشيوعيون المحليون من المعتقلات • مفكرين لا يضمهم حزب أو تنظيم • بدأت شرائز منهم فى التخطيط فورا كما بدأ السوفييت تكييف الحالة الجديدة بحسب ظروف البلاد وما يحاط بها وسارت الامور كما يلى :

مخطط السياسة السوفيتية :

لا فائدة ترجى من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فقد وقف من الشيوعية المحلية موقفا صلبا • ولم يتوان فى مجابهة رئيس السوفييت مهاجما له وللشيوعيين جميعا •

— أصبحت الاطاحة به وبنظامه هدفا عاجلا •

— ايجاد طبقة حاكمة غير واعية فى السلطة وايقامها بلنة الحكم وهيبة السلطان •

— تخريب الاقتصاد المصرى واغراق البلاد فى بحر من الديون •

— القضاء على القوات العسكرية فى الفرصة المناسبة •

— اغلاق كل الابواب التى قد يلجأ اليها عبد الناصر للمعونة أو لشد أزره ما عدا باب السوفييت •

— تمكين الموالين من السوفييت من السيطرة على البلاد •

— معاونة الشيوعيين المحليين بالدعاية والتدعيم فى كل الميادين حتى يشتد عددهم ويصبحوا قادرين على اية قوة أخرى •

ولست فى حاجة الى شرح هذا المخطط وقد نفذ معظمه وأصبح مفهومًا

• للكافة •

مخطط الشيوعية المحلية :

وجد الشيوعيون المحليون ، الظروف المواتية للحكومة تفضى الطرف عنهم، بل وصل الأمر بها أن عينت الوزراء ونواب الوزراء من شيوعيين دمقتهم المحكمة بالسجن عشر سنوات ، ولو شئنا أن نعدد المراكز والمجالات التى عين فيها الشيوعيون - فى تلك الفترة - لأعيانا الأمر .

ولا بد أن نذكر هنا مجالا واحدا متسع الاجراء خطير النتائج ، هو مجال الصحافة والنشر والثقافة والاعلام . فقد احتلها الشيوعيون واطلقت يدهم فى تحريرها ، فكان منهم رؤساء تحرير ورؤساء لأكبر مؤسسات الثقافة والنشر والطاقة الذرية .

ويسير كل هذا فى خط متواز مع تخطيط السوفييت السابق ذكره .

فالسفارة السوفيتية تحتفل بذكرى لينين فى عواصم المحافظات ، مثلما حصل فى المنصورة عام ١٩٦٦ ، واحتفال القوات البحرية بهذه الذكرى بالاسكندرية، وأمر القوات العسكرية بقبول وتشجيع العلاقات العائلية والاجتماعية مع الخبراء السوفييت وعائلاتهم !!

ولا أنسى أن أنوه هنا بخبر قصير نشرته الاهرام فى صفحتها الأولى مفاده أن الحزب الشيوعى المصرى قرر حل الشكل التنظيمى له . وكما قلنا لم يكن هناك فى تلك الفترة حزب شيوعى ولا اشكال تنظيمية . ولا أدري أى سناجة من رئيس التحرير الذى سمح بنشر هذا الخبر فى الصفحة الأولى ، أم أمر بالنشر متعمدا معتقدا فى سناجة الشعب ، أم اشتراك فى المخطط المشار اليه ؟

ولما كان كل مخطط ذا هدف محدد ، فلم يبق لتحقيقه سوى الفرصة المناسبة . وجاءت هذه الفرصة فعلا عندما توفى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكن الله سلم وفشلت المؤامرة واستبانَت الحقائق وتوج النصر بتصحيح المسار . وقد كان السيد حسن التهامى محقا عندما قال فى مقالة له بالاهرام أخيرا « كانت المحاولة سوفيتية المقصد والتخطيط » .

لعل الذين طمعوا يوما فى الحكم وسميتهم بمراكز القوى لم يكن أحد منهم يدرك ، أنهم كانوا فى الحقيقة مراكز متناهية فى الضعف والسذاجة ، بل أقطع أن أحدا منهم لا يدرك أن الرئيس السادات قد أنقذ وقابهم من الدبح . ويبدو هذا التصير غريبا . الا أنه بالتمعن فى كل ما سبق تسجيله ، لوجدنا تفسيرا مقنعا لهذا الرأى بسهولة ومنطق مستقيم .

فان دعائم المؤامرة من مراكز الضعف قد فكرت وأوحى لها التدبير للاستيلاء على الحكم .

١٨١

فهل كان الشيوعيون سيقفون متفرجين ؟ ان لهم مخططاتهم وأهدافهم التى ظلوا يكافحون لتحقيقها عشرات السنين ، فهل يتركون فئة طامعة فى الحكم ، تستولى عليه ، وليس لأحد منها تاريخ نضال وكفاح ، ولا يمتون للشيوعية بصلة . ما هكذا علمتنا الشيوعية .

وهل يسلمون الحكم لأفراد لا أمان لهم ؟ وهل يكتفون به الغنيمة بالتصفيق والشعارات ؟ وفيما اذن الفائدة من النظريات والفلسفات ؟ ان لم تكن تحقيقا للهدف البعيد .

لقد اتخذ الشيوعيون من هذا النفر الساذج مطية ذلول ، سيسهل تصفيتهم فى لحظة . وكانوا يعلمون بحق مدى العقلية التى يتعاملون معها ، وكانوا يعلمون بحق مدى العون الذى سيتلقونه من أربابهم السوفييت وهم يتكلمون لغة واحدة ويعتقدون ديناً واحداً . وبالقطع سيفضل السوفييت العميل المتدين بدينهم عن العميل بغير دين على الإطلاق .

الاحداث بعد ذلك معروفة ، وأترك الأمر للقارىء الفاضل ، يحلل منها ما يصل اليه على ضوء الصفحات السابقة .

جمعية أفسار الستلح

لا أود أخى القارىء أن تعيش ممي تأثها فى لايران (أو بيت جحا)
المؤتمرات الدولية وبحر الهيئات العالمية التى أدت ببراعة الى تكوين لجان
وهيئات السلام فى جميع أنحاء العالم ولكنى أقصر على ذكر الملاحظات الآتية
كما وعدت بها من قبل .

الكومنفورم :

يبرز هنا سؤال لماذا نجحت موسكو فى توطيد سلطانها التام على
الشيوعيين فى جميع أنحاء العالم ؟

ان الشيوعى المخلص يتطلع الى موسكو بغيره المتعصب التى يمكن أن تقارن
فقط بشعور المسلم نحو مكة والكاثوليكي نحو روما . وقد أقنع المنصب الماركسى
كل شيوعى بضرورة وجود قيادة دولية لنشاطه الثورى ، واقتنع الشيوعيون
فى كل مكان بأن الحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية يشكلان قوة
سياسية وعسكرية واقتصادية أعظم بكثير مما تشكله أية حركة شيوعية خارج
روسيا . وقد رأينا كيف كانت تبعية الشيوعيين لموسكو ، وسنرى أدلة أخرى
حاسمة عن هذه التبعية وكيف تقدم موسكو التأييد المادى لجميع الأحزاب
الشيوعية خارجها وكيف تصدها بالمال والمطبوعات والمهمات والأسلحة .

كان الجهاز الذى تباشر به موسكو السيطرة على جميع الأحزاب الشيوعية
منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٤٣ هو الكومنتيرن أى الشيوعية الدولية كما ذكرنا
سابقا ، وقد تكون مندوبة من جميع الأحزاب الشيوعية ، انتخاب من بينهم لجنة

تنفيذية ، ومنها انتخب المكتب السياسى وكانت له سكرتارية كبيرة فى موسكو تتبعها ادارات للمناطق والمطبوعات المختلفة وكانت ومازالت ، توجد فى روسيا مدارس عديدة ، لكبار الشيوعيين الرسميين فى جميع انحاء العالم ، وتمتد ايضا بعض المتخصصين للعمل فى البلاد الأجنبية ، وكان للكومنتيرن ممثل لكل دولة يتولى ادارة اعمال الحزب الشيوعى بها ، ويؤدى عمله عادة بصفة سرية . وقد سبق أن ذكرنا أمثلة ذلك .

وابان الحرب العالمية الثانية ، أقدم ستالين على حل الكومنتيرن وذلك لتهدئة القرب وحتى يدلل على أنه تخلى عن قيادة جميع الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأخرى . وواقع الأمر أن هذه القيادة بقيت بنفس الدقة ولكن بطريقة خفية . إذ تولى الإدارة الأجنبية للسكرتارية المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الوظائف الرئيسية التى كان يتولاها الكومنتيرن . وألقى منصب السكرتير العام له وكان « ديمتروف البلغارى » . وفى عام ١٩٤٧ أنشئ مكتب باسم الكومنفورم .

وليس الكومنفورم بديلا كاملا عن الكومنتيرن ، فقد أصبح ادارة للدعاية والتنظيم والمخابرات ، وليس للقيادة والاشراف على الأحزاب العالمية ، إذ أن هذه الوظيفة ما زالت من نصيب الإدارة الخارجية للحزب الشيوعى السوفيتى . هذا علاوة على المراكز الإقليمية الأخرى للنشاط الشيوعى . وكانت فى بيروت للنشاط فى الشرق الأوسط وفى أديس أبابا للنشاط فى أفريقيا وفى كوبا لأمريكا اللاتينية .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٩ أصدر الكومنفورم قرارا قال فيه « ان الصراع من أجل سلام دائم وتنظيم قوى السلام واتحادها ضد قوى الحرب ، هذا الصراع يجب أن يكون محور نشاط الأحزاب الشيوعية والهيئات الديمقراطية فى الوقت الحاضر » .

ومصدرت أوامر للهيئات الشيوعية فى البلاد غير الشيوعية بتنظيم الاضرابات واعمال التخريب وإتارة القلاقل فى الإنتاج الصناعى والدفاعى لدول

القرب والدعاية ضد التجنيد وخلق جو من الاضطرابات في المستعمرات ، ولما في روسيا والبلاد الصالحة معها فقد اخلت الدعاية للسلام تسكب سم الكراهية للعالم الآخر وتسليح في زيادة الانتاج وخاصة الانتاج الحربى .

ولعلنا نلاحظ أن هذا الأسلوب هو السائد في العالمين الشرقى والغربى حتى الآن .

وأمر آخر من الكومنفورم للشيوعية المحلية ولجان السلام الى توسيع نطاق جميع توقيعات على نداء السلام الذى صدر فى استوكهلم عند اجتماع مؤتمر السلام هناك لأول مرة وكان الهدف منه هو تأييد العالم غير الشيوعى للسياسة السوفييتية كما صرحت بذلك صحيفة يونيتال وهى الصحيفة الشيوعية الايطالية .

وعندما انعقد مؤتمر السلام فى وارسو تكبدت الحكومة البولندية جميع نفقات المندوبين ومنتهم السجائر وما يعادل خمسة وأربعين جنيها مصريا لكل منهم مصاريف جيبه الخاص ، وكان عدد المندوبين ألف وسبعمائة مندوبا .

وقد ختمت الاذاعة السوفييتية أعمال المؤتمر بهذا الوصف البليغ : لقد أثبت المؤتمر أن السلام سوف ينتصر على الحرب لأن أنصار السلام يسرون تحت زعامة الشعب السوفييتى المحب للسلام ولأن الذى يحمل رايته هو أعظم رجل على وجه الأرض ، صديق العمال وأستاذهم جوزيف ستالين » .

ونجح الاتحاد السوفييتى فى نشر فكرة السلام ، وقد اوضح للعالم أجمع مع مرور الوقت أن هذه الحركة كانت ترمى باختصار شديد الى اخفاء البايات التى يسعى الاتحاد السوفييتى اليها وراء المبادئ النبيلة باستقلال فكرة نزع السلاح والدعاية السلمية .

هذا الأسلوب وضع تماما من نشاط جماعة أنصار السلام فى مصر . فقد رأى الوجهون للنشاط الشيوعى أن النشاط السرى لا يكفى فقررُوا أن يقوموا

بجانبه بنشاط على لا يقع تحت طائلة القانون ، سليم الظهر يتفق مع المشاعر الشعبية والعالية • واستغلوا حركة السلام فانشأوا اللجان الوطنية وبعض الصحف والجلات واندموا في الصحف الاخرى ينشرون للقاتل الوطنية التي تنلق وجهة النظر الماركسية •

استورد • يوسف حلمى المحامى « فى أواخر عام ١٩٥٠ فكرة أنصار السلام وأنشأ جماعتها وكون لجانها وجعل من مكتبه محلا لاجتماعات الأعضاء وسكرتيرى اللجان ولم يكن لمكتبه ايراد من القضايا ومع ذلك فان اتساع نشاط المنظمة منذ انشائها دل على ما اتفق عليها من اموال ، وكون لجنة تحضيرية كان هو سكرتيرا لها ومن أعضائها • أحمد سعد الدين كامل ، من مؤسسى الحركة الديمقراطية ، ومحمد على عامر الزهار عامل النسيج ، وعبد الرحمن الحيسى ، ومحمد عبد المنعم الفزالى ، وانجى اقلاطون • وكل هؤلاء كانوا من قادة الشيوعية اللذين حكم عليهم بعد ذلك فى قضايا •

وتمكنن اللجنة التحضيرية من تأسيس اللجان الفرعية فى الاحياء المختلفة وبعدة مدن وكانت لهم صحف علنية منها « الملايين » و « الكاتب » • وبرغم افعال المحامى يوسف حلمى مكتبه ، وبرغم أنه ليس من أصحاب الايراد الثابت فاذا به يرحل الى أوروبا سنويا لحضور المؤتمرات وينفق على مكتبه وسكنه وحياته الخاصة وسيارته عن سعة وعلى نشاط الجماعة من مطبوعات ومجلات كانت تضبط بال عشرات فى مساكن الشيوعيين ، وكانت مجلة « الكاتب » يوزع معظم نسخها بالجان وقليل منها يباع ، وبعد تعطلها ظهر أن كل من كان يتعاون فى اصداها كان من الشيوعيين وضبط معظمهم فى قضايا شيوعية •

وكان كاتبه الذى يعمل معه والدا لأربعة من الشيوعيين ومن أعضاء الحركة الديمقراطية لتحرر الوطنى النشيطين • وحتى فراش المجلة « حسن معوض » فقد كان من الشيوعيين النشيطين •

استفادت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني من نشاط أنصار السلام فائدين ، الأولى التطفل في أوساط الجماهير وتجنيده أكبر عدد ممكن من العناصر التي تصلح للنشاط السرى ، والثانية الدعاية ضد الحكومة بطريقة ملتوية اذ تقدم على صفحات مجلاتها مطالب للحكومة ، قد تعجز عن تنفيذها لأسباب لا يلمسها الجمهور ، فتظهر أمامه بمظهر العاجز .

ورغم ضبط أنصار هذه الجماعة من الشيوعيين وتفتيت نشاطها ، والتجاء يوسف حلمى لنشاطات أخرى مثل تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية مع أعضاء حدتو وبعض شباب الوفد . ثم هروب يوسف حلمى الى أوروبا حيث اتصل باليهود من أعضاء حدتو الذين حرضوه على كتابة خطاب مفتوح للرئيس الراحل ونشرته حدتو ضمن مطبوعاتها ، يطالب فيه بالصلح مع اسرائيل وأن يعيش اليهود والفلسطينيين معا في دولة واحدة وفي سلام .

واستمر نشاط مجلس السلام العالمى وكان من أعضائه السيد / خالد محيى الدين وكانت أيضا من أعضائه السيدة / سيزا نبراوى يمثلان المجلس القومى المصرى للسلام ومن الملاحظات التى نذكرها عن اجتماعات مجلس السلام العالمى فى أوائل عام ١٩٦٢ ما يلى :

● فى اجتماع استوكهولم استبعد المجلس بعض قرارات دورة اللجنة التنفيذية للتضامن الآسيوى الأفريقى التى كانت قد انعقدت فى غزة ، وهذه القرارات خاصة بتحرير فلسطين بحجة أن هذا القرار يثير التوتر الدولى فى المنطقة .

● اقترح بعض أعضاء حركة السلام العالمى فى اجتماعات هلسنكى تكوين مؤتمر القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية . وأثير بين المجتمعين سؤال عما اذا كانت تعطى الأولوية لحركة السلام العالمى أم لحركات التحرر الوطنى فى القارات الثلاث . وكان رأى مندوب الاتحاد السوفىيتى أنه يجب تجنب الحرب العالمية على أساس التعايش السلمى مع الدول القريبة ، بينما رأى مندوب

الصين الاستمرار في الحرب التحريرية باعتبارها حربا مقدسة • وانضم الى
الرأى السوفييتى المندوبان المصريان وانضم الى الرأى الصينى أعضاء سكرتارية
التضامن الآسيوى الافريقى باستثناء مندوب الهند ، أما مندوبا العراق والجزائر
فلم ينضموا الى رأى معين •

● أثير اقتراح بمجلس السلام العالمى يقضى بإقامة مؤتمر لنزع السلاح
والسلام ، وطلب عضو السكرتارية الصينى اضافة عبارة « والاستقلال الوطنى »
الى اسم المؤتمر فرفض مجلس السلام العالمى الفكرة •

وهذه هى دولة السلام التى تشدقت كثيرا بهذه الكلمة وأقامت المؤتمرات
ونشرت دعاية السلام فى ربوع العالم تظهر على حقيقتها فهى لا تريد حروبا
تحريرية وتفضل التعايش السلمى والسلام ونزع السلاح من جميع الدول
ما عداها •

وبهذا يمكن أن نفسر موقفها من حملة السلام الأخيرة التى قامت بها مصر ،
فالمسألة ، مبادئ ثابتة وأهمها المياه العكرة وخراب الدول وهى لا تعيش الا فى
هذا المحيط •

وضع المسلمين في الإتحاد السوفيتي

ما لوجع التاريخ للمشاعر اذا ظل حيا في قلوب الناس يذكرهم بالماضي وينسى الأحداث السعيدة . فما بالك اذا كان تاريخا قريبا ما زالت أحداثه مستمرة ، تتصل بفريق من بني الانسان لا يدرى الناس شيئا عنه ، فهم يعرفون قليلا جدا عن المسلمين الذين سكنوا وما زال أكثرهم يقطنون في مناطق واسعة من جنوبي شرق روسيا ووسط آسيا ويعيشون الآن تحت الحكم السوفيتي .

ومن النادر أن نسمع عن أمم مثل التتار والباشكير والتركمان والغازان والازبك وغيرها وبعض المتخصصين يقدر عددهم بعشرين مليون نسمة تالفت أرواحهم بدخولهم في دين الاسلام .

ومن العسير أن نستقصي على وجه الدقة موقف هؤلاء المسلمين في الوقت الحاضر في الاتحاد السوفيتي ، ما لم نضع في أذهاننا عددا من الحقائق التاريخية الهامة .

● ان العلاقات بين الشعوب الاسلامية والروس ليست علاقات حديثة ، بل هي علاقات قديمة قامت منذ قرون . فقد اقامت في اجزاء كبيرة في جنوب روسيا ، اقوام من اصل غير سلافي وكانت اغلبها تدين بالاسلام .

● لقد مارست القيصرية الاستعمار القديم مع هذه المناطق . ويسجل التاريخ صورا متنوعة من المارك والمناوشات والهدنات والحنث بالوعود في النزاع الطويل بين الشعوب الاسلامية وبين السلاف .

وقرابة نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن التالي له ، إغار المغول بقيادة جنكيز خان على أواسط آسيا ووصلوا الى كييف ودمروها تماما ، ثم اصطلموا فى أواسط أوروبا بالفرسان الالمان انحصرت موجة الهجوم المغولى وارتدوا على أعقابهم . وبقيت جماعات منهم ومن التتار والباشكير وهنا عرف باسم القبائل الصفراء ، فأقامت فى حوض نهر الدون وهو أسفل نهو القوبلا واعتنق بعض خانات المغول وغيرهم الدين الاسلامى . وفى مدى مائة عام أصبح أكثر القبائل الرئيسية مسلمين .

وفى عهد تيمور لنك ، أصبحت مدينة سمرقند مركزا للحضارة والفن الاسلامى وأصبحت مدن أخرى مثل بخارى وطشقند مراكز للتعليم الاسلامى ، وفى القرن الخامس عشر كان الإسلام قد استقر حول البحر الأسود فى القرم وفى كل جنوب روسيا وامتد تجاه الجنوب الشرقى حتى جبال الناي .

ثم توالى هجمات الروس على هذه المناطق حتى تمكنوا فى عهد بطرس الأكبر من تثبيت قدمهم قرب البحر الاسود ، وقاوم القوقاز الذين يعشقون الحرب ومعظمهم من المسلمين . وسقطت بين يد الروس مدينة طشقند وأصبحت عاصمة لمقاطعة تركستان وسقطت بعدها مدينة سمرقند وتحولت بخارى الى محمية روسية .

وفى عام ١٨٧٦ سقطت مدينة قوقند وأصبح للروس بعد هذه الحروب امبراطورية استعمارية واسعة أخضعت لها كل مسلمى وسط آسيا وفى أعقاب الميوش الروسية ، جاء التجار والاداريون الروسيون . وبدأت اجراءات التحويل الى الصبغة الروسية وكانت هذه الاجراءات عنيفة فى بعض الاحيان مما أدى الى هجرة عدد كبير من تار القرم الى تركيا ، وهاجر مثلهم الشراكسة والشيشين من القوقاز . وأقام الروس فى المناطق المحتلة مثل كازاخستان وغيرها واستولوا من الأهالى على أخصب أراضيهم .

الا أن المسجل تاريخيا أن روسيا القيصرية لم تتدخل بوجه عام في الحالة الاجتماعية والدينية لرعاياها الجدد من المسلمين . فكان للطائفة الاسلامية حرية دينية . احترمت مساجدها وواصل المعلمون الدينيون من أهل الملة عملهم . وكانت الشريعة الاسلامية تطبق على المسلمين .

وفي عام ١٩١٧ ظهرت في الوجود عدة جمهوريات قومية مستقلة منتهزة فرصة هزيمة الروس في الحرب العالمية الاولى .

الا أنه في ٧ نوفمبر قامت ثورة البلاشفة ، ومن أهدافهم تحرير كل شعوب العالم من عبودية القوى الاستعمارية .

وفي ٧ ديسمبر ١٩١٧ أصدر مجلس نواب الشعب البولشفي نداء الى مسلمي روسيا والشرق وبه الفقرات الآتية :

« من الآن فصاعدا نعتبر ديانتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة لا تمس ، شيدوا حياتكم القومية بحرية ودون عقبات ، ان حقوقكم تحميها الثورة بكل قوتها وبكل اجهزتها . وللك اينوا هذه الثورة وحكومتها » ، ووجه هذا النداء ايضا الى المسلمين في الشرق ، والفرس والأتراك والعرب والهندوس مضافا اليه « ان مبادتنا هي تحرير الشعوب المقبونة في العالم ، نحن في سبيلنا الى احياء العالم وتحريره . ننتظر منكم المطف والتأييد » .

وخلال تلك الفترة أكد لينين في خطبة له « ان الشيوعيين يقرون بقدسية المعتقدات الدينية وعادات المسلمين ويعترفون بصلاحية الشريعة » وحاول ستالين ان يؤكد للمسلمين « ان الحكومة السوفييتية تعتبر ان للشريعة نفس ما لقوانين الناس الذين يعيشون في روسيا من صلاحية وقوة » .

وفي يناير ١٩١٨ أنشأت الحكومة السوفييتية قوميصرية لشتون المسلمين ونظمت قوميسيريات للمسلمين المحليين « ادارات » - وأعيد للمسلمين مصحف عثمان وتم ترميم مسجد كرافان سرلي الخاص بالباشكير في أورنبرج وجورج

سبكي في قازان ولم تنس الحكومة السوفيتية اقامة مكتبة مركزية لمنظمات الشيوعيين المسلمين ، لبت الدعاية بكل لغات المسلمين ، واصبح لدى عدد منهم الأمل في أن تحصل بلادهم على استقلالها الحقيقي .

وانتصر البلاشفة في حربهم مع الجيوش البيضاء في يوليو ١٩٢٠ . وفي نفس الشهر ما بين ١٩ يوليو و ٧ أغسطس من نفس السنة دعى المؤتمر الثانى للكونغرس الدولى للانعقاد في باكو .

وقد اختيرت باكو بصفة خاصة لتوسيع الحكم الشيوعى نحو الشرق ، ولحطب ود المسلمين وكسب تأييدهم ، ليس في روسيا فحسب ، وانما في ايران وتركيا والعراق والعالم العربى . وسار كل شئ في المؤتمر على ما يرام ، حتى اليوم الاخير منه عندما كشف الرفيق سكانشكو عن خبيثة الأمر وأعلن « ان الزعماء الدينين للمسلمين كالتفيليات وباغون ويجب حرمانهم من اراضيهم » ووصفهم « بأنهم ينتهكون الحرمات ويشوهون قوانين دينهم » وطالب « بأن ينزع عن وجوههم هذا القناع المقدس ، وأن تصدر جميع الاراضى المتعلقة بالمنشآت الدينية » .

وبعد استيلاء السوفييت على السلطة في طشقند ، رفضوا أن يجيبوا ملتزم المسلمين بأن تسير شئونهم المدنية وفقا للشريعة الاسلامية . ومع ذلك استطاع المسلمين في قوقند أن يقيموا حكومة ذات استقلال ذاتى ، وطالبوا الحكومة السوفيتية بالاعتراف بالحكومة المؤقتة لتركستان باعتبارها الحكومة الوحيدة . وطالبوا بحل حكومة السوفييت في طشقند لأنها تعتمد على عناصر أجنبية معادية لجمهرة الأهليين بالبلا . وكانت اجابة حكومة بتروجراد مائة . وفي يناير ١٩١٨ أرادت حكومة قوقند أن تعقد الجمعية التأسيسية لتركستان وأعلن السوفييت في طشقند أن حكومة الاستقلال في قوقند حكومة بورجوازية واستدعيت فرق الحرس الاحمر ، فحاصرت مدينة قوقند وهلك أربعة ألف شخص في المذبحة التى أعقبت الحصار .

وبمثل ذلك تم سحق جميع محاولات المسلمين لاقامة جمهوريات ذاتية .
وسجن وقتل كثير من زعماء المسلمين وخطبائهم . وكان من بين الضحايا المفتى
كاراكايسكى من تاتار القرم ، وكانت جريمته انه ارسل الى الحكومة السوفييتية
احتجاجا على قتل المسلمين من اهل الملة بالجملة فى القرم .

واعيد تنظيم جمهوريات الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٢٥ وفى الاقاليم
التي يغلب فيها المسلمون ظهرت جمهوريات تحت الاسماء التالية :

« ازوبيجان - ازبكستان - تادفيكستان - كازاخستان - كيرغستان » .

وبعد أن وطد السوفييت اقدامهم فى اراضى المسلمين ، بدأوا فى حربهم
العنيفة ضد الاسلام باعتباره ديناً . وكانوا ينظرون اليه فى مبادئهم مثل غيره
من الأديان ، كخزعبلات غير ذات جدوى ، فضلل عقول الناس . ووصلوا الى ذلك
بكل الوسائل مثل التشريع والاورام الادارية والتهديد بالقوة والقوة نفسها
وأخيرا وليس آخرا بالدعاية للشيوعية .

**كيف توصل السوفييت فى حربهم للدين الى النتيجة التي هدفوا اليها
وهي استئصال الاسلام ؟**

كانوا وما زالوا يعرفون أن الأسس التقليدية التي بنى عليها المجتمع
الاسلامى هي ثلاث أسس :

الوقف أو الاملاك الموقوفة .

الشريعة .

نظام التعليم الدينى .

لذلك فقد بدأوا باعطاء حق ادارة الاموال الموقوفة واستخدام ريعها الى
ادارة التعليم السوفييتية وذلك بمرسوم أصدرته اللجنة التنفيذية المركزية

الجمهورية تركستان في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٣٠ كانت الحكومة السوفييتية قد جعلت الوقف غير قانوني في وسط آسيا .

والركن الثاني من أركان المجتمع الاسلامي الذي أراد السوفييت ازالته هو الشريعة الاسلامية ، فقد ألغت القضاء والمحاكم الشرعية وصدرت المراسيم واحدا بعد الآخر باختصاص محاكم الشعب بكل القضايا الشرعية .

وفي عام ١٩٢٣ استولت الحكومة نهائيا على كل الاعتمادات المالية اللازمة لقيام المحاكم الشرعية . وعندما حل عام ١٩٢٦ كان آخر المحاكم الشرعية في اقليم جمهورية تركستان قد اختفى . وفي عام ١٩٢٧ أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية قرارا يقضى بحل كل المحاكم الاسلامية القائمة في الدولة السوفييتية وتحريم انشاء محاكم جديدة .

ووجهت الضربة الثالثة الى التعليم الاسلامي . فقد كان المسلمون يتحملون عبء تعليم صغارهم في روميا القيصرية . اذ كان للأهالي في تركستان ٩٧ مدرسة ابتدائية يتروّد عليها نحو ثلاثة آلاف طفل ، ٧٢٩٠ مكتبا (كتابا) يتلقى فيها ٦٩٨٦٤ طفلا التعليم الاول . و ٢٧٥ مدرسة تضم ٩٦٢٧ تلميذا يتلقون العلوم العربية .

وكان الأهالي يبذلون الجهد في تعليم النشء من موارد الاملاك الموقوفة على التعليم ، فلما استولى السوفييت على الوقف ، امتنع هذا المورد واضطرت هذه المدارس الى اغلاق أبوابها . وقضت الحكومة السوفييتية بذلك أيضا على المؤسسات الاسلامية للتعليم العالي .

ومع ذلك فان هذه الهجمات العنيفة ضد أسس الحياة الاسلامية العادية ، لم تؤد الى ترك المسلمين لدينهم على نطاق واسع . وحتى حالات التحول الفردية عن الدين كانت نادرة نسبيا .

ان حرية العبادة الدينية حق معترف به لكل مواطن في الاتحاد السوفييتي. وكذلك فان حرية الدعاية ضد الدين مكفولة لأي مواطن . وبينما العبادة الدينية ومواصلة المراسم تتوقف على القوة الروحية والمساهمة المادية للمصلين ، فان الدعاية المضادة للدين تجري بتأييد الحكومة ومعرفة هيئات رسمية وتضع الحكومة تحت تصرفها أموالا غير محدودة . واستخدم السوفييت كل قوة الحكومة السوفييتية في اخماد الدين واضطهاد أتباعه المخلصين في بداية الحرب ضد الدين ، أنشأت الحكومة دارين من دور النشر :

• « يوزربوشنيك » ومعناها « لا يؤمنون بوجود الله » •

• « الاتيست » ومعناها « اللحنون » •

وعلى الدارين هو اضعاف الدين ، بأية وسيلة ممكنة بالسخرية والتحقير والاتهامات الباطلة وما يسمى بالاكشافات العلمية التي يبدو أنها تتعارض مع مبادئ الدين . وكان يقود هذه الدعاية « اتحاد المقاتلين اللاربانين » وهي هيئة تديرها الحكومة وتمولها •

— ومن أمثلة مطبوعاتهم ومنشوراتهم التي لا تحصى ما يأتي :

● ظهر في ١٩٢٠ في صحيفة حياة الشعوب مقالة عنوانها « القرآن والثورة » وترمي الى عرض الطبقة في الاسلام ، وخداع قادة المسلمين ونشاطهم المعادي للشعب •

● ظهرت في نشرة « الشرق الأدنى » واستمرت حتى ١٩٣٠ وكانت تشتمل الى جانب الموضوعات الصحيحة مقالات كثيرة مضللة عن الدين •

● كانت الدعاية المضادة للاسلام ينشر معظمها في الفترة الاولى باللغة الروسية ، الا أنه في عام ١٩٢٥ ظهرت مجلة تسمى « فن أم دين » باللغة التتارية وكانت تنشر الافكار والنظريات الخادية في الشرق الباشكيري والسوفييتي •

● نشرت عدة كتب من أهمها مؤلفات « لوشيان أ. كليوفيتش » ، وكان من أكبر الدعاة ضد الاسلام - ومن كتبه محتويات القرآن عام ١٩٢٨ ، وجاء به عرض لا في القرآن من متناقضات كما يدعى ، وأكد أن القرآن كتب لمصلحة المستغلين الذين يخضعون الناس لهم بدون قيد أو شرط ، مخلوعين بأمل غامض في حياة سعيدة مستقلة . ومن مقالاته في مجلة « الاتقييست » العدد ٥٣ سنة ١٩٣٠ عن الحج مصاص الدماء في الاسلام وسنة ١٩٣٣ نشر كتيباً بعنوان « ضد الصيام » وفي كل مقالاته وكتبه يهاجم المسلمين بعنف ويصف أعيادهم وعاداتهم بأنها سامة ويسخر من الطقوس الدينية الاسلامية .

● ذهب كتاب آخرون الى أبعد من مجرد السخرية والهزء بالاسلام والمسيحية ، فأنكروا وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام.

ويستمر تأكيد الدعاية الاتحادية والمضادة للاسلام والمسيحية في الصحف ومحطات الاذاعة حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية .

وجدت الحكومة السوفييتية ، بعد قيام الحرب أنه من الحكمة أن تخفف من ضغطها على الجماعات الدينية ، فتم الاتفاق بينها وبين الزعماء المسلمين ووعدت الحكومة بعدم الدعاية ضد الاسلام وعدم التدخل في الشؤون الدينية ووعد المسلمون من جانبهم بتأييد القتال ضد الغازي الاجنبي . وفي عام ١٩٤٢ سمحت الحكومة باعادة فتح بعض المساجد والمدارس الدينية ، كما أمرت بعودة الزعماء الدينيين الذين كانوا منفين في معسكرات العمل في سيبيريا وما زالوا على قيد الحياة وهم قلة .

وهكذا حصلت الهيئات الدينية ، على هدنة بأمل الوصول الى اتفاق دائم للتعايش السلمي مع الشيوعيين ، ووعد السوفييت بتنفيذ هذه الاتفاقيات باخلاص تام . وبرهانا على ذلك سمحوا بإنشاء ادارة رئيسية للشؤون الدينية الاسلامية وأصبحت يوتا وطشقند مركزين لهذه الادارة وسط روسيا اسييريا ووسط آسيا وكازاخستان على التوالي ، وبإنشاء هيئة ماثلة في القوقاز تشرف على ازريجان .

ومع ذلك فإن الشيوعيين عينوا المفتي رئيسا للهيئة الادارية فبقيت ادارة شئون المسلمين تحت ادارة الحكومة مباشرة .

وبينما كانت هذه الاجراءات تشير الى علاقة جديدة بين الحكومة السوفيتية ورعاياها المسلمين ، اذ انحاز عدد من المسلمين الى جانب العدو ، فقامت الطامة واعملت الحكومة القتل في المسلمين بالجملة ونفت جماعات بأسرها خارج ديارهم والى سيبيريا حيث قضى عليهم الجوع والمرض والبرد والعمل الشاق ٩ وكان ذلك مصر جمهوريات الشيشين والانجوش والكابار داي بولكر والكارتشاي عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٤ وأما تثار القرم فقد استؤصلت شباقتهم أجمعين وألحقت القرم بجمهورية أوكرانيا واستقر السلاف في أراضيها .

بينما كان كل ذلك يجري ، كان مندوبوا السوفييت يعلنون في مؤتمر سان فرانسيسكو بمنتهى الورع حقوق الانسان في حق تقرير المصير والحرية الدينية والحياة الطيبة . ولم يسمع العالم عن مصر هؤلاء الناس لأعوام طويلة الا من الشائعات التي انتشرت ، وكان من أثرها أن جاهد بعض المسلمين في البلاد الاسلامية ومنهم أحد أمراء مصر - بعد الحرب مباشرة - في ترحيل عدد كبير من الفارين من هؤلاء الى بعض البلاد العربية .

وفي عام ١٩٥٧ صدر قرار من المجلس الاعلى للسوفييت يسمح بعودة المسلمين المنفيين الى أراضيهم الأصلية . وهكذا بعد حوالي أربعة عشر سنة ، عرف المصير المروع الذي حدث لهؤلاء الناس من سوء الحظ ، ولكن واحسرتاه . فقد مات أغلب المنفيين . ومن عاد منهم وجدوا أراضيهم قد احتلها السلاف . ولم يكن لصدور هذا القرار سوى أسباب دعائية حتى يؤثر في المسلمين خارج نطاق الاتحاد السوفيتي ، ويثبت أن السوفييت أصدقاء للمسلمين والاسلام .

وأكثر من ذلك ، تضمن برنامج خروشيشفيف لزراعة الاراضي البكر في وسط آسيا ، ارسال آلاف من أعضاء الكومسومول « رابطة الشيوعيين الشباب »

الى كازاخستان ووجه خروشيشفينف نداء الى نصف مليون شاب ليقيموا في هذه المناطق . كما أرسلت الحكومة فرقا كاملة من الجنود المسرحين وضباطهم في عام ١٩٥٥ الى جمهوريات آسيا لاحتلال الاراضى .

ذكرنا أن الحركة توقفت ضد الاسلام وقادة المسلمين بعد نهاية الحرب . وكان على رجال الدين الاختيار بين التوقف عن النشاط الدينى بأجمعه ، أو الرضوخ لمطالب النظام القائم . ورفض كثيرون من أعضاء الإدارة الدينية ، أن يعمل فى هذه الظروف ، وعادوا الى الحياة الخاصة . وقرر آخرون أن يستفيدوا من الفرصة مهما كانت ضئيلة ، ليخدموا عقيدتهم وقومهم . وعلى هذا الأساس ، بنيت العلاقة بين الشيوعيين وبين زعماء المسلمين . ومعظمهم يعملون تماما أن الشيوعيين كانوا ولا يزالون أعداء للاسلام والمسلمين . ومع صعوبة هذا الوضع فقد حاول المسلمون بكل الوسائل ، الإبقاء على روح الاسلام ، على أن يدفعوا الثمن غاليا . فالشيوعيون لا يتركون فرصة لاستغلالهم فى أوجه الدعاية وخاصة فى مجال العلاقات الخارجية التى ترمى الى خديعة العالم الخارجى ومن ذلك ما يأتى :

● عندما بدأت حملة أنصار السلام ، نادى زعماء المسلمين السوفييت اخوانهم فى العالم الاسلامى لتوقيع نداء السلام .

● اختيار بعض زعماء المسلمين ، لتمثيل المسلمين فى روسيا لدى المؤتمرات الدولية حيث يلتقون بوفود المسلمين من أنحاء العالم ، وعليهم أن يؤكدوا صداقة الشيوعيين للمسلمين ، وأن الشيوعية سبيل من سبل الحياة التى رسمها الله .

● اختيار عدد ضئيل جدا لا يتجاوز عشرين شخصا من المسلمين ، لتأدية فريضة الحج كل عام ، مارين بالجمهورية العربية المتحدة ، ليرى العالم مدى التسامح فى ممارسة الفروض الدينية .

وفى هذه الفترة ، وجهت الدعاية ضد الدين والاسلام بطريقة أكثر ذكاء .
 فبعد اشراف « جمعية المحاربين للمحدين » على هذه الدعاية ، أصبحت مقطّاة
 برداء أكثر احتراماً . اذ أنشئت جمعية كل الاتحادات لنشر المعرفة العلمية
 والسياسية بالإضافة الى أنه فى كل جمهورية اسلامية ، توجد ادارة للشئون
 الثقافية ولها فروع فى كل قرية . والاتجاه السياسى لهذه التنظيمات هو الدعاية
 ضد الدين .

ومن الحقائق الثابتة ، ما حدث بعد موت ستالين اذ اعتقد المسلمون انهم
 مقبلون على فترة مختلفة الا أنهم ووجهوا بالسياسة الآتية :

فى ١١ ديسمبر ١٩٥٣ أصدر خروشيشف قرارا نشر فى برافدا عبر عن
 السياسة المقبلة للحكومة السوفيتية تجاه الدين وطالب بزيادة التعليم الشيوعى
 واقترح وسائل جديدة للتعليم للضاد للدين ، وكتب أن هذا العمل يمكن أن
 يكمل بالنجاح فقط ، عندما يتلقى الدين ضربة قاضية وعسلا ينسحق تأثير
 الاسلام وغيره من الأديان الى الأبد من شعوب الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.

وزادت منذ ذلك الحين الدعاية المضادة للدين فى الجمهوريات الاسلامية
 تنشر سمومها بين الكبار والصغار رجالا ونساء ، حتى فى رياض الاطفال ومن
 أمثلة ذلك : ذكرت البرافدا فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ ، أنه نظمت برامج اضافية
 من المحاضرات لنشر الموضوعات المضادة للدين فى كل المناطق التى يسكنها
 المسلمون وأغلب المحاضرات من أعضاء الحزب الشيوعى . كما أقيمت معارض
 ثابتة ومتنقلة فى المدن والقرى تضم مطبوعات مختلفة مثل الاسلام والعلم
 والاسلام والفلسفة الفكرية الشيوعية توضح أن الاسلام رجعى مناهض للعلم
 وهو مجموعة من الخرافات . وكيف بدأ الدين وماذا يعنى . والأفكار العلمية
 تتعارض مع الدين وغير ذلك كما تمت الدعاية بصفة خاصة باطفال المدارس فى
 سن مبكرة . واشتركت الصحف الاقليمية فى هذه الدعاية ومنها صحيفة
 باكنسكى رابوتشى فى عددها ١٠ مايو ١٩٥٦ وصحيفة نادفيكستانا فى عددها
 ١٦ ابريل ١٩٥٦ ، ٢٤ أغسطس ١٩٥٥ فى صحيفة كيرفيزيا سوفيتسكايا التى
 تصدر فى تركستان ظهرت مقالة تحت عنوان « الدين يتعارض مع العلم » .

وفي فبراير ١٩٥٧ أثناء الدورة العادية العامة للجنة المركزية للكمومسول
في موسكو اتخذ قرار يدعو الى تركيز العمل المضاد للدين بين الاطفال .

قدمنا هذه الأمثلة القليلة لتبيين الاتجاه العام في مناهضة الدين . وأما
بالنسبة للمساجد فان حاجة الدعاية تقضى بوجود واحد كنموذج ليرى الأجانب
أن الحرية الدينية تمارس في الاتحاد السوفييتي . فمثلا كان يوجد في بخارى
أكثر من خمسين مسجدا قبل الحكم الشيوعي ولم يبق منها اليوم سوى واحد
فقط . وعندما جمع الناس المحليون مساهمات لصيانة مساجدهم ، منعوا من
استخدام الأموال لهذا الغرض واعتبرت غير انتاجية .

ورغم هذه الجهود من جانب الشيوعيين فان أغلبية كبيرة من المسلمين ظلوا
على ايمانهم . ولم يستطع الشيوعيون تحطيم الاسلام ورغم تعرض الشباب
طوال حياته للدعاية الملحة فقد بقيت جذور الاسلام في قلوبهم . وفي
٢٢ ديسمبر ١٩٥٥ صدرت صحيفة برفادا للشباب وبها مقالة تأسف فيها بشدة
على أنه في تركمنستان ما زال الناس يذهبون للمساجد ويحتفلون بالاعياد
الدينية ، ليس الرجال والنساء من الجيل القديم فقط وانما تلاميذ المدارس أيضا
والشبان في المزارع الجماعية ، وما زال الزواج يتم الاحتفال به وفقا للعادات
الدينية وطالبت الصحيفة بوجوب العناية بالدعاية المضادة للدين .

ويضطر السوفييت الى بعض التسامح تجاه الاسلام حتى يضلوا المسلمين
خارج الاتحاد السوفيتي ، خاصة وقد انتشرت الدعاية ضد الشيوعيين بأنهم
ملحدون ، ومن هنا اتخذ الشيوعيون في البلاد الاسلامية موقفهم المضلل مدعين
بأن الاسلام لا يتعارض مع الشيوعية .

هنا في مصر

يكفى أن نسوق بعض النماذج التي تكمل موضوعنا :

فقد عرف فضيلة الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف رحمه الله • بأنه كان يقف للشيوعيين والشيوعية بالمرصاد ، وقد أعلن في يوم أنه سيبذل الجهد في مكافحة الشيوعية ، وتنم الشيوعيون في هذه الحملة ووجدوا في مجلة روز اليوسف مرآة لحملتهم فنشرت في أعدادها ٢١ يونيو ١٩٧٦ ، ٢٨ يونيو ١٩٧٦ ، ٥ يوليو ١٩٧٦ مقالات متوالية نبينها فيما يلي :

كتب المحرر عبد الله امام تحت عنوان « كل المسلمين يسار » وليس في الاسلام « رجال دين » واضح من المقال انه انتزعه في حوار مع فضيلة الشيخ الحنيف ، بتصريحات لوى عنقها فبلت وكان الحديث عن يسار مجهول ، وعلى القارىء أن يفهم من المقال انه يقصد الشيوعية •

● مقال بعنوان كبير باللون الأحمر « جمعية المنتفعين بتطبيق الشريعة الإسلامية • واليسار يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية لكن كاملة » كتبه الدكتور عبد العظيم رمضان في رسالة جامعة استعرض فيها بحق مدى مقدرته القانونية والتاريخية وكتب عن الأزهر انه رشح فاروق امرا للمؤمنين وانه وقف يؤيد بكل قوته هذه الفكرة • والمقال ممتع حقا ومغلف تغليفا جيدا ولكنه يترك اثرا لدى القارىء العادل انه مهاجمة للأزهر •

● وفي المقال الثالث تحت عنوان « فلنقطع هذه الأيدي القلرة » كتب عبد الرحمن الشرقاوى انه تحت راية مكافحة الشيوعية ثم تحت راية مكافحة قوى اليسار كله باسم حماية الاسلام وباسم حماية القيم الدينية والروحية

ذبحوا آلاف المسلمين ثم آلاف المسيحيين وذبحوا اللاجئين الفلسطينيين ، « ويقصد الكاتب ما حدث في لبنان » ويستطرد « يا عارنا نحن العرب ان لم يعظنا طوفان الدم وان لم نواجه المؤامرة وان لم ننتبه لخطر هؤلاء المضللين أو المخدوعين الذين يتفرغون هنا أو هناك لمكافحة الشيوعية واليسار باسم حماية الدين » .

كل هذا كتب في مجلة واحدة وخلال نصف شهر لان شيخ الازهر أعلن أنه سيتفرغ لمكافحة الشيوعية .

يتخفى بعض الكتبا بأحيانا في مسوح الوعاط ، ويكتبون المقالات البرينة التي تبعد عنهم الظن من أن لهم عقيدة أخرى غير الشيوعية ، بل يبالغ بعضهم فيكتب عن الدين ، وعن الوطن والأرض ، حتى ليدخل في روع الناس ، أنهم أتقياء صالحين . ولكن هؤلاء يكشفون عن هويتهم فجأة ، عندما يرفع رجل شجاع ، علم الحرب على عقيدتهم ، فيصفونه بأنه من المضللين أو المخدوعين ، وينسون لحظة أن لهم تاريخا طويلا من التضليل والخذاع .

السلسلة السوفيتية في الشرق الأوسط وأفريقيا

لنعرف الأمور من جذورها ، لا بد من أن نرجع الى الوقت الذي قامت فيه الثورة البلشفية ، فمنذ ذلك الحين سارت سياسة الاتحاد السوفيتي دون هواده في طريق الغزو وازدياد النفوذ وخاصة في بلاد الشرق الأوسط وأفريقيا التي مهدت لنفوذها فيه منذ قيام الثورة •

وقد حاول الشيوعيون دائما عن طريق احتضان الموضوعات التي تستهوي الشعوب ، أن يستغلوا أو يسيطروا على الحركات القومية والتحريرية التي قامت بها للتخلص من نير الاستعمار الغربي ، أو الحركات الإصلاحية غير الشيوعية في الدول المتخلفة أو النامية أو المستقلة حديثا • وشنوا دعايات واسعة النطاق هاجموا فيها كل علاقة تقوم مع العالم الغربي ، وكل محاولة للغرب لتقديم معونة لهذه البلاد تؤدي الى ايمانها أو احياء اقتصادياتها ، ويمانون في ذلك ، الشيوعيون المحليون الذين يقومون بانارة القلاقل والاضطرابات والاحتجاجات العامة الأخرى ضد سياسات الحكومات الشرعية •

وانا لنذكر مطمعا سوفيتيا بدا في عام ١٩١٨ عندما كتب ترويانوفسكي احد قادة الثورة الروسية بيانا يقول فيه « يجب لنجاح الثورة في الشرق أن تكون حكومة فارس أول دولة يقهرها السوفييت ٠٠٠ يجب أن تكون فارس لنا مهما كلفنا ذلك من ثمن » •

وقام الجيش الأحمر عام ١٩٢٠ بغزو شمال ايران بحجة تعقب فلول قوات الروس البيض ، ومواجهة القوات البريطانية الموجودة بجنوب ايران والعراق ، واقام الشيوعيون حكومة رسمية في مقاطعة علي شاطيء بحر قزوين ، الا أن

السوفييت قرروا الرجوع عن هذه المفامرة لأسباب مختلفة ووقعت الدولتان معاهدة صداقة فى عام ١٩٢١ ، على أنه لم يتم جلاء القوات السوفيتية نهائيا الا فى عام ١٩٢٧ .

وفى خلال السنوات العشر التالية ، ركز الثوريون المدربون فى موسكو جهودهم فى تنظيم جماعات من الفلاحين والعمال ، وفى نشر الشيوعية بين المثقفين الايرانيين . وفى عام ١٩٣٨ حكم على خمسة أشخاص ايرانيين بالسجن لمزاولة النشاط الشيوعى والحصول على أموال من الاتحاد السوفيتى .

وتمكن هؤلاء وغيرهم من المحرضين من تكوين فريق شيوعى منظم . وفى اغسطس ١٩٤١ دخلت القوات السوفيتية والبريطانية ايران ، وتمكن الشيوعيون الذين أخرج عنهم من تكوين حزب « توده » وهو الحزب الشيوعى الايرانى المعروف .

وفى عام ١٩٤٣ كان حزب توده يصدر ثلاث صحف يومية فى طهران . ونظم اتحادا للصحف باسم « جبهة حرية » وتسلسل الى نقابات العمال الرئيسية ، وكان يعمل على عقد جبهة مع الأحزاب غير الشيوعية . وتغلغل فى دوائر الحكومة والنقل والمواصلات . غير أنه لحسن الحظ لم ينجح فى السيطرة على الوزارة الايرانية أو الجيش أو البوليس . وظل حزب توده يواصل نشاطه السرى لتهديد استقلال ايران ، وقام بثورة مسلحة فى مقاطعة ازربيجان وكردستان الايرانية فى عام ١٩٤٥ وأعلن الحزب استقلال هاتين المقاطعتين الايرانيتين وقامت القوات السوفيتية باحتلالهما . الا أنها جلست عنهما فى مايو ١٩٤٦ بالتوصية من الأمم المتحدة .

وقد ضربنا هذا المثل لنعلم مدى رغبة السوفييت فى التوسع الاقليمى منذ قيام الثورة البلشفية .

نظرية جديدة للشرق الأوسط

فى شهر نوفمبر ١٩٦٠ اجتمع فى موسكو ، واحد وثمانون حزبا من الأحزاب الشيوعية والعمالية وأصدرت بيانا عن اجتماعها ، اعتبر دلالة على مرحلة جديدة للحركة الشيوعية العمالية •

ولم يحدث منذ المؤتمر السابع للكونغرس عام ١٩٣٥ ، أن عقد مثل هذا الاجتماع للشيوعيين من أنحاء العالم •

ولم يضم الكونغرس سوى تسعة أحزاب شيوعية أوربية ، كما ان البيان الصادر فى مؤتمر نوفمبر ١٩٥٧ لم توقعه سوى الأحزاب الشيوعية الحاكمة فقط •

اعتبر بيان مؤتمر نوفمبر ١٩٦٠ ذى أهمية كبرى بالنسبة الى بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ولا سيما بلدان الشرق الأوسط •

كان غرض الاجتماع الوصول الى حل الخلافات الخطيرة التى أثرت بين الحزبين الروسى والصينى والمؤيدين لكل منهما ، تلك الخلافات التى أدت الى معاركة فكرية تسببت فى النزاع بين الأحزاب الشيوعية المدينة والمنظمات الدولية • ومما له دلالة خاصة ، أن السياسة السوفيتية التى عرضت على مؤتمرين سابقين ، تدعو الى نبذ نظرية لينين القائلة « بأن الحرب لا يمكن تجنبها » • ودعى المؤتمران الى التعايش السلمى • وخفف المؤتمر الأخير أيضا من حدة النظرية اللينينية ، اذ نص البيان الصادر عنه على انه بعد انجاز شروط عديدة منها أن يصبح الاتحاد السوفيتى أقوى دولة صناعية وبعد أن ينهار النظام الاستعمارى تماما ، فإن

الفرصة ستكون مواتية للقضاء على خطر الحرب العالمية في حياة الشعوب ، وإلى جانب هذا فهناك نقطة هامة هي التفرقة التي وردت في البيان بين الحروب الأهلية والمحلية ، وبين الحروب العالمية •

وبناء على هذه السياسية قام السوفييت بتأييد الأنظمة البورجوازية ، مع ان تاريخ الأحزاب الشيوعية الآسيوية يسجل أمثلة متعددة لفشل الشيوعيين المحليين في تنفيذ التعليمات الخاصة بتكوين جبهة متحدة مع الطبقة البورجوازية الحاكمة •

ويبدو من البيان أن الحزب الشيوعي السوفيتي قد وكل إليه أن يتدخل بتدخلاً حاسماً في الحروب الأهلية المحلية أو الثورات ، عندما يكون من الضروري مقاومة الثورات المضادة التي تفتنى من الخارج •

ويقول البيان ان من الممكن جداً الحد من الحروب المحلية وان حكمة التدخل هي انه يحول دون صدام أجنبي وهذا هو السبب في أن السياسة التي رسمها البيان ذات أهمية خاصة في دول الشرق الأوسط •

في أزمنة الشرق الأوسط السابقة لم يتدخل الاتحاد السوفيتي ، برغم الضغط عليه من الصين والمناضلين في المنطقة – وحسبما ادعت بعض الأحزاب الشيوعية أن خروشيشفيف لم يتدخل خشية نشوب حرب نووية ، خاصة وقد حذر هـ ايدن من المساس بالبتروال الأوربي •

اختلف الموقف في تلك الآونة التي اجتمعت فيها الأحزاب الشيوعية ، فقد أصبح هناك تصوير جديد وهو « الدولة الديمقراطية الوطنية ذات السيادة » ، وصيغ البيان ليعبر عن النظام الذي تبلى الحركة الشيوعية العالمية استعدادها للتسامح معه ومساعدته كلما كان ذلك ملائماً ، وان على الشيوعيين أن يكافحوا بنشاط ضد الأعمال غير الديمقراطية وغير الشعبية التي تقوم بها الدوائر

الحاكمة - بينما يؤدون تلك الأعمال التي تدعم المكاسب التي تحصل عليها الشيوعية والتي من شأنها أن تنسف مراكز الاستعمار .

ونطالع في البيان انه في بلدان عديدة تأخذ الاتجاهات الفاشية اشكالا جديدة فهناك آلاف من المناضلين في سبيل قضية الطبقة العاملة ، يتعرضون للتعذيب في اسجون بالولايات المتحدة الأمريكية واسبانيا والبرتغال واليابان والمانيا الغربية واليونان وايران وباكستان والجمهورية العربية المتحدة والمراق والسودان ودول أخرى - ونقرأ في البيان بأن هذه الاتجاهات الفاشية في البلدان الرأسمالية غير الأوربية والتي تقع تحت النفوذ الاستعماري الأمريكي سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، مرتبطة بالاحتكارات الكبيرة ، وعلى هذا فواجب الطبقات العاملة في هذه البلدان أن توجه الضربة الرئيسية ضد نفوذ الرأسمالية الأمريكية وضد الاحتكارات الكبرى . وبهذه الكيفية توحد القوى الديمقراطية والشعبية تحت قيادة الشيوعيين . وهلمه القوى يمكن أن تضم البورجوازية الصغيرة والمتوسطة في المدن . وعندئذ يتيسر للشيوعيين أن يركزوا على تأمين المرافق الاقتصادية الهامة ، وأن يطالبوا باصلاح زراعى جنفرى وبتخفيض التسلع واستخدام الاقتصاد بأكمله في الأغراض السلمية ، ومن ثم فان حكومة شيوعية يمكنها أن تستولى على السلطة دون أن يجد الاستعماريون فرصة للتدخل .

وأوضح البيان أن درجة حدة البغضاء وأشكال الصراع الطبقي تتوقف على مدى المقاومة التي تبديها الدوائر الرجعية - وهناك في بعض البلدان الرأسمالية امكانية للاستيلاء على السلطة بدون حرب أهلية وتعتبر إيطاليا نموذجا واضحا لهذه الحالة وكذلك فرنسا .

واما اذا لجأت الطبقات المستقلة الى العنف ضد الشعب ، فان امكانية الانتقال الى الاشتراكية بدون العنف يجب ان توضع جانبا .

ومعنى هذا ، وتفسيرا له ، أن الأنظمة التي تكافح الشيوعية وتمنع المظاهرات التخريبية ، يجب أن تتوقع ثورة عنيفة تتلقى التأييد المادى والأدبى من الكتلة الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى . واذا أردنا أن ندرك الوضع الذى

يصوره البيان وأخذنا الاقليم السوري كمثال ، بعد الوحدة ، فان الحزب الشيوعي السوري في ذلك الوقت وجد في المظاهرات والاضرابات فرصة للاتحاد مع اية احزاب او جماعات أخرى ، وحاول أن يقيم نظاما وطنيا للحكم معاديا لمصر ثم كشف هذا التكتيك عن نفسه بالتدريج وظهر أنه تحت سيطرة الشيوعيين .

وقد سمح في ذلك الوقت لحالد بكداش أن ينشر مقالا في مجلة « العالم الشيوعي Communist world » وهي البديل الرسمي لصحيفة الكومنفورم وذكر فيه ان الوحدة المصرية السورية لا تقوم على أساس ، وان شعار الوحدة العربية يستغل لصالح القومية المصرية وهي تجسيد للسمات التوسعية للبورجوازية الكبيرة » .

والطريق الذي رآه الشيوعي الكردي الصميم ، هو أن تقوم جبهة تضم كل العناصر الوطنية والديمقراطية تعمل على الحذر من الاستعمار المصري من أجل الوصول الى سياسة وطنية تحررية حقيقية هدفها السلام والديمقراطية . وقد ردد بكداش نفس آراء خروشيشفيف التي عارض بها الوحدة متناديا « بالحذر الوطني » من مصر .

وفي تطبيق هذه السياسة يجب أن نمنع النظر في البيانات والتصريحات السابقة ، والمسائل التي اعتاد الماركسيون أن يجمعوها في أساليب غامضة ثم ينفونها كلها أمكن ذلك ، ويمكن تتبع السياسة الشيوعية نحو الشرق الى ما بعد ستالين .

ففي سبتمبر ١٩٥٣ اتخذت القيادة الجبائية خطأ سياسيا جديدا تجاه الأنظمة البورجوازية في آسيا وأفريقيا على أساس أن حركة التحرر والثورة ليس من الضروري أن تقودها الطبقة العاملة فان بلدا مثل الهند تتمتع باستقلال حقيقي .

ومضى حين من الزمن حتى أمكن تطبيق هذا المبدأ على الشرق الأوسط .
فقد كتبت الحيرة السوفيتية فاتولين Vatoline في ١٩٥٤ « أن عبد الناصر
ارهابي ورجعي لدرجة الجنون » غير أن هذا الموقف تغير بعد مؤتمر بانكوك
حيث أحرز عبد الناصر نصرا شخصيا باهرا . ونظرا لتطور الأسلحة النووية
والصاروخية ، ولأن الحروب العلية تتحكم فيها كلا الكتلتين ، فقد أصبح من
الأمور الأقل خطورة عن ذي قبل ، أن يسخر الجانبان في صدام محلي . وهذه
الحقيقة تفسر بوضوح فكرة التعايش السلمي والتنافس الاقتصادي التي أشار
إليها بيان الواحد وثمانين حزبا إذ قال « ان التعايش السلمي ما هو الا خطة
لحشد الجماهير كما انه تطوير للعمل المركز ضد أعداء السلام ، وهذا لا يعنى
التخل عن الحروب الطبقيّة » .

ولا نفل هنا ما قاله خروشيشف في المؤتمر الحادى والعشرين ، حيث أثار
الى الحاجة الى تعبئة فعالة للمواد الخام الهائلة ومصادر القوى الموجودة في الشرق
لخدمة الاقتصاد السوفيتي وإن الاتجار مع الدول المتخلفة خارج نطاق الفلك
السوفيتي ومساعدتها ، سوف يقومان بدور هام في اضعاف الرأسمالية وفي
تقريب هذه للكتلة الشيوعية . وطالب جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية التي
يقطنها المسلمون أن تقوم بدور خاص ، فانها بمثابة القنطرة بين روسيا الأوروبية
والآسيويين ، وبالدرجة الأولى مع الذين يشتركون معهم في الدين من دول
الشرق الأوسط .

والسلك السوفييتي في آسيا وأفريقيا

نفتبه مما ألقى القارىء الى موضوع هام ، نرى له بوادر ومظاهر فى الوقت الحالى وعندما نعية جيدا أمكنا تحليل المواقف السياسية التى قد تمض علينا ويكون السوفييت طرفا فيها ولو من بعيد فنصل الى الحقيقة بسهولة وبوسيلة علمية .

قد يظن البعض أن ما يحدث فى آسيا وأفريقيا نتيجة لتخطيط جديد ليس له سوابق قديمة من الإعداد ، لكنه فى الحقيقة تخطيط يرجع الى الثورة الروسية فى نهاية ١٩١٧ عندما عالج لينين مشكلة المستعمرات ورأى أن امتلاك الدولة لمستعمرات جديدة وزيادة الصادرات اليها ، هى الوسيلة الوحيدة التى تستطيع الرأسمالية فى هذه الدولة تصريف فائض منتجاتها ، وبذلك تغلب على الأزمات الاقتصادية الدورية فاذا فقدت الدول الاستعمارية منافذها فى المستعمرات فانها تعجز عن التغلب على أزماتها ، وبذلك تصبح فريسة سهلة للثورة .

ولا شك أن فى هذا الرأى بعض الحقيقة التى ظهرت أخيرا فى بعض الدول الاستعمارية بعد أن أجبر على الانسحاب من مستعمراتها ، ويبدو لى أن رجال الثورة البلشفية الأوائل فكروا فى استبدال الاستعمار الغربى الذى كان قائما فى ذلك الوقت باستعمار روسى من نوع آخر .

وانتهازا للفرصة السانحة ، طالب لينين بايجاد تحالف بين البروليتاريا الثورية فى البلاد الرأسمالية والشعوب المضطهدة فى المستعمرات ، كما طالب بالتحالف مع الوطنية الثورية فى البلاد المتخلفة ، حتى ولو كانت الطبقة الحاكمة طبقة بورجوازية .

وتكون الكومنتيون كما قلنا سابقا ، ليبدل مجهوده في المستعمرات .
 وأنشئت في موسكو جامعة للعلوم الشرقية ومراكز تدريب لطلبة المستعمرات ،
 لدراسة هذه البلاد ، لغاتها وتاريخها وأحوالها الاقتصادية ، للعمل على مساعدتها
 على التحرر من السيطرة الاستعمارية لغربية .

وتسكنت فعلا هذه المراكز من تدريب عدد كبير على الدعاية والإدارة
 والتخريب ، وأوفدوا إلى بقاع كثيرة حيث عملوا على خلق النواة الشيوعية الأولى
 في بلاد العالم المختلفة . وقد سبق أن بينا علاقة الحركة الشيوعية العالمية
 بالشيوعية في مصر .

وعندما تكون الكومنفرم عام ١٩٤٧ وضم تسعة مندوبين من الاتحاد
 السوفيتي وبلاد الكتلة الشرقية ، التي كانت قد دعمت مركزها عالميا ، بالإضافة
 إلى مندوبي الحزب الشيوعي الفرنسي والإيطالي أعلن « جادانوف » عندئذ وهو
 عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ، « أن الصراع بين الكتلتين
 يتركز في تمزق الاستعمار وهو نفوذه في البلاد المختلفة » .

وعند تكوين المنظمات الشيوعية العالمية وهي تحاول جاهدة تنعيم نشاطها
 بالدول الآسيوية والإفريقية ، وذلك بالتسلل إليها عن طريق الدعايات المضللة ،
 كحماية السلام والتعايش السلمي والجبهات الوطنية ، ومحاولة ربط منظماتها
 بعشائرتها بهذه الدول وتكوين الفروع بها .

ولا يخفى ما كان لهذه السياسة من أثر بعيد المدى نحو تكوين ركيزة
 يمكن وصفها « بالطابور الخامس » من أبناء الدول المختلفة والمستعمرة أو المستقلة
 حديثا ، تكون سنداً لها في الوقت المناسب .

ولم يقتصر الأمر على إطلاق شعارات السلام والتعايش السلمي ومنح
 الشعوب حقها في تقرير المصير ومنح المعونات وتبادل الصداقة مع الشعوب ،
 بل أهم من ذلك ما يسر جنباً إلى جنب مع ما تقدم ، وهو إيجاد طليعة ثورية

ثقافة بروح الماركسية في كل من الأمم المسيطرة ، والأمم المغلوبة على أمرها على السواء تحقيقا للروابط الأممية ، والتضامن الطبقي في سبيل القضاء على الاستعمار ، والتعجيل بالثورة الاشتراكية ، وعندئذ ترتبط الأمة المغلوبة على أمرها مع الدولة السوفيتية ارتباطا لا فكاك منه . وإما الطليعة الثورية فهي مجموعة الشيوعيين التي تدعى بالولا، أولا وأخيرا للدولة الأم .

واشترك مع الاتحاد السوفيتي ، بلاد الكتلة الشيوعية في القيام بحملة ثقافية ودعائية واسعة في البلاد المستعمرة والمتخلفة وبلغت ذروتها في كثير من هذه البلاد منذ منتصف الخمسينيات . فاغرقت الأسواق المحلية خاصة في بلدان افريقيا وآسيا بالطبوعات التي تشرح التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي التي أحرزته الدول الشيوعية في ظل نظامها ، كما نشرت المطبوعات الدراسية للنظريات الماركسية واللينينية والمبادئ الشيوعية ، بطريقة علنية أو سرية بحسب الظروف ، واستغلت المراكز الثقافية في البلاد المختلفة في عرض الافلام السينمائية الموجهة ، والقاء المحاضرات والنشرات وإصدار نشرات الدعاية . كما لجأت الى الفرق الفنية المتجولة التي لا تهدف الى كسب مالى بقدر ما تهدف الى الدعاية . وكمن الدعوات التي وجهت لبعض الافراد لزيارة دول الكتلة الشرقية والتعرف على نواحي التقدم بها مع كثير من الوسائل لاختفاء سموات المجتمع . ويسود الزوار الى بلادهم أبواقا للدعاية الشيوعية .

ومن أخطر وسائل التسلسل التي اتبعتها البلاد الشيوعية خاصة في آسيا وافريقيا وبلاد أمريكا اللاتينية ، كانت المنح الدراسية التي قمتها للطلبة والشباب ، للتعليم والسكن والاكل والملبس . فانشأت ألمانيا الشرقية مدارس لتعليم أبناء افريقيا ، وانشأت بلغاريا معهدا خاصا باللونين من افريقيا في مدينة قريبة من العاصمة التحقق به في عام ١٩٥٩ مائتا طالبا افريقيا .

وانشأت روسيا جامعة الصداقة بين الشعوب الآسيوية والافريقية وأمريكا اللاتينية ومقرها موسكو ، وقد سميت بعد ذلك « جامعة لومومبا » ، وجذبت

اليها الطلاب من مختلف البلدان الافريقية والآسيوية ووجهت اهتماما خاصا الى طلاب افريقيا . وكان اتصال الطلاب بهذه الجامعة في البلاد الآسيوية والافريقية التي تمنح الاتصال بالبلاد الشيوعية ، عن طريق بلد آخر محايد يكون واسطة الاتصال بينهم وبين الجامعة .

وساعدت عدة عوامل على نجاح هذه السياسة خاصة في الفترة من نهاية الخمسينيات حتى يومنا هذا ، ومن هذه العوامل ما يأتي :

● الفراغ الايدولوجي عند الشباب الذي لا يجد ما يشبع نعطشه للثقافة والاطلاع .

● تعتبر الثقافة الشيوعية دائما موضوعا جديدا على النشء يقبل عليها طالبا المزيد .

● تضرب هذه الثقافة بصورة مستمرة على نقاط حساسة تمس كيان المواطنين المتعطشين للحرية في هذه البلاد .

● تنفق الدول الشيوعية أضعاف ما تنفقه الدول الغربية لتنفيذ هذه السياسة ، كما انها تركز على أغراض بعينها ، وفي طبقات محددة ، كما تخص الدول المستعمرة والمتخلفة بالنصيب الاكبر من هذا البرنامج .

● ان الشباب في الدول المستعمرة والمتخلفة وشبه المستعمرة والنامية ، معقد من جهة الدول الاستعمارية - وله كل الحق - فهو يفضل المنح الدراسية من البلدان الشيوعية عن مثيلاتها ، اذا وجدت من الدول الغربية .

● الملونون من الدول الافريقية والآسيوية ، يلقون ترحيبا واحتراما في الدول الشيوعية ، في الوقت الذي يلاقون فيه الاضطهاد والازدراء والتعصب في الدول الغربية .

● رغم الارساليات الدينية التي جابت بلاد افريقيا تبشر بالدين المسيحي ، فقد ثبت أن الكثير من الافريقيين لا يعلمون الا قشورا سطحية من الاديان عامة ، ومازال كثيرون متمسكين بعاداتهم القبلية وأديانهم الوثنية ، وبذلك يسهل على أى مذهب جديد أن ينتشر بينهم كالشيوعية .

● لم تلق الشعوب الآسيوية والافريقية من الدول الغربية ، سوى المذلة والمهانة والاستعمار والاستغلال الاقتصادي ، فى الوقت الذى تسعى فيه الدول الشيوعية اليهم بالصدقة والمونات والسلام .

● عمد الاتحاد السوفيتى الى توطيد الصلات بكل ثورة قامت فى بلاد آسيا وافريقيا وسارع بامدادها بالسلاح والمهمات والأموال وتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بعد نجاح هذه الثورات . ولنذكر بعض أمثلة : ثورات مصر والجزائر والعراق وثورات البلاد الافريقية وكوبا والكونغو وبعض بلاد أمريكا الجنوبية التى مازالت الاضطرابات تعميها بسبب الشيوعيين المحليين فيها .

وفى كثير من هذه الثورات نلاحظ أن بعض الشيوعيين من أبناء البلاد كان منفيًا منذ قبل الثورة وعاد لبلادهم بغيراته التى اكتسبها .

وهكذا اخى القارىء ، يمتد التخطيط منذ قيام الثورة السوفيتية حتى الآن ، ونرى آثاره تشتعل فى افريقيا بالذات ، وتنتهى الى صراعات دموية نطالعها فى الصحف يوميا ، فهل مازلتنا نسأل حائرين كيف حدث هذا ؟ وإلى متى ؟

قد تختلف الوسيلة وتباين السبل ولكن الاستعمار هو الاستعمار .

وأما السلام والتعايش السلمى والصداقة والثقافة والمونات المحسوبة والسلاح المشروط والكلام المصنوع فكل هذا :

غسله الحقيقى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلَنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَكَا
لَاطَاقَةَ لَنَايِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ .

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الفهرس

صفحة

| | | |
|---|-----------|---------|
| ٥ | • • • • • | الاصداء |
| ٧ | • • • • • | مقدمة |

الباب الاول

الفصل الاول

| | | |
|----|-----------|--------------------------|
| ١١ | • • • • • | كهانة العلم عند الفرائنة |
| ١٤ | • • • • • | الماركسية |
| ٢٤ | • • • • • | الدين والشيوعية |

الفصل الثانى

| | | |
|----|-----------|--|
| ٢٧ | • • • • • | التسلل الشيوعى فى مصر |
| ٣٢ | • • • • • | بيان باعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى |

الفصل الثالث

| | | |
|----|-----------|----------------------------|
| ٣٧ | • • • • • | التسلل الشيوعى بوسائل اخرى |
| ٣٨ | • • • • • | جمعية انصار السلام |
| ٤١ | • • • • • | مسرحة الريحانى الشهيرة |

الباب الثانى

الفصل الاول

| | | |
|----|-----------|-----------------------------------|
| ٤٧ | • • • • • | التنظيمات الشيوعية السرية |
| ٥٠ | • • • • • | الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى |
| ٥٩ | • • • • • | حدوتوا واجه نشاطهما |

صفحة

| | | |
|----|-----------|--|
| ٦٥ | • • • • • | الحركة الوطنية وثورة يوليو ١٩٥٢ |
| ٦٧ | • • • | الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومنظمة حدتو |
| ٦٨ | • • • • • | نشاط منظمة حدتو بعد الثورة |
| ٧٣ | • • • | الحركة الديمقراطية وأزمة مارس والتوجيه من الخارج |
| ٧٥ | • • • | القضية رقم ١٤ عسكرية عليا عام ١٩٥٥ عابدين |

الفصل الثاني

| | | |
|----|--------------------------------|------------------------------------|
| ٧٧ | وحدة المنظمات عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ | |
| ٧٨ | • • • • • | الحزب الشيوعي المصري الموحد |
| ٧٩ | • • • • • | أسلوب الدعاية للحزب الشيوعي الموحد |
| ٨٣ | • • • • • | الحزب الشيوعي المصري المتحد |
| ٨٥ | • • • • • | رحلة السودان |
| ٨٨ | • • • • • | الدعاية الشيوعية خلال عامي ١٩٥٧/٥٨ |

الفصل الثالث

| | | |
|-----|-----------------------------------|---|
| ٩١ | الاستقرائية والحزب الشيوعي المصري | |
| ٩٦ | • • • • • | المنظمة وثورة يوليو عام ١٩٥٢ |
| ٩٨ | • • • | القضية رقم ١٥٠ جنایات عسكرية عليا عام ١٩٥٦ |
| ١٠٤ | • • • • • | السبب الوحيد لهذه السياسة |
| ١٠٧ | • • • | اعلان وحدة الشيوعيين وقيام الحزب الشيوعي المصري |

الباب الثالث

الفصل الأول

| | | |
|-----|----------------------------|--|
| ١١٥ | اعلان الحزب الشيوعي المصري | |
| ١١٧ | • • | الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان والوحدة بين مصر وسوريا |
| ١٢١ | • • • | الشيوعية الدولية وأثرها في الشيوعية المحلية |
| ١٢٥ | • • • • • | ما الفصل ٢٢ |

الفصل الثانى

١٢٩ مرة أخرى ، ما العمل ؟

الفصل الثالث

١٣٣ القضية رقم ٣ حصر لمن الدولة عام ١٩٥٩
وشملت تحقيقات ثلاثة منظمات لكل منها قضية

الفصل الرابع

١٤٧ قضية الحزب الشيوعى المصرى « الراية »
١٥٣ منظمة طليعة العمال والفلاحين
١٥٧ القضية رقم ٣٥٥ عثا عام ١٩٦١

الفصل الخامس

١٦١ المدرسة

الباب الرابع

الفصل الأول

١٦٧ ماذا بعد الافراج عن الشيوعيين

الفصل الثانى

١٧١ الخطة

١٧٧ جمعية أنصار السلام
١٨٣ وضع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى
١٩٥ هنا فى مصر
١٩٧ التسلسل السوفييتى فى الشرق الأوسط وافريقيا
١٩٩ نظرية جديدة للشرق الأوسط
٢٠٤ التسلسل السوفييتى فى آسيا وافريقيا

طباعة

الشركة المتحدة للنشر والتوزيع
٤ شارع طلعت حرب (القاهرة)
« سليمان سابقا » - ت: ٧٤٩٨١٥

رقم الإيداع ٣٢٠٣ / ٧٩

